وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإسلامية – بغداد

كلية أصول الدين – قسم العقيدة

الدراسات العليا

مباحث النبوات والسمعيات في فتح الباري

لابن حجر العسقلاني

أطروحة تقدم بها الطالب

مؤيد محمود حسن

إلى مجلس كلية أصول الدين وهي جزء من متطلبات نيل درجة

الدكتوراه في فلسفة أصول الدين تخصص (عقيدة)

بأشراف

أ . د . حميد مرعيد رحيم الكبيسي

1431هـ 2010م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١ ﴾الأحزاب: ٢١

الإهداء

إلى قدوة السالكين وإمام المتقين وسويداء قلبي ونور طريقي

رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ...

وإلى من أحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واقتدى بهم

وسار على نهجهم ...

وإلى من ربياني صغيراً نحر الحنان الزاخر أبي وأمي الحنون . . .

وإلى جميع المخلصين لنصرة دين الله ...

وإلى طلاب العلم وجميع إخوتي في الله ...

أهدي بحثي هذا

شكر وعرفان

بعد حمد الله وشكره على فضله ومنته الذي أمدني بعلم مالم أكن أعلم أتقدم بشكري الجزيل والفضل الكبير إلى استاذي الفاضل ومشرفي الأستاذ **الدكتور حميد مرعيد الكبيسي** وذلك لما بذله معي من جهد علمي كبير إذ قام بتهذيب ما كتبت وإصلاح ما سطرت وتذليل عقبات البحث فله مني وافي التقدير والامتنان .

ولا يفوتني أنْ أشكر الأساتذة الفضلاء وأخص منهم الدكتور **شاكر محمود الهيتي والدكتور إحسان لطيف المدلل والدكتور محمد البدري** الذين كان لهم دور في تقويم الرسالة وإعانتي ببعض الكتب والمصادر التي أفادتني في أطروحتي فلهم مني جزيل الشكر والامتنان .

وأتقدم بالشكر إلى لجنة المناقشة لما لهم من الفضل في تصويب وتسديد الأطروحة وتقويمها .

الباحث

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وأصحابه وعلى من سار على نهجه الى يوم الدين .

وبعد فإن الله تعالى قد بعث رسوله محمداً ﷺ ليخرج الناس من الظلمات الى النور ويهديهم بإذنه الى الصراط المستقيم ، وقام برسالته ﷺ أتم قيام وبلغها الى الناس ، ونصح أمته أتم النصيحة وأبلغها ، ولم يتوقف حتى أكمل الله بها الدين ، وحتى ترك أمته على المحجة البيضاء ، وسار على نهجه الصحابة والتابعون ، ولم يؤثر عنهم أي خلاف في شيء من أمور العقيدة ، بل كانوا على منهج واحد وسبيل واضح وهو ما تركهم عليه رسول الله ﷺ .

إن موضوع النبوات والسمعيات من مواضيع العقيدة المتعلقة بالإيمان بالرسل واليوم الآخر التي يجب علينا الإيمان بها ومعرفتها ؛ لأنهما إيمانان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر لأنّ الأنبياء هم المبلغون عن ربهم ، والمعرفون الناس بدينهم ، وما هو الواجب عليهم تجاه خالقهم وبارئهم ، واليوم الآخر هو يوم الحساب الذي سيجازي فيه كل عبد على عمله قال تعالى ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧** ﴾ [الزلزلة / 7-8] وبما أنّ البخاري أول من أفرد الحديث الصحيح في مؤلف ، وكان فتح الباري أفضل الشروح أردت البحث في دراسته فسميته: ((مباحث النبوات والسمعيات في فتح الباري))لابن حجر العسقلاني، ونظراً لأهميته عند طلاب العلم وعظم مكانته العلمية ؛ لأنه من أهم كتب ابن حجر قدراً وأعمقها علماً ولأنه يعد بحق أحد دواوين الاسلام المعتبرة ومصادرها العلمية المهمة ، فلا يستغني عنه طالب علم ولا فقيه ولا مجتهد ولا داعية ولا مفتٍ ولا خطيب .

فجاء الشرح سفراً ضخماً جليلاً ، جمع فيه شروح من قبله على الصحيح ، باسطاً فيه ايضاح الصحيح وبيان مشكلاته ، وجمع فيه أيضاً فرائد نادرة واستطردات نافعة وكان له البراعة في طرحه لآرائه .

وقد سبقتني دراسات عدة للحافظ ابن حجر إلا أنها لم تستوفِ آراءَه بالبحث الذي درسته ، وقد اقتضت خطة البحث أن يكون عبارة عن بابين ومقدمة وخاتمة كان الباب الاول في **(النبوات)** كان الفصل الأول في حياة الحافظ ابن حجر العسقلاني وفيه مباحث المبحث الأول عن اسمه وكنيته وشهرته ، والمبحث الثاني كان الحديث فيه عن الحالة الاجتماعية ,والمبحث الثالث كان الحديث عن صفاته الخَلقية والخُلقية ، والمبحث الرابع كان الحديث عن سيرته العلمية والمبحث الخامس عن وظائفه ، والمبحث السادس عن وفاته ، وأما الفصل الثاني فكان المبحث الاول فيه تمهيد في النبوات ، والمبحث الثاني في تعريف النبي والرسول ، والمبحث الثالث في عدد الأنبياء وصفاتهم ، والمبحث الرابع في تفاضل الأنبياء ، والمبحث الخامس قي اتفاق دعوة الرسل ، والمبحث السادس عن الأنبياء المختلف في نبوتهم ، والمبحث السابع كان الاختلاف في نبوة النساء ، والفصل الثالث عن الايمان بنبوة النبي محمد ﷺ ، والمبحث الثاني تفضيل النبي ﷺ وتفضيله بجملة من الخصائص ، المبحث الأول فيه عن نبوة النبي محمد ﷺ والمبحث الثاني تفضيل النبي ﷺ بجملة من الخصائص والفصل الرابع عن معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والفصل الخامس كان الحديث فيه عن الوحي وبيان طرقه ووجوهه ، المبحث الاول فيه تعريف الوحي والمبحث الثاني طرق الوحي ووجوهه والباب الثاني فيه ستة فصول الاول كان الحديث فيه عن الإيمان باليوم الاخر ، والفصل الثاني عن آراء ابن حجر في الحياة البرزخية كان الحديث فيه عن عذاب القبر وفيه جملة مسائل ,والفصل الثالث عن أشراط الساعة الصغرى والكبرى ، والفصل الرابع نما ذج من أشراط الساعة كان فيه أربعة مباحث وهي في الدجال ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وخروج المهدي ، والفصل الخامس عن الإيمان بقيام الساعة كان المبحث الاول فيه عن وقت قيام الساعة ، والمبحث الثاني عن النفخ في الصور ، والمبحث الثالث الصعق, والمبحث الرابع في البعث والنشور والمبحث الخامس عن الحشر ، والمبحث السادس عن الميزان ، والمبحث السابع عن الشفاعة ، والمبحث الثامن عن الحوض ، والمبحث التاسع عن الصراط ، والمبحث العاشر عن ذبح الموت ،

والمبحث الحادي عشر عن الإيمان بالجنة والنار، الفصل السادس رأي ابن حجر بالايمان بالملائكة والجن وتتلخص في مبحثين المبحث الأو **ل** في تعريف الملائكة وصفاتهم ووظائفهم والمفاضلة بين الملائكة والبشر،والمبحث الثاني في تعريف الجن والشياطين ووجودهم وأصلهم وتكليفهم وثوابهم وعقابهم عند ابن حجر ، وهذا أجَلُّ ما ذكره ابن حجر في كتابه فتح الباري في النبوات والسمعيات,ومن المعوقات التي واجهتني في أثناء الكتابة قلة المصادر وصعوبة الحصول عليها والتنقل بين المكتبات من أجل الحصول على هذا المصدر أو ذاك ، ومن الأمور الايجابية هو كثرة من كتب عن ابن حجر من قبلي وفي مقدمتهم شيخنا وأستاذنا المرشد الدكتور (شاكر محمود عبد المنعم الهيتي) في كتابه (ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته وموارده ومنهجه في كتاب الإصابة) وكتاب الجواهر والدرر للإمام السخاوي وغيرها من المصادر كإنباءالغمروالضوء اللامع ، ومن المصادر المهمة التي إعتمدتها في بحثي كتاب النبوات لابن تيمية ، والنبوة والأنبياء في ضوء القرآن الكريم للندوي وأعلام النبوة للماوردي ، ومجموع الفتاوى لابن تيمية ، ومن المراجع بعض الرسائل من أمثال (آراء ابن حجر العسقلاني في الإلهيات) للدكتور إحسان لطيف المدلل وأطروحة الدكتوراه (النبوات والسمعيات في تفسير الرازي) للدكتور ياسر أحمد العكيدي ، ومنهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة لصاحبها محمد اسحاق كندو وغيرها من المراجع والرسائل المهمة .

وهذا الجهد والبذل ما كان صواباً فيه وحقاً فهو من الله وحده ، وما كان من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان ، وأعوذ بالله أن أكون جسراً يعبر بي الى الجنة ويرمى بي في النار والله تعالى أعلم .

وأسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملي كله صالحاً ولوجهه خالصاً ولا يجعل فيه شيئاً ، إنه سميع مجيب.

الباحث

الباب الأول

النبوات

الفصل الأول

حياة ابن حجر العسقلاني

المبحث الأول : حياة ابن حجر العسقلاني :

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية :

المبحث الثالث : صفاته الخَلقية والخُلقية :

المبحث الرابع : سيرته العلمية :

المبحث الخامس : مرضه ووفاته ومراثيه :

الفصل الأول : حياة ابـن حجر العسقلانـي

المبـحث الأول : اسمه وكنـيتـه وشهرتـه: –

المطلب الأول : اسمه وكنـيتـه وشهرتـه :

أ. **اسمه ونسبه:** هو أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن محمود بن حجر لقب لأحمد الأعلى في نسبه، شيخ الإسلام خاتمة الحفاظ الامام (١) الكناني(٢) النسب، العسقلاني(٣) الأصل، المصري(٤) المولد والمنشأ.

---

(١) قد وقع اضطراب في نسب الحافظ ابن حجر، والغريب أن يكون ذلك من الحافظ نفسه، حيث لم يلتزم طريقة واحدة في سياق نسبه، كما يجد ذلك من يطلع على بعض مصنفاته التي تعرض فيها لذكر نسبه، أو نسب أبيه، أو بعض أعمامه ، وما ذكرته أعلاه هو المعتمد في نسبه كما جزم بذلك تلميذه السخاوي لكثرة ما وجده كذلك بخط الحافظ ابن حجر نفسه، ينظر الجواهر والدرر في ترجمة ابن حجر للسخاوي ، شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن (ت 903هـ) ، تحقيق : ابراهيم عبد المجيد ، دار ابن حزم ، 1419هـ ، 1999م ، ج 1/ص 46 – 47.

(٢) نسبه إلى "كنانة" اسم لقبيلة، وهناك عدة قبائل عربية بهذا الاسم قل : ينظر الانساب السمعاني عبد الكريم بن محمد أبو سعد في كتابه " الأنساب" بتقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي ، دار الجنان، بيروت، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة : ط 1 ، 1408هـ ج5/ص98- 99.

(٣) نسبة إلى "عسقلان" وهي بلدة بساحل الشام من فلسطين مما يلي حدّ مصر، يقال لها "عسقلان الشام" . ينظر "الانساب" للسمعاني 4/ 190، والجواهر والدرر ج1/ص 48.

(٤) نسبة إلى " مصر العتيقة" وهي " الفسطاط" بناها عمرو بن العاص عندما فتح مصر في خلافه عمر بن الخطاب "رضي الله تعالى عنهما" ، ينظر " الروض المعطار في خبر الاقطار" ، لمحمد عبد المنعم الحميري ، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط 2 لسنة 1984م، مكتبة لبنان – بيروت / ص 552- 554 ؛ عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي: لمحمد رزق سليم، ط 2 سنة (1356هـ)، مطبعة البابي الحلبي: ج3/ص 335 .

ب. **كنيته:** كان يكنى الحافظ ابن حجر بـــ ((أبي الفضل)) كناه بذلك أبوه ، كما صرح بذلك الحافظ نفسه حيث قال في ترجمته لأبيه : (وأحفظ عنه أنه قال: كنية ولدي أحمد : أبو الفضل) [١] .

ويكنى أيضاً (أبا العباس) كناه بها شيخه العراقي وغيره، ولكنه لم يشتهر بها، وهذه الترجمة التي عرف بها ابن حجر ، وهي المذكورة عند كل من ترجم له[٢]. « وكان يلقب أيضاً شهاب الدين» [٣].

ج. **شهرته:** وأما شهرته فقد اشتهر الحافظ بـــ" ابن حجر" ، واختلف هل هو اسم أو لقب، فقيل هو لقب لأحمد الأعلى في نسبه، وقيل : بل اسم لوالد أحمد المشار إليه[٤].

وذكر بعض من ترجموا له احتمالات أخرى في المراد بلفظ (ابن حجر) [٥] وهي احتمالات ، قد تكون مقبولة ولكنها تحتاج إلى سند تأريخي[٦].

ومن المعلوم في علم النحو أن اسم العلم إنْ كان فيه مدح او ذم فهو اللقب, والا فان كان أوله أبا أو أما أو ابنا فهو الكنية , فابن حجر على هذا يكون كنية وليس لقبا , والله عز وجل أعلم0

---

(١) ينظر "إنباء الغمر بأبناء العمر" لابن حجر العقسلاني أحمد بن علي بن محمد تحقيق الدكتور حسن حبشي، طبع المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، سنة (1389هـــ) :ج1/ ص117.

(٢) ينظر الجواهر والدرر: ج1/ ص 47.

(٣) المصدر نفسه: ج1/ ص47.

(٤)المصدر نفسه : ج1/ ص50.

(٥) فقيل: يحتمل أنه كانت له جواهر كثيرة فَسُّميَّ به، وقيل لقب بذلك لجودة ذهنه وصلابة رأيه، بحيث يرد اعتراض كل معترض، ولا يتصرف فيه أحد من أقرانه، وقيل سميَّ به لكونه اسم أبيه الخامس، وكان يحمل الحجر، وقيل غير ذلك، ينظر: فهرس الفهارس والاثبات لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، باعتناء الدكتور إحسان عباس، دار الغرب الاسلامي، ط2 ، سنة 1402 هـــ ، ج1/ ص321.

(٦) ينظر: ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الاصابة ، للدكتور شاكر محمود عبد المنعم الهيتي مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1(سنة 1415هـــ): ج1 /ص71.

المطلب الثاني: مولده وأسرته:-

ولد الحافظ ابن حجر في شعبان سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (773هـ) في منزل يقع على شاطىء النيل بمصر القديمة [١].

ينتمي ابن حجر العسقلاني الى أسرة اشتهرت بالعلم والادب والفضل وجمعت بين الاهتمام بالعلم وبين الاشتغال بالتجارة[٢].

فأبوه "نور الدين علي بن قطب الدّين محمد العسقلاني ثم المصري" كان انصرف من بين إخوته لطلب العلم ، فكان ماهراً في تعلم الفقه واللغة العربية والأدب، وقال الشعر فأجاد فيه، وأجيز بالإفتاء والتدريس وبالقراءات السبع، وكان مع ذلك من أعيان التجار، وكان موصوفاً بالمعرفة والديانة ومكارم الأخلاق، مكثراً من الحج والمجاورة"[٣].

وأمُه "تجار" [٤] ابنة الفخر أبي البكر بن الشمس محمد بن ابراهيم الزفتاوي[٥].

وكان لابن حجر أُخت أكبر منه بثلاث سنين تُسمى (ست الركب)، كانت قارئة وكاتبة ، أُعجوبة في الذكاء ، وتوفيت وهي شابة (798هـ) ، وتحسر عليها أخوها ابن حجر كثيراً[٦] .

---

(١) ينظر: الجواهر والدرر :ج1/ ص 49؛ و" الضوء اللامع لأهل القرن التاسع" للسخاوي ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، وبدون تاريخ: ج2/ ص36.

(٢) الحافظ ابن حجر العسقلاني، أمير المؤمنين في الحديث للشيخ عبد الستار الشيخ ، دار القلم، دمشق ط1 ، سنة (1412هـ)/ص 29، ابن حجر العسقلاني ، منهجه ومصنفاته وموارده للدكتور شاكر الهيتي: ج1/ ص92.

(٣) انباء الغمر: ج1/ ص 116 -117.

(٤) في بعض المصادر ذكرت (نجار) بالنون، وسماها السخاوي "تجار" بالتاء كما في منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة لمحمد إسحاق كندو، مكتبة الرشد، الرياض/ ص56.

(٥) الجواهر والدرر: ج1 /ص59 ، والحافظ ابن حجر العسقلاني للهيتي :ج1 / ص33.

(٦) ينظر: إنباء الغمر: ج1/ 517 ، والجواهر والدرر ج1/ ص58 – 59.

وكان جد الحافظ ابن حجر " قطب الدين محمد بن ناصر الدين محمد ابن جلال الدين علي العسقلاني" [١] بارعاً تاجراً ، ولم تعقه التجارة عن تحصيل العلم، فسمع من جماعة من العلماء ، وحصل على إجازات منهم[٢].

المطلب الثالث : نشأته:-

نشأ الحافظ ابن حجر يتيماً، فقد مات أبوه وهو صغير كما قال الحافظ في ترجمة أبيه: "وتركني ولم أكمل أربع سنين، وأنا الآن أعقله كالذي يتخيل الشيء ولا يتحققه، وماتت امه قبل أبيه"[٣].

وكان أبوه قد أوصى به إلى رجلين ممن كان بينه وبينهم مودة قبل وفاته وهما:

1. زكي الدين الخرّوبي[٤].
2. العلامة شمس الدين بن القطان[٥].

---

(١) ويعرف بابن حجر وبابن البزاز توفي سنة (741هـ) ينظر "تبصير المنتبه بتحرير المشتبه" للحافظ ابن حجر تحقيق علي محمد البجاوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء : ج1/ ص414.

(٢) ينظر: ابن حجر العسقلاني /ص 93 ، التاريخ والمنهج التاريخي لابن حجر العسقلاني للدكتور محمد كمال الدين عز الدين، طبع سنة (1404هـ) ، داراقرأ، بيروت / ص65.

(٣) إنباء الغمر: ج1/ ص 117.

(٤) هو أبو بكر محمد بن علي بن أحمد الخروبي (ت 787 هـ)، وكان رئيس التجار بمصر عظيم القدر في الدولة ، وكان جواداً ممدوحاً جاور مكة وحج غير مرة، ينظر إنباء الغمر: ج1/ ص306.

(٥) محمد بن علي بن محمد بن عمر شمس الدين المصري الشافعي ولد سنة (730هـ) وطلب العلم فمهر في الفقه والعربية والقراءات، ودرس وأفتى وصنف (ت 813هـ) ، ينظر إنباء الغمر ج 2/ ص 476؛ "ذيل الدرر الكامنة" لابن حجر العسقلاني تحقيق الدكتور عدنان درويش، القاهرة (1412هـ) ، معهد المخطوطات العربية بالمنظمة العربية ، للتربية والثقافة والعلوم/ ص 213- 214.

ونشأ ابن حجر في غاية العفة والصيانة، في كنف وصية الأول الخرّوبي الذي لم يأل جهداً في رعايته والعناية به، وكان يستصحبه معه في مجاوراته بمكة[١]، فلما مات انتقل ابن حجر إلى وصّيه شمس الدين بن القطان، وكان قد راهق، حيث بلغ عمره أربع عشرة سنة. ولكن وصية الثاني لم ينصح له كما نصح له الأول، وقد عبر عنه ابن حجر فقال في ترجمة القطان "وكان أبي قد جعله أحد الأوصياء فتصرف تصرفاً عجبياً[٢] ، ويذكر أيضاً أنه لم يكن ينصح له في تحفيظ الكتب ولم يرشده الى المشايخ حتى كان يرسل أولاده الى كبار الشيوخ ولا يعلمه شيئاً من ذلك [٣] .

---

(١) ينظر: الجواهر والدرر: ج1/ ص 62.

(٢) ذيل الدرر الكامنة / ص 214.

(٣) ينظر:ابن حجر العسقلاني دراسة مصنفاته ومنهجه وموارده للهيتي :ج1/ ص53-54 .

المبحث الثاني
الحالة الاجتماعية

. زوجاته وأولاده:-

تزوج ابن حجر (رحمه الله) أولى زوجاته أُنس [١] بنت القاضي كريم الدين، عبد الكريم بن أحمد بن عبد العزيز النسترادي الأصل المصري في شعبان ، سنة ثمان وتسعين وسبعمائة للهجرة [٢] ، وهي من بيت رياسة وحشمة، ومات وهي في عصمته، ولم تزل بعده على جلالها لم يضبط لها هفوة ولازلة، مات كل أولادها بين يديها فتصبرت واحتسبت إلى أن ماتت[٣].

كما تزوج من أرملة (الزين أبي بكر الامشاطي ت 833هـ) ، وعتيقة العلامة نظام الدين يحيى بن سيف الدين الصيرفي[٤].

ثم تزوج زوجته الثالثة وهي: "ليلى ابنة محمود بن طوعان الحلبية" تزوجها بحلب عندما سافر إليها (سنة 836هـ) وكانت ثيباً، وقدمت عليه الى القاهرة ثم رجعت إلى بلدها ، ثم عادت فأقامت في عصمته حتى توفي عنها، ولم يرزق منها بولد[٥].

وبما أن ابن حجر "رحمه الله" لم يرزق بولد ذكر من زوجاته الثلاث، تمنى أن يرزق بولد ذكر لعله يخلفه في علمه، وكان لزوجته أم أولاده جارية تدعى "خاص ترك"، فوقع في نفسه التسري بها، حتى اشتراها واستبرأها ، ثم وطأها فحملت له بولد ذكر سماه " محمداً" وكان مولده سنة (815هـ) [٦] .

---

(١) ينظر إنباء الغمر: ج 9 / ص24.

(٢) المصدر نفسه: ج1/ ص 513.

(٣) ينظر الضوء اللامع: ج12 / ص11

(٤) المصدر نفسه:ج 10/ ص 266- 267 .

(٥) المصدر نفسه : ج12/ ص 59.

(٦) المصدر نفسه: ج2/ص123-125 .

وبهذا يكون الحافظ قد رزق من الأولاد سبعة، ست منهم بنات وهن (زين خاتون وهي بكر أولاده – وفرحة، وغالية، ورابعة وفاطمة، وآمنة، وذكر واحد وهو محمد) [١].

وقد اهتم الحافظ ابن حجر العسقلاني بأولاده اهتماماً بالغاً، فاستدعى لهم العلماء وأسمعهم عليهم ، وحصل على إجازات لهم من المشايخ[٢].

وشاء الله أن يفقد جميع بناته في حياته، حين مُتْنَ واحدة تلو الأخرى أمام عينيه، أغلبهن بالطاعون ، فصبر واحتسب[٣].

وأما ابنه الوحيد "بدر الدين أبو المعالي محمد" فعاش وكتب عن والده كثيراً من مجالس الإملاء، وسمع عليه أشياء كثيرة، واشتدت محبة والده له ، وحرصه على تعليمه وتهذيبه، ومات بعد والده مبطوناً (سنة 869هــ) رحمه الله تعالى[٤].

وكان الحافظ ابن حجر ذا ثراء طيب وعيشة ميسورة الحال في حياته، حيث إنه ورث من والده مالاً وفيراً، كما إنه اشتغل بالتجارة فترة من فترات شبابه[٥]، فكان يعيل أسرته وينفق على نفسه من ماله الخاص ، دونما حاجة إلى مساعدة من الناس.

وكذلك كل ما ألفه من المؤلفات البديعة ، وما تقلده من الوظائف السّنية نفعاً مادياً طائلاً، زيادة على ما كان عنده من المال فعاش عزيزاً كريماً (رحمه الله تعالى) [٦].

---

(١) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة للدكتور محمد إسحاق كندو/ ص59.

(٢) ينظر ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته وموارده ومنهجه للدكتور شاكر الهيتيي : ج1/ص 107.

(٣) الحافظ ابن حجر العسقلاني للشيخ عبد الستار الشيخ/ ص 43.

(٤) ينظر الحافظ ابن حجر العسقلاني للشيخ عبد الستار الشيخ / ص43-44 .

(٥) أشار إلى ذلك بعض مصادر ترجمته . ينظر (ابن حجر العسقلاني) ودراسة مصنفاته وموارده ومنهجه: ج1/ص88.

(٦) ينظر ابن حجر العسقلاني للشيخ عبد الستار / ص48- 49.

المبحث الثالث : صفاته الخَلقية والخُلقية

المطلب الأول : صفاته الخَلقية:-

كان ابن حجر "رحمه الله" كما وصفه من ترجموا له :- رُبْعة من الرجال [١] أبيض اللون مليح الشكل ، صبيح الوجه، كثّ اللحية، قصير الشارب، حسن الشيبة نيّرّها ، صحيح السمع والبصر، ثابت الأسنان نقيها، صغير الفم، قوي البنية، عالي الهمة ، وفيَّ الهامة[٢] ، نحيف الجسم ، فصيح اللسان شجيّ الصوت ، جيد الذكاء ، عظيم الحذق[٣].

المطلب الثاني : صفاته الخُلقُية:-

وصفه المترجمون له بما يَدُلُّ على أن الله تعالى قد منحه من الأخلاق الرفيعة ، والخصال النبيلة، مع حسن الطلعة، وجمال الهيئة ما جعله يتبوأ المنزلة العالية في القلوب، ويعد من عظماء الرجال النادرين، ونظراً لكثرة تلك الصفات، وطول الكمال فيها، اكتفي هنا بإشارة موجزة إلى بعضها ، محيلاً من أراد التوسع إلى مصادر ترجمته[٤].

فقد كان "رحمه الله" ذا وقار ومهابة، وعقل ، وسكون وسياسة، ودربة بالأحكام، ومداراة للنّاس.

وكان كثير الصمت إلا لضرورة ، ضابطاً للسانه، لا يواجه أحداً بمكروه، مع الصَّدْعِ بالحق، وقوة النَّفَس فيه.

---

(١) الرُّبعة ويحرك كالمربوع: الرجل بين الطول والقصر، ينظر القاموس المحيط الفيروز آبادي (محمد بن يعقوب) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 1 ، سنة (1406هـ) / ص 927.

(٢) الهامة: رأس كل شيء، وجمعه: هام، ينظر القاموس المحيط مادة (هوم) / ص1512.

(٣) ينظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار النشر المكتب التجاري، بيروت، بدون تاريخ: ج 7/ ص273.

(٤) عقد السخاوي فصلاً طويلاً في ذكر صفات شيخه الخلقية، وهو الفصل السابع من كتابه الجواهر والدرر يقع من (ورقة (233) إلى (253)) من المخطوطة.

وكان حليماً واسع الصدر، بطئ الغضب ، ما لم يكن في حق الله تعالى ، يَغُضُ عمن يؤذيه، ويحسن إلى من أساء إليه، ويتجاوز عمن قدر عليه وكان يمتاز بالتواضع، والبعد عن التباهي بما منحه الله من مواهب وطاقات عقلية وعلمية، ولا يتأنق[١] في ملبسه، ولا في مأكله ومشربه ولا في كلامه.

وكان ورعاً شديد التحري والتحرز فيما يأكل أو يشرب أو يلبس، فينتقي الحلال الطيب ، ويتجنب الحرام والمشبوه. أثارت مقدرته العلمية وتحصيله للعلم على هذه الصورة المبسوطة في البحث بعض تلامذته – الأمير تغري برمش الفقيه (ت852هـ) فسأله مرة (هل ر أيت مثل نفسك) فقال يقول الله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [سورة النجم/الآية32][٢].

وسئل أيضاً: أنت أحفظ أم الذهبي؟... فسكت وكان ذلك منه تواضعاً ،فلقد شرب ماء زمزم ليصل إلى مرتبة الذهبي في الحفظ ، ثم حج بعد عشرين سنة تقريباً، فسأل الله المزيد، وحقق الله رجاءه بشهادة علماء عصره ومن بعدهم [٣]

وكان في غاية السماحة والسخاء والبذل، مع قصده إخفاء ذلك، كل تلك الخلال الفريدة والخصال المجيدة ملازماً للعبادة، وحرصه على عدم تخلية وقته منها، فكان قواماً بالليل متهجداً ، صواماً بالنهار متهجداً حتى في حال سفره وترحاله، واشتداد المرض به إلى أن عجز عن ذلك تماماً [٤]، لا يترك جمعة ولا جماعة، مكثراً من الحج إلى بيت الله الحرام ، مداوماً على الذكر والإستغفار

---

(١) يقال تأنق فلان في أموره: إذا تجود وجاء فيها بالعجب، والتأنق : طلب اعجب الأمور. ينظر "لسان العرب" مادة (أنق) ج10/ ص10 – 11.

(٢) الذيل عن رفع الأصر (نقلاً عن رسالة ماجستير بعنوان " آراء ابن حجر في الألهيات" للدكتور: إحسان لطيف أحمد المدلل , تقدم بها الى مجلس كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد (سنة 1995م) / ص 9.

(٣) ذيل طبقات الحفاظ لجلال الدين السيوطي ، مطبوع في ديوان تذكرة الحفاظ للحسيني، وابن فهد والسيوطي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي/ ص 381.

(٤) ينظر:ابن حجرالعسقلاني ودراسة مصنفاته في كتابه الاصابة:ج1/ص320.

وكان (رحمه الله) معظماً لجناب الرسول ﷺ ، محترماً لسنته، متبعاً لهديه، مدافعاً عن أحاديثه، منكراً للبدع، شديد الوطأة على المجترئين على حدود الله تعالى[١].

تلك ومضات مضيئة أبانت عن بعض جوانب شخصية هذا الامام العلم الذي تحلى بأخلاق العلماء وصفات الصالحين ، فلا عجب أن أحبه الخاصة والعامة، وأن يكون له لسان صدق في الآخرين.

(١) ينظر التاريخ والمنهج التأريخي لابن حجر العسقلاني / ص 97 – 104.

المبحث الرابع :

سيرته العلمية

من المعلوم أن الحافظ ابن حجر نشأ يتيماً كما سبق، لكن الله تعالى قد هيأ له من يعتني بتعليمه وتهيئة الجو المناسب له لطلب العلم في وقت مبكر من حياته، حيث ذكر الحافظ أنه دخل الكتاب [١] ، وعمره خمس سنين، فأكمل حفظ القرآن الكريم وله من العمر تسع سنين[٢].

وفي سنة (785هـ) عندما بلغ عمره اثنتي عشرة سنة حج بصحبة وصيّه الخرّوبي وجاور بمكة فسمع هناك غالب "صحيح البخاري" على أحد مشايخ مكة ومسنديها، وكان ذلك أول مسموعاته الحديثية ، كما أنه بحث في مجاورته تلك على بعض علماء مكة في كتاب" عمدة الأحكام" للحافظ "عبد الغني المقدسي" [٣] وكان ذلك أيضاً أول بحث منه في فقه الحديث[٤].

وبعد عودته من مكة إلى موطنه مصر سنة (786هـ) شرع في حفظ بعض الكتب من مختصرات العلوم، وعرضها على جماعة من أئمة العصر، فكانوا يكتبون خطوطهم له بذلك[٥].

وبعد هذا حصل للحافظ ابن حجر فتور عن الطلب بسبب موت وصيه الخرّوبي سنة (787هـ) ، وفي سنة (790هـ) لازم وصيّه الثاني شمس الدين

---

(١) الكُتّاب: مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن، جمعهُ كتاتيب ينظر (المعجم الوسيط) من إعداد مجمع اللغة العربية ، بمصرمطبعة ، دارالمعارف بمصر، ط2، سنة (1393هـ) : ج2/ ص775.

(٢) ينظر رفع الاصر/ ص 85.

(٣) هو كتاب جمع فيه مؤلفه أحاديث الأحكام مما اتفق عليه البخاري ومسلم، ورتبهُ كترتيب كتب الفقه، وهو كتاب مشهور ومتداول وتوفي مؤلفه (سنة 600هـ)0

(٤) ينظر: رفع الاصر/ ص 86 ؛ والجواهر والدرر: ج1/ ص 64.

(٥) ينظر: الجواهر والدرر :ج1/ص64ومابعدها0

الدين ابن القطان، وحضر دروسه في الفقه والأصول والعربية وغيرها، وطاف على شيوخ الدراية(١).

كما أنه نَظَّرَ (سنة 792هـ) في فنون الأدب ففاق فيها، حتى إنه كان لا يسمع شعراً إلا ويستحضره من أين أخذه الناظم (٢) ، ثم حبب الله تعالى إليه علم الحديث النبوي فأقبل عليه بكليته، وبدأ الطلب بنفسه (سنة 793هـ) ولكنه لم يكثر منه إلا في (سنة 796هـ) (٣)، وكان قد أكمل ثلاثاً وعشرين سنة من عمره ، فلم تمض تلك السنة حتى اتسعت معارفه في علم الحديث، ووصل من الكتب الكبار شيئاً كثيراً(٤)، وهكذا فإن المدة الممتدة من سنة (777هـ -796هـ) كانت تمثل الركيزة الأولى في تكوين شخصية ابن حجر العلمية، حيث أتى على ما كان سائداً في عصره من كتب ومتون فأودعها ذاكرته، وبدت عليه - وقتئذ- إرهاصات النبوغ. وتمثل سنة (796هـ) منعطفاً بارزاً في حياته العلمية، حيث أقبل على مرحلة منهجية من البحث والتخصص ، فانكب على الحديث النبوي وعلومه انكباباً لا مزيد عليه، فكانت لعلومه الصدارة عنده ، ولم يهمل غيره من العلوم، بل بقي على اهتمام بها، والاطلاع على الامهات فيها، والأخذ عن أعيان علمائها، والمحافظة على المنطوق منها والمفهوم، والمنقول عنها والمعقول(٥).

---

(١) ينظر: الجواهر والدرر :ج1/ ص 65.

(٢) ينظر: الجواهر والدرر ؛ ورفع الإصر : ص 86- 87.

(٣) وهي السنة نفسها التي إجتمع ابن حجر " رحمه الله" بحافظ العصر " زين الدين العراقي" أكبر أساتذته في علم الحديث.

(٤) ينظر: رفع الاصر : ص 87؛ والجواهر والدرر : ج1/ ص 67- 68.

(٥) ينظر: الجواهر والدرر: ج 1/ ص 69، والحافظ ابن حجر العقسلاني لعبد الستار الشيخ : ص 75- 76.

المطلب الأول : رحلاته في طلب العلم:-

لم يكن الحافظ ليقنع بثقافة موطنه، ولم يكن طموحه العلمي ليقف عند حد، وهو القائل:-

وإذا الديارُ تَنَكَّرَتْ سافــرتُ في
طلبِ المعارفِ هاجِراً لديــــاري
وإذا أَقَْــمتُ فمــؤنِسي كُتُبـــي
فلا أنفكُّ في الحالين من أسفـــاري (١)

ولهذا قام برحلات علمية واسعة في ديار الإسلام ليحصل على مقاصد الرحلة في طلب الحديث، والفوائد المرجوة منها[٢].

وقد بدأ ابن حجر (رحمه الله) رحلاته في طلب العلم (سنة 793هـ) وعمره عشرون سنة، وهذه الرحلات منها داخل مصر، ومنها رحلات خارجها، شملت بلاد الحجاز ، والشام ، واليمن وغيرها.

والتقى الحافظ ابن حجر في هذه البلاد بعدد كبير من علماء ذلك العصر وأعيانه ،فأخذ عنهم، وسمع منهم وأسمعهم، واستفاد منهم وأفادهم، فكان في حال الطلب مفيداً في زي مستفيد، وكان كالغيث أينما وقع نفع.

وقد حصل له في رحلاته تلك فوائد جمة لا توصف ولا تحصى[٣].

---

(١) ذكره السخاوي ونسبه للحافظ ابن حجر العسقلاني ، ينظر الجواهر والدرر: ج 1/ ص81.

(٢) من مقاصد الرحلة في طلب الحديث وفوائدها: تحصيل علوم الاسناد وقدم السّماع، ولقاء الحفاظ ومذاكرتهم والاستفادة منهم، وإتساع الثقافة العامة، وتنمية الفضائل ونشر العلم:الجواهر والدرر ج1/ص83.

(٣) ينظر في اخبار رحلات الحافظ العلمية وما إستفاده منها: رفع الاصر / ص 87 -88 ؛ الحافظ ابن حجر العسقلاني (81 - 108) ؛ ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته للهيتي:ج1/ ص 113 - 141.

ولقد يسر الله تعالى للحافظ أن يأخذ العلم عن جماعة من الأئمة كل واحد رأس في فنه الذي اشتهر به, فالتنوخي في معرفة القراءات والعراقي في الحديث والبلقيني في سعة الحفظ وكثرة الاطلاع ، وسراج الدين ابن الملقن صاحب التصانيف الكثيرة والغماري في معرفة العربية ومتعلقاتها ، وأذن له جلهم في الافتاء والتدريس وشهدوا له بالحفظ (١) ؛ لأنهم لمسوا فيه نبوغه وعرفوا براعته، وتيقنوا من تقدمه في حفظه واتقانه علوماً كثيرة(٢)

لما كان ابن حجر العسقلاني (رحمه الله) له الرغبة في تحصيل العلوم الشرعية والمعارف وشغفه بتعلم العلم مبكراً وحرصه على أن يكون عالماً بالحديث النبوي الشريف ومتبحراً فيه ورأساً لا يجاريه أحد، كان له الدافع على مواصلة الرحلة والتردد إلى الشيوخ والعلماء والمسندين بكرة وعشياً، للتخرج على أيديهم والانتفاع بملازمتهم والقراءة عليهم (٣) ، وهذا لايمنع من اخلاص ابن حجر في علمه لله تعالى ، وذلك جلي وواضح من خدمته للسنة المطهرة من خلال شرحه لصحيح البخاري في كتابه ((فتح الباري)) وغيرها من المؤلفات ، وثناء العلماءالقدماء والمعاصرين عليه وعلى كتابه وتلقي الأمة له بالقبول وتفضيل شرحه على باقي الشروح ، والله الموفق .

ولذا فإنه لم يكتف بتحصيل هذه العلوم على هذا النطاق الضيق في موطنه الصغير وحده، وإنما حاول السياحة في أرض الله جامعاً لكل ذلك ما يستطيع جمعه وعلمه، فعرفت له رحلات داخل مصر وخارجها تمثلت في الارتحال إلى:-

1. الصعيد: وهذه تمثل أولى رحلاته سنة ثلاث وتسعين وسبعمائه، فقد سافر إلى (قوص) وغيرها من بلاد الصعيد، لكنه لم يفد شيئاً من المسموعات الحديثية

---

(١) ينظر الضوء اللامع ج2/ص73 ؛ والبدر الطالع ج1/ص88 .

(٢) ينظر تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، العسقلاني ابن حجر أحمد بن علي تحقيق ودراسة الدكتور أكرم ، ط1 دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، لبنان ، 1416هـ - 1996م ، ج11/ص23 .

(٣) الجواهر والدرر / ص22.

، بل لقي جماعة من أهل العلم منهم نور الدين القاضي، وابن السراج قاضي (قوص) وجماعة من أهل الأدب سمع نظمهم[١].

2. الاسكندرية: رحل ابن حجر إلى الاسكندرية التي دخلها يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ذي القعدة (799هـ) ، فأقام بها إلى أن رحلت هذه السنة ودخل في التي تليها عدة أشهر [٢] وبها التقى جماعة من المحدثين والمسندين منهم (ابن الخراط ت سنة 803هـ) [٣] (وابن سليمان الفيشي ت 798هـ) [٤] و(ابن البوري ت 803هـ) [٥] وغيرهم.

   ثم رجع إلى مصر ليقيم فيها إلى أن ظهر منها قاصداً اليمن عن طريق الطور – راكباً البحر – في ذي الحجة ليصلها في السنة المقبلة[٦].

3. اليمن : رحل ابن حجر الى اليمن بحثاً عن العلم والمعرفة فحصل على الكثير مما أراده من (تعز) و(زبيد) و(عدن) و(المهجم) و(وادي الخصيب) وغيرها ، وبعدها رجع من اليمن صحبة المحمل المجهز من قبل صاحبها إلى مكة فدخلها (سنة 800هـ) ليحج حجة الإسلام ، وقد ازدادت معارفه وتوثقت صِلاته وصداقاته وانتشرت علومه ولطائفه[٧].

---

(١) ينظر إنباء الغمر: ج1/ ص419.

(٢) ينظر إنباء الغمر : ج1/ 495.

(٣) هو العالم المسند أبو عبد الله محمد بن عبد المحسن المعروف بإبن الخراط الحنبلي توفي سنة 803هـ. ينظر سير إعلام النبلاء للذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان) تحقيق الارنؤط ، ونعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط 9 ، سنة 1419هـ ج1/ ص31.

(٤) هو أحمد بن علي بن سليمان الفيشي بن عبد الرحمن شهاب الدين الفيشي ثم القاهري الشافعي الناسخ واشتغل بالنسخ وكتب كثيراً من كتب ومنها كتب شرح البخاري مرتين، وغيرها من الكتب، ينظر الضوء اللامع: ج1/ 257.

(٥) هو محمد بن علي بن محمد بن هبة الله الاموي السكندري المعروف بإبن البوري ولد (سنة 724 ومات سنة 802هـ) ، ينظر الضوء اللامع ج4/ 171.

(٦) ينظر إنباء الغمر: ج1/ 530.

(٧) الجواهر والدرر :ج1/ص150 .

4. الحجاز: تشير المصادر إلى أن ابن حجر كان قدم للحج والمجاورة بمكة والإشتغال لأكثر من مرة(١)

التقى خلالها في منى (٢) ومكة(٣) والمدينة(٤) بجماعة من فضلاء الحجاز وأعيانها وطلبتها فقرأ عليهم وقرأوا عليه وحملوا عنه بعض تصانيفه وغيرها (٥). كما كان كان كثيراً ما يحدث في موسم الحج ببعض مروياته (٦) أو يرشد من يصادفه – هناك – إلى المعروف من المسندين القآدمين للحج والمجاورة فيسمعون عليه ويأخذون عنه(٧).

5. الشام: تشير المصادر إلى أن ابن حجر كان قد خرج من القاهرة في الثالث والعشرين من شعبان (سنة 802هـ) قاصداً بلاد الشام للأخذ عن الشيوخ والمسندين الذين يقطنونها (٨)، وكان وصوله إليها في الحادي والعشرين من رمضان من السنة نفسها(٩)، حيث أقام بها (مائة يوم) أخرها غرة المحرم سنة سنة (803هـ) ، بعدما تواترت الأخبار بقرب مجيء المغول إليها (١٠) ، فآثر الرجوع إلى القاهرة، وقد اتسعت معارفه بما أخذه عن العلماء بها. أو في الطريق إليها مما لا يدخل تحت الحصر(١١) .

---

(١) ينظر إنباء الغمر:ج 1/ 126 ، 261 ؛ ج250/3.

(٢) الضوء اللامع ج11/ 28 ، 31 ؛ ينظر إنباء الغمر ج23/3.

(٣) ينظر إنباء الغمر: ج2/ 85 .

(٤) ينظر إنباء الغمر ج2/ 375 ؛ وينظر الضوء اللامع: ج10/ 51 – 52.

(٥) الجواهر والدرر ، ج1/ص153-155 .

(٦) الجواهر والدرر ، ج1/ص153-155 ..

(٧) ينظر إنباء الغمر ج3/ 278 ؛ والضوء اللامع: ج4/ 132.

(٨) الجواهر والدرر ج1/ص156 .

(٩) الجواهر والدرر ، ج1/ص156 .

(١٠) ينظر إنباء الغمر ج2/ 110 – 113.

(١١) الضوء اللامع : ج3/ 265.

6. حلب: سافر ابن حجر رحمه الله إليها سنة (830هـ) بصحبة السلطان الأشرف برسباي (ت 841هـ) في السفرة الشمالية لدى أذى التركمان المتغلبين على بلاد آمد وماردين. وغيرها من البلاد الشامية التي تغلب فيها تيمورلنك المغولي على دمشق وحلب (سنة 803هـ) ، وقد كثر إفسادهم ونهبهم وقطعهم للطرق، ونزل بالمدرسة العادلية الصغرى ، حيث لم يخل سفره من فائدة(١).

المطلب الثاني : شيوخه :-

أُكتفي هنا بذكر بعض شيوخه الذين كان لهم أثر في حياته وذلك لكثرتهم ولأنه قد تكفل بذكرهم في كتابيه (المجمع المؤسس، والمعجم المفهرس) ضمن شيوخه الذين لازمهم وكان لهم الأثر الواضح في نبوغه، وحياته العلمية .

وكذلك اعتنى السخاوي بذكر شيوخ أستاذه الحافظ ابن حجر، وعددهم، وزاد فيهم طائفة قليلة لم يذكرهم شيخه في معجمه ، فكان مجموع ما ذكره منهم (646) نفساً فيهم (55) امرأة تكرر منهم (16) نفساً، فالخالص من ذلك (628) شيخاً(٢).

وممن ظهر لهم أثر واضح في حياته العلمية هم:-

1. إبراهيم بن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن علوان التنوخي البعلي الأصل الدمشقي المنشأ الشيخ برهان الدين الشامي، بلغ عدد شيوخه "ستمائة" بالسماع والاجازة يجمعهم معجمه الذي خرجه له الحافظ ابن حجر . نزل أهل مصر بموته درجة، قرأ عليه الحافظ شيئاً من القرآن ، ثم قرأ عليه الشاطبية، وصحيح البخاري، وبعض المسانيد والكتب والاجزاء، وخرج له المائة العشارية

---

(١) ينظر إنباء الغمر ج3/ 492 – 510 .

(٢) ينظر ترجمة في المجمع المؤسس للمعجم المفهرس ، العسقلاني ، ابن حجر (أحمد بن علي) ، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي ، دار المعرفة ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1415هـ ، ص4-31 .

ثم الأربعين التالية لها، وأذن له بالإقراء سنة (796هـ)، توفي التنوخي سنة (800هـ) [١].

2. عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني العسقلاني الأصل ، ثم البلقيني المصري الشافعي أبو حفص سراج الدين مجتهد حافظ للحديث من أكابر العلماء أفتى ودرس وهو شاب ، وناظر الأكابر وظهرت فضائله، وبهرت فوائده، وطار في الآفاق صيته. سمع الحديث عند جماعة من مشايخ عصره وأجاز له الذهبي والمزي وغيرهما، وكان معظماً عند الأكابر، عظيم السمعة عند العوام، وقد لازمه الحافظ ابن حجر وقرأ عليه كثير من الروضة ، ومن كلامه على حواشيها ، وكتب له بخطة بالإذن بالإعادة، وهو أول من أذن له بالتدريس والافتاء، وتبعه غيره، له مؤلفات منها محاسن الاصطلاح في المصطلح، وحواشي على الروضة ، توفي سنة (805هـ) [٢].

وقال ابن حجر " وكانت آلة الاجتهاد في الشيخ كاملة، إلا أن غيره في معرفة الحديث أشهر،و في تحرير الأدلة أمهر"[٣].

---

(١) وقد قسمهم السخاوي إلى ثلاثة أقسام: الأول: فيمن سمع منه الحديث ولو حديث تماماً .والثاني: فيمن أجاز له ولو في استداعاءات بينة . والثالث: فيمن أخذ عنه مذاكرة وإنشاداً ، وسمع خطبته أو تصنيفه، أو شهد له ميعاداً.

ينظر الجواهر والدرر ج 1/ ص 134- 177؛ والحافظ ابن حجر العسقلاني/ لعبد الستار الشيخ / ص 110.

(٢) إنباء الغمر ج5/ ص107؛ الضوء اللامع ج6/ ص 85- 90 ؛ الاعلام قاموس لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، خير الدين الزركلي ، ط 6 ، 1984م، دار العلم للملايين ج2/ ص205.

(٣) إنباء الغمر ج2/ ص 247.

3. عمر بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاريّ الأندلسي الأصل، ثم المصريّ، نزيل القاهرة، سراج الدين ، أبو حفص المعروف بـــ (ابن الملقّن) (١) ولد بالقاهرة سنة (723هـــ) ومهر في الفنون، واعتنى بالتصنيف، فشرح كثيراً من الكتب، وصنف في كل فن ، واشتهر اسمه وطار صيته, ورغب الناس في تصانيفه لكثرة فوائدها وبسطها وجودة ترتيبها، ومن كتبه شرح البخاري، وشرح المنهاج في الفقه الشافعي، والبدر المنير في تخريج أحاديث الرافعي، توفي سنة (804هـــ) (٢)، وقد صححه ابن حجر وسمع منه، وقرأ عليه الكثير ، وتفقه به(٣).

4. (العراقي): عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم المهراني المولد، العراقي الأصل، الكرديّ، نزيل القاهرة، الشيخ زين الدين أبو الفضل الشهير بالعراقيّ (٤).

ولد سنة (725هـــ) وأحب علم الحديث واشتهر به حتى صار المنظور إليه في هذا الفن، بحيث لم يكن له فيه نظير في عصره، قال عنه ابن حجر (ولم نرفي هذا الفن أتقن منه، وعليه تخرج غالب أهل عصره، وله مؤلفات كثيرة أشهرها "الألفية في علوم الحديث" المعروفة "بألفية العراقي" توفي سنة (806هـــ) (٥) ويعد العراقي من أجل شيوخ الحافظ ابن حجر، بل هو أكبر شخصية تأثر بها ابن حجر

---

(١) عرف بهذا الاسم لأن أباه مات وهو صغير أوصى به إلى الشيخ عيسى المغربي،و كان يلقن القرآن بجامع ابن طولون فتزوج بأمه، وتربى عمر في حجره، فنسب إليه، وصار يعرف بـــ(إبن الملقن) ، وكان هو يغضب من ذلك، ولم يكتبه بخطه، وإنما كان يكتب "ابن النحوي" لأن أباه كان نحوياً معروفاً بالتقدم في ذلك. ينظر "إنباء الغمر" ج 2/ ص217.

(٢) ينظر "إنباء الغمر": ج 2/ ص216- 219؛ وذيل الدرر الكامنة / 121-122؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للامام الشوكاني (محمد بن علي)، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ،ج1/ ص508.

(٣) ينظر الجواهر والدرر :ج1/ ص70.

(٤) ينظر إنباء الغمر: ج2/ ص270 وما بعدها.

(٥) ينظر المصدر نفسه: ج 2/ ص 275- 279؛ الجواهر والدرر: ج 1/ ص67؛ الضوء اللامع ج4/ 175- 177.

من بين شيوخه، فقد لازمه مدة طويلة وانتفع بملازمته يقول الحافظ: (لازمت شيخنا عشر سنين، تخلل في أثنائها رحلاتي الى الشام وغيرها، وقرأت عليه كثيراً من المسانيد والأجزاء ، وبحثت عليه شرحه على منظومته وغير ذلك، وشهد لي بالحفظ في كثير من المواطن، وكتب خطه بذلك مِراراً) (١).

5. الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازيّ الفيروزآبادي، القاضي مجد الدين، أبو الطاهر الشافعيّ(٢).

ولد سنة (729هـ) ، وجال كثيراً في البلاد، كان عديم النظير في زمانه نظماً ونثراً بالعربية والفارسية ومعرفته باللغة واطّلاعه على نوادرها أمر مستفيض، فهو إمام عصره في اللغة. وله مصنفات كثيرة منها (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وشوارق الانوار العلية في شرح مشارق الأنوار النبوية، والقاموس المحيط في اللغة، توفي بـ(زبيد) مدينة من مدن اليمن سنة (817هـ) (٣).

قال الحافظ ابن حجر "اجتمعت به في زبيد، وفي وادي الخصيب، وناولني جُلَّ القاموس، وأذن لي مع المناولة أن أرويه عنه، وقرأت عليه من أحاديثه عدة أجزاء(٤).

المطلب الثالث : تلامذته:

إن المكانة العلمية التي تبوأها ابن حجر أكسبته شهرة واسعة بين الخاصة والعامة فأصبح مهوى أفئدة طلاب العلم، ومحط رحالهم، حيث توافدوا إليه من الآفاق، وكثر طلابه حتى كان رؤوس العلماء من كل مذهب – في عصره – من

---

(١) ينظر إنباء الغمر: ج2/ ص277.

(٢) ينظر المصدر نفسه: ج3/ ص48- 50.

(٣) ينظر المصدر نفسه:ج 3 / ص 50 وما بعدها؛ الضوء اللامع ج 10/ 79- 86؛ ذيل الدرر الكامنة / 238 – 240.

(٤) ينظر إنباء الغمر ج3/ ص50.

تلامذته، واستفاد منه كثير من شيوخه، وخلف بعده تلامذة ما بين طلاب عالمين وعلماء متقنين[١].

وقد سرد السخاوي أسماء جماعة من الذين أخذوا عن الحافظ ابن حجر رواية ودراية، وأوصل عددهم إلى (500) شخص مرتباً إياهم على حروف الهجاء، ويذكر أحياناً مع اسم الشخص ما كان قد قرأه أو سمعه على الحافظ[٢].

وسأكتفي هنا ببعض تلامذته على وجه الإيجاز والاختصار ومنهم:-

1. السخاوي[٣]:

محمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي الأصل، القاهري المولد، شمس الدين، أبو الخير، وأبو عبدالله الشافعي، ولد سنة (831هـ) ، وأخذ العلم عن جماعة لا يُحصون، من أجلهم وأكثرهم تأثيراً فيه شيخه الحافظ العسقلاني، قال السخاوي: "سمعت عليه في الصغر مع الوالد أشياء، وأول ما وقفت عليه ذلك سنة (838هـ) ثم لازمته من بعد ذلك أتم ملازمة، حتى حملت عنه علماً جماً، واختصصتُ بكثرة المثول بين يديه، بحيث كنت من أكثر الآخذين عنه[٤]. وقال أيضاً: (وقد قرأت عليه الكثير من تصانيفه ومروياته بحيث لا أعلم من شاركني في مجموعها) [٥]، وشهد له بالتقدم في العلم مصنفاته العديدة المفيدة ومنها "فتح الغيث في شرح الفية الحديث للعراقي ، المقاصد الحسنة في

---

(١) ينظر الضوء اللامع :ج2/ ص39 ؛ شذرات الذهب: ج 7/ ص271؛ الحافظ ابن حجر العسقلاني للشيخ عبد الستار / ص299.

(٢) ابن حجر العسقلاني دراسة مصنفاته ومنهجه: ج1/ص106 .

(٣) قدمته وإن كان غيره أقدم منه لكونه أبرز تلامذة الحافظ كما يفهم ذلك من تصريحاته، ولأنه أكثر وفاءً لشيخه بما كتبه عنه من الترجمة الفائقة.

(٤) التبر المبسوك في ذيل السلوك للسخاوي، مكتبة الكليات الازهرية، بدون تاريخ / ص 232.

(٥) الضوء اللامع في ترجمة الحافظ : ج2/ ص40 .

الأحاديث الجارية على الألسنة " و"الضوء اللامع لأهل القرن التاسع " توفي (رحمه الله) سنة (902هـــ) في المدينة النوبة ودفن بالبقيع[١].

2. الكمال بن الهمام :-

هو محمد بن عبد الواحد بن عبد الحميد بن مسعود السيواسي الأصل، ثم الاسكندري ، ثم القاهري، كمال الدين المعروف بـــ(ابن الهمام) الحنفيّ، ولد سنة (790هـــ) وسمع من الحافظ ابن حجر وكان عالماً مشاركاً في علوم كثيرة وله عدة مصنفات منها "فتح القدير في شرح الهداية" يتضمن ثماني مجلدات في فروع الفقه الحنفي، و" التحرير في أصول الفقه" و"المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة" توفي سنة (806هـــ) [٢] ، كما كتب عنه (قحطان الدوري) كتاباً .

3. ابن فهد المكي:-

هو محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشميّ، العلويّ، المكيّ، تقي الدين أبو الفضل الشافعيّ.

ولد بمصر سنة (795هـــ) وأخذ العلم عن كثير من العلماء، منهم ابن حجر[٣]، وبرع في الحديث، وفاق أقرانه وصار المُعَوَل عليه في هذا الشأن، ومن مؤلفاته: (نهاية التقريب وتكميل التهذيب بالتذهيب) و(لحظ الالحاظ بذيل طبقة الحفاظ) وغيرها. توفي بمكة سنة (871هـــ) رحمه الله تعالى[٤].

4. زكريا الأنصاري:

هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السّنكي ثم القاهريّ، زين الدين، القاضي الأزهريّ الشافعيّ.

---

(١) المصدر نفسه :ج8/ ص 2- 32؛ والبدر الطالع: ج2/ ص 184- 187.

(٢) ينظر البدر الطالع ج 2/ 201- 202؛ ومعجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي , بيروت : ج 10/ ص264.

(٣) ينظر ما ذكره في ترجمة شيخه ابن حجر في (لحظ الالحاظ) بذيل طبقات الحافظ ، ابن فهد المكي (محمد بن محمد) ,دار الكتب العلمية ، بيروت / ص 335- 336.

(٤) ينظر : البدر الطالع :ج2/ ص 259 – 260.

ولد سنة(826هـ) وأخذ العلم عن جماعة منهم الحافظ بن حجر، وقرأ في جميع الفنون وتصدّر وأفتى وصنف التصانيف الكثيرة منها : (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن) (تحفة الباري على صحيح البخاري) و(غاية الوصول في شرح الفصول) في أصول الفقه، وغيرها كثير. توفي سنة (925هـ) أو (926هـ) رحمه الله[1] .

المطلب الرابع: مؤلفاته:

ابتدأ الحافظ ابن حجر في التأليف منذ وقت مبكر ، وقد ضرب في التصنيف مثلاً بعيداً بكثرة مصنفاته وتعدد فنونها وتنوعها [2] ، فكان له انتاج علمي كبير ألف كتباً كثيرة أوصلها السخاوي الى (273) عنواناً [3] .

أما الدكتور شاكر محمود عبد المنعم فقد أفرد في دراسته فصلاً خاصاً في ذكر مؤلفاته وأطال النفس في ذكرها وبيان المصادر التي ذكرها ودراستها دراسة وافية ، فكان بحق خير من اعتنى بمصنفات الحافظ من المتأخرين على حد اطلاعي ، فقد أوصلها الى (282) مصنفاً ورتبها بحسب الموضوعات ، وأضاف ذكر ثمانية وثلاثين مصنفاً تحت عنوان (الكتب المنسوبة إليه) حتى لاينسب الى الحافظ مصنف لم يعمله ، ولم يوجد ما يعضد نسبة هذه المصنفات إليه [4] ، ومع

---

(١) ينظر ترجمته في شذرات الذهب ج 8/ ص 134- 136؛ والبدر الطالع ج 1/ ص 252- 253.

(٢) ينظر تحقيق نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح اهل الاثر ، العسقلاني ابن حجر احمد بن علي تحقيق نور الدين عتر ، (مطبعة الصباح) بدمشق ، ط 3 ، (1421هـ - 2000م) / ص15 .

(٣) ينظر الجواهر والدرر : ج2/ص387 .

(٤) ينظر ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته للهيتي : ج1/ص173-398 .

هذا قال : ((على أن ذلك لا يعني بحال نفي نسبة مصنف ما إلى الحافظ ابن حجر فهو موسوعي ، ولا نستبعد منه المزيد)) (١) .

وتلاه الدكتور سعيد القزقي في دراسته لكتاب (تغليق التعليق) فقد عقد فصلاً عن مصنفات الحافظ ورتبه على حسب العلوم وعدد منها (164) مصنفاً (٢) وذكرها ايضاً عبد الستار الشيخ فأوصلها الى (289) (٣) ، وهكذا فقد حظيت مصنفات ابن حجر بدراسات كثيرة قديماً وحديثاً كما مر معنا .

أما أسماء مصنفاته فقد جال الحافظ ابن حجر بقلمه في كل مجال من مجالات العلوم الشرعية والعربية والأدب والشعر وفي كل فن من فنون العلوم الإسلامية، وهي من الكثرة بمكان بحيث لا يتيسر سردها في هذا المقام، وما من نوع من هذه الأنواع إلا ولهُ مؤلف أو مؤلفات ، لذا نرى بعضاً ممن ترجموا له يكفي أن يقول أن عدد مؤلفاته تزيد على مائة وخمسين مؤلفاً(٤) .

وسأكتفي هنا بالاشارة إلى بعضها كما ذكره مترجموه وهي كالآتي:-

1. "إتحاف المهرة بأطراف العشرة" ، مخطوط ، وقد شرع في تحقيقه(٥).
2. "إنباء الغمر بأبناء العُمر" مطبوع(٦).

---

(١) ينظر ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته للهيتي: ج387/1 .

(٢) ينظر تغليق التعليق على صحيح البخاري ، العسقلاني ابن حجر احمد بن علي ، تحقيق سعيد عبد الرحمن موسى القزقي ، (المكتبة الاسلامية) بيروت و (دار عمار) عمان الادرن ط1 ، سنة 1405هـ ، ج1/ص183-212 .

(٣) ينظر الحافظ ابن حجر العسقلاني امير المؤمنين في الحديث /376 .

(٤) الضوء اللامع ج2/ ص38.

(٥) هو كتاب جليل جمع فيه أطراف عشرة كتب هي " موطأ مالك" و "مسند الشافعي" و"مسند أحمد" و"مسند الدارمي" و"صحيح ابن خزيمة" و"منتقى ابن الجارود" ، وصحيح ابن حبان، ومستدرك الحاكم، ومستخرج أبي عوانة، وشرح معاني الاثار للطحاوي، وسنن الدار قطني. وإنما زاد العدد واحداً لأن " صحيح ابن خزيمة" لم يوجد منه سوى قدر رُبْعَةُ. ينظر الجواهر والدرر/ 155.

(٦) هو من أهم كتب التاريخ لعصر الحافظ ابن حجر، لكونه اشتمل على الحوادث والتراجم، وقد بناه على الحوليات يبتدئ بسنة (773هـ ، وينتهي بسنة 850 هـ).

3. " الاصابة في تمييز الصحابة" ، مطبوع.
4. "الإيثار بمعرفة الآثار"[١] ، مطبوع.
5. "بلوغ المرام من أدلة الاحكام" ، مطبوع ومشهور وكثير التداول.
6. "الزهر المطلول في الخبر المعلول"[٢] .
7. الشمس المنيرة في معرفة الكبيرة وتميزها من الصغيرة[٣].
8. الغنية في مسألة الرؤية[٤] ، مطبوع.
9. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مطبوع.
10. الفوائد الجمة فيمن يجدد الدين لهذه الأمة[٥].
11. نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، مطبوع ومشهور.
12. هدي الساري مقدمة فتح الباري ، مطبوع . وغيرها كثير.

المطلب الخامس : وظائفُهُ:

شغل رحمه الله على امتداد حياته عدة مناصب ، وتولى عدة وظائف ، فقد دَرَّسَ في مراكز علمية، ومن ذلك تدريسه علم التفسير في المدرسة الحسينية والمنصورية وتدريسه الحديث في مدارس البيرسية والزينية والشخونية وغيرها، وإسماعه الحديث أيضاً بالمحمودية، وتدريسه الفقه بالمؤيدية وغيرها، ثم انتقل إلى دار الحديث، كما ولي مشيخه المدرسة البيبرسية ونظرها، ومدارس أخرى عددها السخاوي في الضوء اللامع[٦].

ثم استقر قاضياً للقضاة الشافعية في عهد الملك الاشرف برسباي في محرم سنة (827هـ) وقد تزايد ندمه على قبوله القيام به ، لعدم تمييز أرباب الدولة بين

---

(١) هو في رجال "كتاب الآثار" لمحمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة رحمه الله.
(٢) ذكره السخاوي في الجواهر والدرر / ص 157.
(٣) أشار إليه في فتح الباري عند شرحه حديث السبع الموبقات:ج12/ 184.
(٤) يعني رؤية النبي ﷺ ربه (عزوجل) ليلة المعراج.
(٥) ذكره صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بيروت / ص 1296.
(٦) ينظر الضوء اللامع: ج2/ ص 38 – 39 .

العلماء وغيرهم، ومبالغتهم في اللوم لرد إشاراتهم ، وإن لم تكن وفق الحق، والاحتياج إلى مداراة كبيرهم وصغيرهم بحيث لايمكنه مع ذلك القيام بكل ما يرومونه على وجه العدل(١) .

وقد تكرر صرفه عن القضاء – وعزل نفسه أحياناً – إلى أن صمم الاقلاع عنه عقب صرفه في جمادي الثانية لسنة (852هـ) بعد أن زادت مدة قضائه على إحدى وعشرين سنة، ولكثرة ما توالى عليه من المحن بسبب سيرته فيه وصلابته في الحق، وترك المداهنة في دين الله.

وحصل له أن تولى– فضلاً عن أعماله في التدريس والقضاء – الإفتاء بدار العدل، والخطابة، بجامع الأزهر، ثم بجامع عمرو بن العاص، وتولى خزانة الكتب المحمودية، ووضع له فهرساً، كما ولي مناصب أخرى، مما لم يجتمع له في آنٍ واحد(٢) .

المطلب السادس: مذهبه:–

إن أكثر المصادر التي ترجمت الى الحافظ ابن حجر تتفق على أنه كان شافعي المذهب (٣) ومن الأمور التي يستدل بها على ذلك (٤) :–

أ. سلسلة مشايخه الذين ذكرهم السخاوي (٥) .

---

(١) ينظر الضوء اللامع : ج2/ ص38.

(٢) ينظر الضوء اللامع : ج2/ ص38.

(٣) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي – لابن تغري بردي (جمال الدين الاثابكي) ، تحقيق الدكتور محمد محمد الامين ، د.ط[الهيئة المصرية العامة للكتاب] مصر ن سنة 1984 : ج2 / ص19 .

(٤) (ابن حجر) آراؤه وترجيحاته التفسيرية في فتح الباري من كتاب التفسير شرح صحيح البخاري من (أول الفاتحة الى اخر سورة الانفال) رسالة ماجستير تقدم بها الطالب محمود زيدان خضير العيثاوي الى مجلس كلية الآداب ماجستير الجامعة الاسلامية بغداد سنة 1430 هـ – 2009م / ص24 .

(٥) ينظر الجواهر والدرر: ج129/1 .

ب. نصه على أنه شافعي(١) .

ج. تصنيفه لمؤلفات فقهية في المذهب الشافعي(٢) .

د. تولى – رحمه الله – منصب قاضي قضاة الشافعية (٣) .

ومع ذلك كان معظماً للدليل يدور معه حيث ما دار ,والمتتبع لآرائه في كتابه ((فتح الباري)) يجد هذا الامر جلياً واضحاً .

وكان رحمه الله كما وصفه السخاوي مصنفاً في البحث ويرجع الى الحق متى ما بان وإتضح له (٤) .

ومن إنصافه إنه كان – رحمه الله – يخالف أقوالاً أخرى على الدليل ، وكان يمتلك من العلم ما يؤهله أن يكون مجتهداً (٥) ، فإنه – رحمه الله – كان إماماً لا يشق له غبار في ميدان الحديث ، فقد حاز قصب السبق فيه ، وضم إليه فقه الحديث ، والقدرة البارعة على الاستنباط من النص والجمع بين الاشباه ، والتأليف بين النظائر ، فهو يعد بحق محدث الفقهاء ، وفقيه المحدثين في عصره(٦).

المطلب السابع : سبب تأليف الحافظ لكتابه " فتح الباري"

إن أهمية " صحيح البخاري" وكونه متلقى بالقبول لدى المسلمين عامة كان هو السبب الدافع للحافظ ابن حجر العسقلاني على تأليفه الشرح له كما أشار في افتتاحية كتابه هدي الساري(٧).

---

(١) ينظر ابناء الغمر :ج9 / 84 ؛ والجواهر والدرر :ج733/2 .

(٢) ينظر الحافظ ابن حجر العسقلاني امير المؤنين في الحديث/475 .

(٣) ينظر ابناء الغمر بابناء العمر: ج7 / 350 .

(٤) ينظر الضوء اللامع : ج2 / 29 .

(٥) ينظر الروايات التفسيرية في فتح الباري جمعاً ودراسة ، عبد الباري عبد المجيد الشيخ ، ط1 (وقف السلام الخيري) بالرياض ، السعودية 1426هـ – 2006م ، ج55/1

(٦) ينظر الحافظ ابن حجر العسقلاني امير المؤمنين في الحديث / 209 .

(٧) ينظر هدي الساري مقدمة فتح الباري ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد وعبد الباقي، بيروت، دار الكتب العلمية ط1 ، 1989 / ص3.

ويمكن القول: إن الحافظ وجد أن صحيح البخاري لم يشرح شرحاً يليق بمقامه فدفعه ذلك إلى القيام بهذا الشرح على الطريقة المثلى، ويتبين هذا السبب من كلام ابن خلدون [١] في (مقدمته)، وهو معاصر لابن حجر حيث ذكر النواحي التي لابد لمن يشرح (صحيح البخاري) أن يعتني بها، من معرفة الطرق المتعددة ورجالها، وإمعان النظر في التفقه في تراجمه، ثم قال (ولقد سمعت الكثير من شيوخنا – رحمهم الله – يقولون:- شرح كتاب (صحيح البخاري) دين على الأمة يعنون إن أحداً من علماء الأمة لم يوفِ ما يجب له من الشرح بهذا الاعتبار) [٢].

وقد قال بعض العلماء معلقاً على كلام ابن خلدون هذا: "لعل ذلك الدين قضي بشرح المحقق ابن حجر"[٣].

هذا هو السبب الذي دفع الحافظ ابن حجر العسقلاني في تأليف هذا الكتاب الذي أجمعت الأمة علماء وطلاب علم وعوام الناس على قبوله.

قيمة الكتاب وأهميته

إن كتاب فتح الباري يُعد من أجل شروح صحيح البخاري على الاطلاق وإنه أجل كتب الحافظ ابن حجر (رحمه الله)[٤] . قال السخاوي عنه:

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر الحضرميّ، المغربيّ ، المالكي ، المعروف بابن خلدون ولد سنة 733هـ، وبرع في العلوم، وتقدم في الفنون، واشتغل بالكتابة والادب، فبرع فيهما ، تنقلت به الأحوال إلى أن ولي القضاء للمالكية ، توفي رحمه الله (سنة 808هـ) ، ينظر ذيل الدرر الكامنة /ص 172- 173.

(٢) مقدمة ابن خلدون لعبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون (ت 808 هـ)، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط4، 1398هـ / ص443.

(٣) ينظر الجواهر والدرر للسخاوي ج 1/ ص 163؛ وكشف الظنون، لحاجي خليفة، ج2/ص640؛

(٤) ينظر الحافظ بن حجر العسقلاني امير المؤمنين في الحديث / 588 .

((وهو أجل تصانيفه مطلقاً وأنفعها للطالب مغترفاً ومشرباً ، وأجلها قدراً واشهرها ذكراً))[١] .

ونقل السخاوي عن ابو البركات الغزي : ((لم يصنف مثله أو على منواله))[٢] وذكر عبد الحي الكناني أنه لما قيل للإمام الشوكاني أما تشرح الصحيح كما شرحه الآخرون قال : ((لاهجرة بعد الفتح))[٣] .

وتأتي هذه الاهمية لفتح الباري لكونه موسوعة كبيرة من المعارف الاسلامية عامة .

وكذلك يعد مرجعاً حديثياً حافلاً ، لما اشتمل عليه من الفوائد الحديثة ، والنكات الأدبية ، والاستنباطات للأحكام الفقهية وغيرها من الفوائد النافعة التي لا نكاد نجد مثلها في كتاب آخر [٤] .

المكانة العلمية للحافظ وثناء العلماء عليه

تبوأ الحافظ مكانة علمية سامية ، وبلغ رتبة عالية ، وأكتسب شهرة واسعة في الحديث وعلومه ، رواية ودراية ، حتى صار بحق شيخ الاسلام وإمام الحفاظ ، وبَعُدَ صيته وأشتهر ذكره ، وأثنى عليه شيوخه وتلاميذه ووصفوه بالحفظ والاتقان والتقدم والعرفان ، وكذلك كثير من العلماء ، ومما قالوا فيه : ما قاله شيخه برهان الدين الإبناسي ، فقد أثنى عليه بقوله :

((وكان ممن لاحظته عيون السعادة ، وسبقت له في الأزل الإرادة ، الشيخ الإمام العلامة المحدث المتقن المحقق ، الشيخ شهاب الدين ابو الفضل أحمد ... الشهير بابن حجر .... لما عنيت به عناية التوفيق ، ورعاية التحقيق ، نظر في

---

(١) الجواهر والدرر: 675/2 .

(٢) المصدر نفسه: /314 .

(٣) فهرس الفهارس:ج283/1 .

(٤) ينظر نزهة النظر / 17 ؛ الروايات التفسيرية في فتح الباري 1/ 76 .

العلوم الشرعية ، أتقن جُلّها ، وحل مشكلها ، وكشف قناع معضلها ،وصرف همته العليا الى أشرفها ، علم الحديث ، وهو أفضلها))[١]

وهذا شيخه ابن الجزري يقول : ((حضرت على العمادين كثيراً وعلى غيره من شيوخ الحافظ العراقي ، فلم أر فيهم أحفظ من ابن حجر))[٢]

ومن ثناء تلاميذه عليه ما قاله أبو ذر الحلبي : ((إمام الأئمة ، وعالم الأمة ، الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ، النافذ الجهبذ ، خاتمة الحفاظ ، حامل راية الإسناد من لم تر عيناي مثله ، بل ولا عَيْنَهُ في فنه))[٣]

ويقول تلميذه برهان الدين البقاعي : ((شيخ الاسلام ، وطراز الأنام ، علم الأئمةالاعلام ، شهاب المهتدين من أتباع كل إمام ، حافظ العصر ، وأستاذ الدهر ، سلطان العلماء ، وملك الفقهاء الذي سلك بحر التفسير ، كان التُرجمان والآتي من فوائد فوائده عقد الجُمعان ، أو ركب متن الحديث كان أحمد الزمان ، وأظهر من خفايا خفاياه مالم يسبُق اليه، ابوحاتم ولا ابن حبان ، وأن تكلم في الفقه وأصوله عُلم أنه الشافعي ، وأبرز من لوايا رواياه [٤] ، ما لم يتجاسر عليه الامام الرافعي ، أو يتمم كلام العرب على أختلاف أنواعه .

---

(١) الجواهر والدرر : ج264/1 .

(٢)الجواهر والدرر: ج293/1 – 294 .

(٣)المصدر نفسه: ج1 / 320 .

(٤) لوايا : جمع لوية ، وهو ما خبأته وأخفيته ، وروايا : جمع روية ، وهو أسم من روى الامر بمعنى نظرت وفكر: ينظر القاموس المحيط / 1665 – 1717 .

المبحث الخامس :

مرضه ووفاته ومراثيه

بعد تلك الحياة الحافلة بالنشاط العلمي والفكري الواسع في خدمة العلم ورفع مناره والجهاد في نشره، وإشاعته بمختلف السبل والطرق من قضاء وترحال وتدريس وإملاء وتأليف وفتاوى وغيرها. ذلك النشاط الكبير الذي طال قرابة الستين عاماً ليخرج للأمة الإسلامية بالمؤلفات الكثيرة التي لا غنى للمكتبة الإسلامية عنها، ولابد لطلاب العلم أن ينهلوا منها. بعدها ابتدأ المرض بالحافظ ابن حجر (رحمه الله تعالى) في ذي القعدة سنة (852هـ)[١].

بعد أن فرغ من مجلس الإملاء – يوم الثلاثاء – الموافق الحادي عشر من الشهر، ورجع إلى منزل أم أولاده، وكان قبل قد تعشى عند أحدى زوجاته فما امتنع من الأكل مراعاة لخاطر أهله فثقل ذلك عليه وتغير مزاجه وأصبح ضعيف الحركة، وكان يكتم المرض الذي أَلَمَّ به وخرج إلى المدرسة للصلوات والإقراء ، فلما اشتد به المرض وأفصح عنه، فخشّيَ الأطباء أن يناولوه مسهلاً لِكِبَر سِنِه، فأشير إليه بلبن الحليب فتناوله وأصبح نشيطاً نشاط يسير ، ولكن عاوده المرض وصار يحس شيئاً ثقيلاً على معدته على أثر اسهال حصل له مع رمي دم[٢] ، فتخلف عن صلاة عيد الأضحى وهو الذي لم يترك جمعة ولا جماعة ثم ذهب إلى أحدى زوجاته وطيب خاطرها في انقطاعه عنها واسترضاها وكأنه قد شعر بدنو أجله[٣] .

وبعدها داوم المرض به أكثر من شهر وعجز حتى عن الوضوء، وصار يصلي الفرض جالساً وترك قيام الليل،فهرع الناس كبارهم وصغارهم من أُمراء وقُضاة وعُلماء وطلبة وصُلحاء إليه أفواجاً لعيادته والسلام عليه[٤]. ثم أسلم روحه إلى بارئها في أواخر ذي الحجة سنة (852هـ) عن عُمر بلغ تسعاً وسبعين عاماً وأربعة أشهر[٥]، وقال تلميذه السخاوي "ولا أستبعد أنه أكرمه الله بالشهادة فقد كان الطاعون ظهر"[٦]،

(١) الجواهر والدرر/ 1319.

(٢) ينظر لحظ الألحاظ / ص 337-338 .

(٣) الجواهر والدرر/ ص399 ، 319.

(٤) المصدر نفسه / ص360.

(٥) ينظر التبر المبسوك للسخاوي/ ص233.

(٦) ينظر المصدر نفسه/ 233. .

وكان يوم موته عظيماً على المسلمين، وبكى الناس عليه وحزنوا لموته، وأُقفلت الأسواق، وشُوهدت له جنازة عظيمة لم يكن بعد جنازة أحفل منها، حيث اجتمع في جنازته من الخلق من لا يحصيهم إلا الله عز وجل وكان منهم السلطان [١] فمن دونه من الرؤساء والعلماء وشيعته القاهرة كلها. ولما وصلت جنازته المصلى قدم السلطان الخليفة[٢] للصلاة عليه، ودفن بالقرب من الإمام الشافعي، وصلى عليه صلاة الغائب في كثير من البلاد الإسلامية[٣] .

وقد رثاه جمع من العلماء والأدباء بقصائد كثيرة [٤] ،من أشهرها قصيدة الشهاب الحجازي[٥] التي تضم أكثر من خمسين بيتاً , وكان من ضمنها:

هو شيخُ الإسلامِ المعظمُ قَــدْرُهُ   مَنْ كانَ أوجدَ عصرِه والنادِرَهُ

قاضي القضاة العسقلاني الــذي   لم تُرَفْعِ الدنيا خصيماً ناظــرَه

وشهاب دين الله ذي الفضل الذي   أرْبى على عددِ النجومِ مُكاثِرَهُ

إلى أن قال:

يا موت إنك قد نزلت بذي النّدى   ومُذ استضفت حباك نفساً حاضره

يا رب فأرحمه واسق ضريحــه   بسحائب من فيض فضلك غارمــه

يا نفس صبراً فالتأسي لائـــقٌ بوفاة أعظم شافع في الآخــــره

المصطفى زين البنين الــــذي   حاز العلي والمعجزات الباهـــرة

صلى عليه الله ما جال الـــردّى فينا وجــرِّد للبـــرية باتِــــره

وعلى عشيرته الكرام وألـــــه   وعلى صحابته النجوم الزاهــرة [١].

الزاهــرة[١].

---

(١) هو الملك الظاهر حقمق، نقلاً عن منهج العسقلاني في العقيدة / 64.

(٢) هو المستكفي بالله أبو الربيع سليمان بن المتوكل على الله.

(٣) الضوء اللامع: ج2/ 40.

(٤) الجواهر والدرر /278- 291.

(٥) هو احمد بن محمد بن علي الانصاري الخزرجي القاهري شهاب الدين أبو الطيب المعروف بالشهاب الحجازي كان أوحد زمانه في الأدب (توفي سنة 875هــ) ، ينظر الضوء اللامع ج147/2 .

الفصل الثاني

النبي والرسول وما يتعلق بهما من مسائل

المبحث الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما :

المبحث الثاني : عدد الأنبياء وصفاتهم :

المبحث الثالث : التفاضل بين الأنبياء :

المبحث الرابع : إتفاق دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام:

المبحث الخامس : الأنبياء المختلف في نبوتهم :

المبحث السادس: الاختلاف في نبوة النساء:

---

(١) ذكرها السخاوي كاملة في الجواهر والدرر / 288- 289.

الفصل الثاني

النبي والرسول وما يتعلق بهما من مسائل

تمهيد:

اشتمل كلام الحافظ في موضوع النبوات في كتابه (فتح الباري)على مسائل عديدة من تعريف النبي والرسول، وعدد الأنبياء وصفاتهم، وما يجب في حقهم وما يستحيل، وآرائه في الوحي وأنواعه ومعجزات النبي ﷺ وشفاعته ﷺ وغيرها من المسائل التي سنذكرها في هذا الباب.

إن الله عزوجل كما ألزمنا أن نشهد له بالواحدانية افترض علينا أن نشهد لسيدنا محمد ﷺ بالرسالة، وهذا هو الركن الأول من أركان الإسلام يتضمن الأذعان لله الواحد وإفراده بالعبودية والانقياد له بالطاعة والخضوع، كما يتضمن وجوب اتباع الرسول ﷺ في كل ما يبلغ به من تشريع وأحكام.

والله سبحانه وتعالى اصطفى الانبياء والرسل من بني البشر، ليبلغوا دعوته لعباده وينشروا دينه، يبشرون من آمن بالله وبهم وعمل صالحاً بالأجر العظيم وينذرون من يكفر بالله ويكذبهم بالعذاب الأليم قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٣٦ ﴾ [سورة الأعراف: الآية 34 ، 35].

إن الأساس الجوهري لمجيء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هو بيان القواعد الضرورية في الحياة وإرشاد الناس إلى تنظيم شؤونهم في المجتمع من حيث واجبهم تجاه خالقهم، وعلاقتهم فيما بينهم، فالأنبياء والرسل يبينون لهم ما هو حلال لهم وما هو حرام عليهم؛ لأن الناس في نظرهم لا يدركون مصالحهم بأنفسهم، ولا يشعرون بعواقب أمورهم بغرائزهم، ولمّا ينزجروا مع اختلاف أهوائهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وأخبار القرون الماضية ، فتكون أداب

الله فيهم مستعملة وحدوده فيهم متبعة ، وأوامره فيهم متمثلة، ووعده ووعيده فيهم زاجراً ، وقصص من غيرهم من الأمم واعظاً، فإن الأخبار العجيبة إذا طرقت الاسماع والمعاني الغريبة إذا أيقظت الاذهان إستمدتها العقول ، فزاد علمها وصح فهمها ، وأكثر الناس سماعاً أكثرهم خواطراً، وأكثرهم تفكراً، وأكثرهم علماً، وأكثرهم عملاً فلا يوجد عن بعثة الرسل معدل ولا منهم في انتظار الحق بدل(١).

فالأنبياء والرسل هم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة التي لا يشوبها جهل ولا ضلال ، ولا سوء فهم وسوء تعبير،لأنه لا سبيل إلى معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة إلا ممن كان على طريقهم، لا يستقل بها العقل، ولا يغني فيها الذكاء، ولا تكفي سلامة الفطرة وحدة الذهن ، والغنى في التجارب، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الحقيقة على لسان أهل الجنة، وهم أهل الصدق وأهل التجربة، وقد أعلنوا ذلك في مقام صدق كذلك ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [سورة الأعراف: آية43] وقرنوا هذا الاعتراف والتقرير بقولهم ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [سورة الاعراف: اية43] فدل على أن الرسل وبعثتهم هي التي تمكنوا بها من معرفة الله تعالى وعلم مرضاته وأحكامه والعمل بها(٢).

ومن هنا أوجب الله تعالى على المسلمين الإيمان بالأنبياء والرسل دون التفريق بين أحد منهم وتصديقهم في أخبارهم وطاعتهم في أوامرهم ونواهيهم قال تعالى :﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [سورة البقرة: اية 285].

---

(١) ينظر أعلام النبوة، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، لبنان، ط1، سنة (1392هـ - 1973م) / ص20.

(٢) ينظر النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، (القاهرة، مكتبة وهبة (1382هـ) / ص18.

والناس بفطرتهم محتاجون إلى هدي الرسالة كما بين أهميتها وحاجة الناس إليها شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول: الرسالة ضرورية للعباد ولابد لهم منها وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلاّ ما طلعت عليها شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تُستَق في قلبه شمس الرسالة، ويناله من حياتها وروحها فهو من ظلمة، وهو من الأموات قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122].

فهذا وصف المؤمن كان ميتاً في ظلمة الجهل فأحياه الله بروح الرسالة ونور الأيمان ، وجعل له نوراً يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات[١].

ثم يأتي بعده تلميذه الشيخ ابن القيم فيقول: « ومن هنا نعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب من الخبيث على التفصل إلا من جهتهم ، ولا يُنال رضا الله البتة الا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا بهديهم وما جاءوا به ، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأخلاقهم تُوزن الأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، فأي ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير، وما ظنك إذا فارق الماء، ووضع في الفلاة، فمال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية ، تقي الدين أبو العباس أحمد عبد الحليم بن عبد السلام الحراني، ط1، الرياض، بدون تاريخ: ج9/ ص93.

الرسل كهذهِ الحال بل أعظم » [١] إن ضرورة الرسالة في اطارها العقلي تنسجم مع الغاية التي خلق الله الإنسان من أجلها وهذه الغاية تنطلق أساساً من الأيمان بالله الذي يتصف بالإرادة والعلم والحياة، والتي تعني أنه لم يخلق شيئاً عبثاً، دون غرض في خلق وفعل ولو على سبيل الاجمال[٢].

إذن فإن الناس جميعاً بحاجة إلى الرسل وتعاليمهم لصلاح قلوبهم، وإنارة نفوسهم وهداية عقولهم، ولكي يعرفوا وجهتهم في الحياة وعلاقتهم في الحياة وبخالقها.

والذي يتفحص النبوات بمفهومها العام يجدها تتضمن عدة أمور:

أولاً: الدعوة إلى توحيد الله تعالى.

ثانياً: التبشير والإنذار.

ثالثاً: تبيان الشرائع والأحكام

رابعاً: إقامة الحجة كي لا يبقى للناس حجة يوم القيامة.

خامساً: الإيمان باليوم الآخر حيث يجازي الله الناس به على أعمالهم[٣].

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم الجوزية، شمس الدين ابو عبد الله بن أبي بكر (الكويت ، مكتبة المنار، 1410هـ - 1990) :ج1/ ص91.

(٢) النبوات والسمعيات في التفسير الكبير للامام الرازي، اطروحه دكتوراه تقدم بها الطالب ياسر أحمد عبدالله العكيدي إلى الجامعة الإسلامية بغداد، كلية أصول الدين لسنة 2009 / ص72.

(٣) ينظر المرجع نفسه/ ص74.

المبحث الأول: تعريف النبي والرسول والفرق بينهما

تكلم الحافظ ابن حجر في كتابه (فتح الباري) على تعريف النبوة والنبيّ والفرق بين النبي والرسول، وبين أن النبوة :اصطفاء من الله تعالى وليست إكتساباً، فهذه مسائل ثلاث قررها الحافظ وفق منهج أهل السنة والجماعة وبيان ذلك كما يأتي:

المطلب الأول : تعريف النّبوة والنبيّ:

النبوة لغة:يقال النبي هو من أنبأ عن الله، قال: وان اخذ من النبوة او النباوة وكلاهما يدل على الارتفاع فتكون بمعنى الرفعة والعلو،واما ان تكون مشتقة من النبي،وهو بمعنى الطريق الى الله سبحانه وتعالى[١]

وقيل:النبأ:الخبروالجمع انباء،وان لفلان نبأ:اي خبرا،والنبي :المخبر عن الله وقيل النبي مشتق من النباوة وهي الشيء المرتفع ،والنبي أيضا:الطريق الواضح [٢]

أن لفظ النبوة مأخوذ من الإنباء وهو الإعلام لغة[٣]

والنبوة الشرعية: تشمل كل هذه المعاني لان النبوة إخبارعن الله تعالى وشأن لمن يصطفيه ويختاره الله سبحانه لهذه المهمة الالهية ولاتنال بكثرة الطاعات والعبادات[٤] .

---

(١) ينظر التفتازاني سعد الدين (ت 793 هـ) شرح المقاصد طبعة عالم الكتب تحقيق د.عبد الرحمن عميرة،ط1:ج1/ص128.

(٢) لسان العرب، ابن منظورمحمد بن مكرم الانصاري(ت711 هـ):ج1/ص4.

(٣) ينظر فتح الباري:ج12/ص363.

(٤)حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ، 1418هـ/1997م، الطبعة : الأولى:ج1/63.

ويقول الراغب الاصفهاني في **النبوة:**هي من يصطفيه الله سبحانه من عباده من البشر لأن يوحي اليه بالدين والشريعة التي فيها هداية للناس(١)

حجية المعتزلة على وجوب الرسالة والتبليغ فيقولون:

ان التكاليف الشرعية: ألطاف في التكاليف العقلية بمعنى أن الانسان المكلف متى واظب على الامتثالات الشرعية كان أقرب الى التكاليف العقلية(٢).

جاء كلام نقله الحافظ عن القرطبي في "المفهم" قال: "النبوة معناها: ان الله يطلع من يشاء من خلقه على ما يشاء من أحكامه ووحيه، إما بالمكالمة وإما بواسطة الملك، وإما بإلقاء في القلب بغير واسطة(٣).

●وأما النبيّ فقال الحافظ " النبيء – بالهمزة– : المخبر عن الله ، وقيل بمعنى مفعول أي : أخبره الله بأمره. وقيل: اشتق من النبأ، وهو ما ارتفع من الأرض ، لرفعه منازلهم. وقيل النبأ: الطريق، سميّ بذلك؛ لأنه الطريق الى الله تعالى، ولغة قريش: ترك الهمز، إما تسهيلاً ، وإمّا مشتقاً من النبوة وهو الارتفاع(٤) وقال في كتاب التفسير:(وقيل الذي بالهمز من النبأ ,والذي بغير همز من النبوة: وهي الرفعة) (٥)

---

(١) ينظر المفردات في غريب القران،الراغب الاصفهاني ابو القاسم حسين بن محمد (ت502) /ص369.

(٢) ينظر التمهيد في الرد على الملاحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة،الباقلاني ابي بكر،(ت403 **هـ)**1974م ،القاهرة / ص233.

(٣) ينظر فتح الباري: ج12/ ص368.

(٤) المصدر نفسه:ج6/ ص361.

(٥) المصدر نفسه:ج6/ ص361.

المطلب الثاني: الفرق بين النبي والرّسول

أطلق ابن حجر عبارات عديدة أو تعريفات تدل على أن هناك فرقاً بين النبي والرسول حيث يقول في كتابه "قد تقرر أن النبيّ والرّسول متغايران لفظاً ومعنى"(١). .

النبي لغة :مأخوذ من النبأ بمعنى(الخبر)،او النبوة او النباوة بمعنى العلو والرفعة.(٢)

يقول الجرجاني (النبي:من أوحى اليه ملك أو ألهم في قلبه أو نبه بالرؤيا الصالحة ،فالرسول مفضل على النبي بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة لأن **الرسول:** هو من أوحى إليه جبريل خاصة بتنزيل الكتاب من الله تعالى) (٣)

فالرسول لغة : مأخوذ من (الارسال) بمعنى التوجيه ،او الرَسلُ بمعنى التتابع.(٤)

والرسول اصطلاحاً:هو الذي يتتابع عليه الوحي،وكل رسول لله عز وجل نبي،وليس كل نبي رسولاً له.والفرق بينهما ان النبي من اتاه الوحي من الله عز وجل ،والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض احكام شريعة قبله(٥) قبله(٥)

وقال "الوصف بالرسالة أعمّ في حقّ البشر(٦)" (٧) أي: من الوصف بالنبوة، وبيان ذلك ما قاله أيضاً: "أن الرسالة تزيد على النبوة بتبليغ الاحكام للمكلفين،

---

(١) فتح الباري : ج11/ ص112.

(٢) تهذيب اللغة،الازهري محمد بن احمد دار المعرفة بيروت،سنة1422ه : ج3489/4.

(٣) التعريفات،الجرجاني علي بن محمد بن علي(ت 816)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي1357 /ص214 .

(٤) معجم مقاييس اللغة/402 ؛لسان العرب ج283/11.

(٥) اصول الدين الاسلامي، البغدادي/ص283.

(٦) هذا القيد احتراز ممن أرسل من غير نبوة، كجبريل وغيره من الملائكة، لأنهم رسل الانبياء ، فتح الباري ج1/ ص358.

(٧) فتح الباري : ج2/ ص314.

بخلاف النبوة المجردة فإنّها إطلاع على بعض المغيبات،وقد يقرر بعض الأنبياء شريعة من قبله، ولكن لا يأتي بحكم جديد مخالف لمن قبله(١)
ومن هنا كان "التعبير بالنّبيين يشمل الرسل من غير عكس"[٢] وهذا يعني أن كل رسول نبي، وليس كل نبيّ رسولاً، فوصف الرسالة يستلزم وصف النبوة[٣].

ونقل الحافظ ابن حجر عن الامام القرطبي كلاماً جامعاً في الفرق بين النبي والرسول وهو قوله "لفظ النبوة والرسالة مختلفان في أصل الوضع.

فإن النبوة من النبأ وهو الخبر، فالنبي – في العرف – هو المنبأ من جهة الله بأمر يقتضي تكليفاً ، وإن أمر بتبليغه إلى غيره فهو رسول ، وإلا فهو نبي غير رسول، وعلى هذا فكل رسول نبيّ بلا عكس، فإن النبي والرسول اشتركا في أمر عام وهو النبأ، وافترقا في الرّسالة ، فإذا قلت محمد رسول الله، تضمن أنه نبيّ رسول، وإذا قلت فلان نبيّ، لم يستلزم أنه رسول فلما اجتمع بالنبي ﷺاراد ان يجمع بينهما في اللفظ حتى يفهم من كل واحد منهما من حيث النطق ما وضع له ".[٤]
".[٤]

فأراد ﷺ ان يجمع بينهما في اللفظ لأجتماعهما منه حتى يفهم من كل واحد منهما من حيث النطق ما وضع له،ويتخرج عما يكون شبه التكرارفي اللفظ من غير فائدة.

"والذي ذكره في الفرق بين الرسول والنبي مقيد بالرسول البشري، وإلا فاطلاق الرسول يتناول الملك كجبريل مثلاً"[٥].

يقول محمد اسحاق كندو: قلت هذا الفرق الذي ذكره الحافظ بين معنى النبي والرسول، وهذا ما ذكره كثير من أهل العلم في كتبهم، حتى إن بعض طلبة العلم لا يكاد يعرف غيره[٦].

---

(١) فتح الباري: ج12/ ص374.
(٢) فتح الباري:ج 1/ 118.
(٣) المصدر نفسه: ج 1/ 358.
(٤) المفهم لما اشكل من تلخيص صحيح مسلم، للقرطبي،ط1،،بيروت:ج7 /ص40.
(٥) فتح الباري: ج11/ ص12.
(٦) منهج الحافظ في العقيدة، لمحمد إسحاق كندو / ص1209.

ولكن هذا الفرق المذكور مشكل من وجهين:-

أحدهما: أن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ ﴾ [سورة الحج/الآية:52] فهذه الآية دلت على أن النبي يعمه الإرسال، كالرّسول، ومقتضى الارسال التبليغ، وهذا يخالف ما ذكروه في الفرق بين الصنفين.

والوجه الآخر : أنه يبعد كل البعد أن يصطفى الله تعالى من عباده نبياً فيوحي إليه ثم تقتصر نبوّته عليه هو فقط، ولا يؤمر بتبليغها لغيره من العباد؛ لأنّ في ذلك كتماناً للعلم ، والأنبياء منزهون عن مثل ذلك(١).

يقول ابن عاشور في تفسيره (وعطف {نَبِيٍّ} على {رَسُولٍ} دال على أن للنبي معنى غير معنى الرسول، فالرسول: هو الرجل المبعوث من الله إلى الناس بشريعة. والنبي: من أوحى الله إليه بإصلاح أمر قوم بحملهم على شريعة سابقة أو بإرشادهم إلى ما هو مستقر في الشرائع كلها فالنبي أعم من الرسول، وهو التحقيق. (٢)

وعن البراء بن عازب قال : قال النبي صلى الله عليه و سلم (إذا أتيت مضجعك... فلما بلغت اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت قلت ورسولك قال (لا ونبيك الذي أرسلت) (٣)

يقول ابن الاثير في النهاية:إنَّما رَدَّ عليه لِيَخْتَلِف اللَّفظان ويَجْمَع له الثَّناءيْن مَعْنى النُّبُوّة والرِّسالة ويكون تَعْديداً للنِّعمة في الحالَيْن وتَعْظيما للْمِنَّة على الوجْهَين ،والرَّسُول أخَصُّ مِن النبيّ لأنّ كُلَّ رَسُولٍ نَبيٌّ وليس كُلُّ نَبيّ رَسُولاً(٤)

---

(١) منهج الحافظ في العقيدة / ص1210.

(٢)التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ)مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان:ج17/ص215.

(٣) صحيح البخاري،فضل من بات على الوضوء،ج1/ص97،حديث رقم(224).

(٤)النهاية في غريب الحديث والأثر،أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة، العلمية، 1399هـ – 1979م، بيروت تحقيق : طاهر أحمد الزاوى:ج5/ص8.

ونقل ابن حجر عن الخطابي قوله:ويحتمل انيكون اشار بقوله (ونبيك)الى انه كان نبياًقبل انم يكون رسولاً،او لأنه ليس في قوله(ورسولك الذي أرسلت) وصف زائد بخلاف قوله(ونبيك الذي أرسلت)، وقال غيره ليس فيه حجة على منع ذلك لأن لفظ الرسول ليس بمعنى لفظ النبي ولا خلاف في المنع اذا اختلف المعنى فكأنه أراد أن يجمع الوصفين صريحاً وأن كان وصف الرسالة يستلزم وصف النبوة(١)

المطلب الثالث: بيان أن النبوة منحة من الله تعالى:

يقول ابن حجر وهو يتكلم على معنى النبوة وأنها منحة من الله يصطفيها لمن يشاء من عباده، ولا تؤتى بكثرة صلاة ولا طاعة ولا غيرها من العبادات فيقول: "النبوة نعمة يَمُن الله بها على من يشاء، ولا يبلغها أحد بعلمه ولا بكشفه ولا يستحقها باستعداد ولايته، ومعناها الحقيقي شرعاً : من حصلت له النبوة. وليست راجعة إلى جسم النبي، ولا إلى عرض من أعراضه، بل ولا إلى علمه بكونه نبياً، بل المرجع إلى إعلام الله له بأنّي نبأتك، أو جعلتك نبياً، وعلى هذا فلا تبطل بالموت، كما لا تبطل بالنوم والغفلة"(٢).

وفي كلام الحافظ هنا رد لما ذهب اليه بغض الزنادقة من الفلاسفة وغيرهم من ان النبوة يمكن اكتسابها بأنواع الرياضاتالنفسية ،وكذا ماذهب اليه بعض المعتزلة من ان ارسال الرسل واجب على الله ،تعاى الله عما يقول الظالمون (٣)

---

(١)ينظر فتح الباري:ج1/ص358

(٢) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي ات: 1188هـ)مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ط2 (1402 هـ):ج2/ص258

(٣)ينظر فتح الباري:ج1/ص358.

وكذا ما ذهب إليه المعتزلة من أنّ إرسال الرسل واجب على الله تعالى [١]وإنما أوجب المعتزلة على الله تعالى ارسال الرسل لما فيها من مصالح للعباد في الدنيا والاخرة،ولكن النبوة تبقى عندهم بالاصطفاء والاختيار.

واللطف واجب لأنه هوالذي يحصل غرض الشارع المكلف ومتى لم يجب لزم نقض غرض الشارع المكلف ....فوجوب اللطف يستلزم تحصيل الغرض[٢]

ولأن اللطف واجب يكون التكليف الشرعي واجباً وهو لايمكن معرفته الا من جهة النبيﷺ فيكون وجودالنبي ﷺ واجباً لأن ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب [٣].

ومذهب المعتزلة هذاهو مذهب الفلاسفة واليه ذهب الامامية أيضاً [٤].

وأما الاشاعرة عموماً فقالوا(انه ليس يستحيل بعثة الانبياء (عليهم السلام) خلافاً للبراهمة الذين قالوا:لافائدة في بعثتهم ،لأن العقل لايهدي الى الأفعال المنجية في الأخرة .... فحاجة الخلق الى الانبياء كحاجتهم الى الاطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة، ويعرف صدق النبيﷺ بالمعجزة) [٥]

قال ابن حزم: (وطوائف كانوا من المعتزلة ثم غلوا فقالوا أن النبوة تكتسب بالعمل الصالح وآخرون كانوا من أهل السنة فغلوا فقالوا قد يكون في الصالحين من هو أفضل من الأنبياء ومن الملائكة عليهم السلام)[٦]

---

(١) لوامع الانوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، نشر: مؤسسة الخافقين، مكتبة دمشق، ط2، سنة (1403هـ) : ج2/ ص258 و 267 – 268.

(٢) كشف المراد في شرح تجريدالاعتقاد ،الحلي جمال الدين الحسن بن يوسف، ت726،مكتبة المصطفوي/ص254.

(٣) كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد /ص273.

(٤) ينظرالتربية الدينية، لعبد الهادي الفضلي،ط5،دار التعارف ، بيروت/31.

(٥) الإقتصاد في الإعتقاد،محمد بن محمد الغزالي دارالكتب العلمية،بيروت،ط 1،سنة1409م، /ص121.

(٦) ينظرالفصل في الملل والاهواء والنحل،ابن حزم : ج90/2.

يقول القفاري ثم النبوة الكاملة، وهي تتضمن أن (النبوة مكتسبة) عن طريق"رياضات" ومجاهدات أهل التصوف. وهي دعوى ترتد إلى أصول فلسفية صوفية قديمة[١]، ولذا قال القاضي عياض: "ونكفر... من ادعى النبوة لنفسه، أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة الصوفية"[٢]

قد أجمع أهل القبلة على أن النبوة اصطفاء من الله سبحانه وتعالى يصطفي به عبداً من عباده، ولم يقل بكون النبوة مكتسبة إلا الفلاسفة الملاحدة، كما قرر ذلك ابن سينا وأمثاله من الفلاسفة، ويجعلون لها ثلاث قوى: قوة التعبير، وقوة التصوير، وقوة التخييل، وهذا قول لا أصل له في دين المسلمين. [٣]

---

(١) ينظر أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية عرض ونقد ،ناصر بن عبد الله بن علي القفاري:ج3/ص1100

(٢) الشفا، للقاضي عياض: ج2/ص1070-1071.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي:ج1/ص72.

المبحث الثاني

أول الأنبياء والرسل وصفاتهم

المطلب الأول: أول الأنبياء والرسل

ان الجزم بعدد الانبياء والمرسلين مما توقف فيه اهل التحقيق من العلماء خوفاً من ادخال فيهم من ليس منهم أو اخراج من هو منهم على السواء، إلا أن الحافظ ابن حجر ذكر عدد الأنبياء والرسل ومن هو أول الأنبياء ومن هو أول الرسل "(١).

دلت النصوص الصحيحة على أنّ آدم عليه السلام هو أول الأنبياء كما دلت على أن نوحاً عليه السلام هو أول الرسل، ,هذا لا إشكال فيه بناء على ما سبق ترجيحه في الفرق بين النبي والرسول، فيكون نوح أول الرسل باعتبار أنه أول من بعثه الله برسالة الى قوم مخالفين لأمر الله تعالى، وأما من كان قبل نوح فكانوا جميعاً على التوحيد كما قال تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [سورة البقرة: الآية213].

روى ابن جرير بسنده – في تفسيره لهذه الآية – عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"(٢)

ان ابن حجر ذهب إلى أن آدم أول الأنبياء مطلقا، وأن نوحاً أول نبي أرسل كما دلت على ذلك الأخبار (٣) ولكنه مع ذلك أبدى إشكالاً في هذا الأمر حيث قال في شرحه حديث أبي هريرة في توسل الناس بالأنبياء يوم القيامة لفصل القضاء، وفيه :"فيأتون نوحاً، فيقولون: يانوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض"(٤).

---

(١) فتح الباري :ج6/ ص361 .

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، سنة 1412هـ ، ط1، بيروت : ج2/ ص347.

(٣) فتح الباري: ج1/ ص9 .

(٤) أخرجه البخاري ،باب قول الله تعالى انا ارسلنا نوحاً،ج11/ص123، رقم (3340).

نقل ابن حجر عن بعضهم في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾ النساء: ١٦٣ (قيل قدم ذكر نوح فيها لأنه أول نبي أرسل أو أول نبي عوقب قومه فلا يرد كون آدم أول الأنبياء مطلقا) [١].

ويقول ابن حجر (رحمه الله) في موضع اخر: (وأما قول أهل الموقف لنوح كما صح في حديث الشفاعة أنت أول رسول إلى أهل الأرض فليس المراد به عموم بعثته بل إثبات أولية إرساله) [٢].

ويسترسل الحافظ ابن حجر بالحديث فيقول "فأما كونه أول الرسل فقد استشكل بأن آدم كان نبياً، وبالضرورة تعلم أنه كان على شريعة من العبادة، وأن أولاده أخذوا ذلك عنه، فعلى هذا فهو رسول إليهم ، فيكون هو أول رسول" [٣] هذا هو الإشكال ، ثم أخذ الحافظ يورد احتمالات للجواب عن هذا الإشكال، إلا أن تلك الاجوبة التي ذكرها هي مجرد احتمالات وليس عليها دليل، ولكنه في موضع آخر أشار إلى الجواب الصحيح حيث قال: "ومن الأجوبة : ان الأولية مقيدة بقوله أهل الأرض لأن ادم ومن ذكر معه لم يرسلوا إلى أهل الأرض ويجاب بأن بعثته إلى أهل الأرض باعتبار الواقع لصدق انهم قومه،والجواب الاخر أن رسالة آدم كانت الى بنيه وهم موحدون، ليعلمهم شريعته، ونوح كانت رسالته إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد"[٤].

هذا الجواب هو الصحيح لكنه لا يرفع هذا الإشكال في هذا الامر؛ لأن هذا الأمر إذا بني على الفرق الذي ذهب إليه العلماء في أن الرسول من أوحي إليه بشيء وأمر بتبليغه ، والنبي من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ، وعلى هذا فآدم رسول ؛لأنه أوحي إليه وأُمر بالتبليغ إلى بنيه كما بينا في كلام الحافظ، فيكون هو

(١) ينظر فتح الباري: ج1/ ص9 .

(٢) ينظر فتح الباري: ج1/ ص436 .

(٣) ينظر فتح الباري: ج6/ ص372- 373 .

(٤) ينظر المصدر نفسه: ج11/ ص434.

أول رسول، فأشكل ذلك مع ما ورد في الخبر من وصف نوح بأنه أول رسول إلى أهل الأرض(١).

ويرتفع الاشكال أصلاً إذا بني الامر على ان الرسول هو من بعث برسالة إلى قوم مخالفين، والنبي غير ذلك، فإنه بناء على هذا يكون آدم نبياً لا رسولاً، وهو أول الانبياء، ويكون نوح نبياً رسولاً، فهو أول الرسل(٢) والله تعالى أعلم.

المطلب الثاني: صفات الأنبياء

سبق أن بينا معنى النبوة وأنها منة من الله تعالى يمن بها على من يشاء من عباده" لكن هذا المعنى المسمى بالنبوة، لا يخص الله به إلا من خصه بصفات كمال نوعه من المعارف والعلوم والفضائل والآداب، مع تنزهه عن النقائص"(٣).

ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه عن صفات الأنبياء وأنهم في غاية الكمال وأنهم أبعد الناس عن النقص فيقول «**الأنبياء في خَلقِهم وخُلُقِهم على غاية الكمال، ومن نسب نبياً من الأنبياء إلى نقص فقد آذاه، ويخشى على فاعله الكفر**» (٤).

وبين الحافظ ابن حجر في كتابه " فتح الباري" أبرز صفات الرسل ومميزاتهم، ومن ذلك ما يلي:

أولاً: التبليغ:

وهذهِ الصفة من أعظم الصفات الواجبة على الرسل أن يبلغوها للناس قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٣٩ ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية:39].

---

(١) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة / ص1214.

(٢) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة / ص1214 .

(٣) الكلام للقرطبي أورده الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري :ج 12/ ص368.

(٤) فتح الباري للعسقلاني : ج6/ ص438.

يقول السعدي في معرض تفسيره لهذه الآية- **(أي يتلون على العباد آيات الله وحججه وبراهينه ويدعونهم إلى الله (ويخشونه) وحده لا شريك له (ولا يخشون أحداً إلا الله)** ، فإذا كان هذا سنة في الأنبياء المعصومين الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها أتم القيام، وهو دعوة الخلق إلى الله والخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور ، وترك كل محظور، ((دل ذلك على انه لا نقص فيه بوجه)) (١) ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [سورة المائدة/ الآية:67].

يقول ابن حجر في المراد بهذا الأمر في الآية "اختلف في المراد بهذا الأمر: فقيل: المراد بلغ كما أنزل... وقيل: المراد بلغه ظاهراً، ولا تخشَ من أحد فإن الله الذي يعصمك من الناس هذا من وجه، والثاني: فهو أخص من الأول، وعلى هذا لا يتحد الشرط والجزاء، لكن الأَولى قول الأكثر لظهور العموم في قوله تعالى: (ما أنزل) والأمر للوجوب، فيجب عليه تبليغ كل ما أنزل إليه، والله أعلم" (٢).

وبين الحافظ في موضع آخر - "أن التبليغ على نوعين:-

أحدهما:- وهو الأصل:- أن يبلغه بعينه، وهو خاص بما يتعبد بتلاوته وهو القرآن.

وثانيهما:- أن يبلغ ما يستنبط من أصول ما تقدم إنزاله، فينزل عليه موافقته فيما استنبطه إما بنصه، وإما بما يدلّ على موافقته بطريق الاولى(٣).

ثانياً: الصدق والأمانة:

نقل ابن حجرعن الطيبي قوله:الصدق: يعبر به قولا عن مطابقة القول المخبر عنه ويعبر به فعلا عن تحري الأخلاق المرضية كقوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان للشيخ عبد الرحمن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، مكتبة ابن سعدي ، ط1، سنة (1425هـ) / ص783.

(٢) فتح الباري : ج13/ ص504.

(٣) المصدر نفسه: ج13/ ص507.

﴿ بِٱلصِّدۡقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾ الزمر: ٣٣ : أي حقق ما أورده قولا بما تحراه فعلا[١]

وذكر كلاماً نقله عن الراغب الاصفهاني في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ التوبة: ١١٩.

(والصدق: مطابقة القول الضمير والمخبر عنه فإن انخرم شرط لم يكن صدقا بل إما أن يكون كذبا،أو مترددا بينهما على اعتبارين كقول المنافق محمد رسول الله فإنه يصح أن يقال صدق لكون المخبر عنه كذلك، ويصح أن يقال كذب لمخالفة قوله لضميره والصديق من كثر منه الصدق)[٢].

أورد الحافظ في كتابه "فتح الباري" كلاماً للقرطبي رحمه الله في شأن الأنبياء قال فيه: ((فالصدق أعظم أوصافهم يقظة ومناماً)) [٣].

وفي شرح الحافظ لحديث النبي ﷺ يوم حنين (أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب) [٤] "فأما قوله: (لاكذب) فيه إشارة إلى أن صفة النبوة يستحيل معها الكذب، فكأنه قال: أنا النبي، والنبي لا يكذب، فلست بكاذب فيما أقول حتى أنهزم، وأنا متيقن بأن الذي وعدني الله به من النصر حق، فلا يجوز علي الفِرار، وقيل: معنى قوله: (لا كذب) أي أنا النبي حقاً، لا كذب في ذلك[٥] .

وأما ما ورد في الحديث من قوله ﷺ : "لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات" [٦]، فنقل الحافظ عن ابن عقيل أنه قال: ((دلالة العقل تصرف ظاهر

---

(١) فتح الباري: ج1/ ص226.
(٢) فتح الباري: ج10/ ص507.
(٣) المصدر نفسه: ج 12/ ص 368.
(٤) أخرجه البخاري في الفتح: ج3/ ص1051, رقم الحديث(2709) .
(٥) فتح الباري: ج8/ ص31.
(٦) أخرجه البخاري مع الفتح: ج 6/ ص 388 رقم (3357) مختصراً، ورقم (3358) طويلاً بزيادة، "ثنتين منهن في ذات الله عزوجل: قوله " اني سقيم" ، وقوله :" بل فعله كبيرهم هذا" ، والثالثة في قصة إمرأته سارة عندما سأله أحد الجبابرة عنها فقال : هي أختي).

إطلاق الكذب على إبراهيم، وذلك أن العقل قطع بأن الرسول ينبغي أن يكون موثوقاً به، ليُعلم صدق ما جاء به عن الله، ولا ثقة مع تجويز الكذب عليه، فكيف مع وجود الكذب منه، وإنما أطلق عليه ذلك لكونه بصورة الكذب عند السامع، وعلى تقديره فلم يصدر ذلك من إبراهيم عليه السلام – يعني إطلاق الكذب على ذلك – إلا في حال شدة الخوف لعلو مقامه، وإلا فالكذب المحض في مثل تلك المقامات يجوز ، وقد يجب لتحمل أخفّ الضررين دفعاً لأعظمهما، وأما تسميته إياها كذبات فلا يرد أنها تذم ، فإن الكذب وإن كان قبيحاً مخلّ، ولكنه قد يحسن في مواضع وهذا منها)) (١).

ثالثاً: العصمة

((الكلام في هذا المقام مبني على (أصل) : وهو أن الأنبياء صلوات الله عليهم معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته بإتفاق الأمة، ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه)) (٢) ،كما قال تعالى: ﴿ **قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦** ﴾ [سورة البقرة/ الآية:136] ، وقال تعالى: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤** ﴾ [سورة النجم: الآيتان:3-4].

"وهذهِ العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة"(٣).

ومسألة العصمة مما تعرض لها الحافظ في كتابه "فتح الباري" حيث ذكر تعريف العصمة، وبين أنها من الصفات الواجبة للأنبياء دون غيرهم، وأنها ثابتة لهم في كل حال، وتطرق إلى أمرين مما وقع فيه النزاع في هذهِ المسألة وهما

---

(١) فتح لباري : ج6/ ص 392.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ج10/ ص289.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : ج 10/ ص290.

عصمة الأنبياء قبل النبوة، وعصمتهم من كبائر الذنوب وصغائرها، وفيما يلي بيان ذلك:

تعريف العصمة:

العِصْمَة في كلام العرب المَنْعُ وعِصْمَةُ الله عَبْدَه أن يَعْصِمَه مما يُوبِقُه عَصَمه يَعْصِمُه عَصْماً منَعَه ووَقَاه[١]

العصمة: ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليه[٢]قال الشاطبي:العصمة تنفي ما يحتمل في حق غيره مما يترتب عليه الإنكار، فلا يقر على باطل) [٣]

وأصل العصمة من العصام وهو الخيط الذي يشد به فم القربه ليمنع سيلان الماء[٤]

قال الحافظ – في شرح (باب المعصوم من عصم الله) من كتابة القدر ((أي من عصمه الله بأن حماه من الوقوع في الهلاك، أوما يجر إليه، يُقال: عصمه الله من المكروه ، وقاه وحِفظه ، واعتصمت بالله لجأت إليه ، وعصمة الأنبياء – على نبينا وعليهم الصلاة والسلام:- حفظهم من النقائص، وخصّهم بالكمالات النفسية، والنصرة والثبات في الأمور، وإنزال السكينة، والفرق بينهم وبين غيرهم أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب ، وفي حق غيرهم بطريق الجواز)) [٥].

وقد استشكل وقوع الاستغفار من النبي صلى الله عليه و سلم وهو معصوم والاستغفار يستدعى وقوع معصية وأجيب بعدة أجوبة منها انه مثل في قوله ﷺ(إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِى وَإِنِّى لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِى الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ) [٦].

---

(١) لسان العرب لأبن منظور:ج12/ص403.

(٢) المعجم الوسيط ،إبراهيم مصطفى واخرون دار الدعوة تحقيق / مجمع اللغة العربي ج2/ص605.

(٣) الاعتصام للشاطبي :ج327/13.

(٤) فتح الباري :ج1/ص76 .

(٥) فتح الباري : ج11/ ص 501- 502 .

(٦) رواه مسلم، باب استحباب الاستغفار، :ج8/ص72، رقم الحديث7033 .

الغين ومنها قول بن الجوزي هفوات الطباع البشرية لا يسلم منها أحد والأنبياء وان عصموا من الكبائر فلم يعصموا من الصغائر كذا قال وهو مفرع على خلاف المختار والراجح عصمتهم من الصغائر أيضا ومنها قول بن بطال الأنبياء أشد الناس اجتهادا في فهم دائبون في شكره معترفون له بالتقصير(١).

عصمة الأنبياء في كل حال:

أخرج البخاري من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: (اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فتنازعوا ، ولا ينبغي عند نبيّ نزاع، فقالوا ما شأنه؟ أهَجَر، إستفهموه)(٢).

وذكر الحافظ أن العلماء تكلموا في هذا الحديث فأطالوا ، ومن مواضع الكلام فيه قوله: (أهجَرَ) – من الهجر – بالضم ثم السكون – بمعنى الهذيان قال: والمراد به هنا ما يقع من كلام المريض الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته، ووقوع ذلك من النبي ﷺ مستحيل؛ لأنه معصوم في صحته ومرضه لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة النجم/ الآية 3] ، ولقوله ﷺ ((إني لا أقول في الغضب والرضا إلا حقاً)) (٣).

ثم أخذ الحافظ ابن حجر يذكر ما قيل في المراد بهذا اللفظ ممن أطلقه من الصحابة، في ذلك المجلس لما يفهم منه من نسبة الهجر إلى رسول الله ﷺ المعصوم، عن مثل ذلك، ورجح احتمال كون قول ذلك بعض من قرب دخوله في الإسلام، وكان يعهد أن من اشتد عليه الوجع قد يشتغل به عن تحرير ما يريد أن يقوله لجواز وقوع ذلك(٤).

---

(١) فتح الباري : ج11/ ص 101-102 .

(٢) صحيح البخاري ، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب: ج 3/ ص 1155، رقم الحديث2997.

(٣) أخرجه أبو داود بمعناه في سننه :ج4/ ص60- 61 ، رقم الحديث (3646) .

(٤) فتح الباري: ج8/ ص133.

العصمة قبل النبـوة:

وهذا من مواضع النزاع والأختلاف بين العلماء، وأشار الحافظ إلى القول بامتناع ذلك حيث قال: ((وقد قال القاضي عياض، في عصمة الأنبياء قبلَ النبوة، إنها كالممتنع؛ لأن النواهي إنما تكون بعد تقرير الشرع، والنبي ﷺ لم يكن متعبداً قبل أن يوحي إليه بشرع من قبله على الصحيح، فعلى هذا فالنواهي إذا لم تكن موجودة فهي معتبرة في حقه والله أعلم)) [١].

وأشار شيخ الاسلام ابن تيمية الى كون عصمة الأنبياء قبل النبوة من مواضع النزاع [٢]، وفي بعض كلامه ما يدلّ على أنّ القول بالعصمة قبل النبوة مما يقوله طائفة من الرافضة وغيرهم[٣].

وذكرالقاضي عياض في كتابه (الشفا): لا خلاف في عصمتهم من الكفر بعد النّبوة ، وكذا قبلها على الصحيح ،ويقول أيضاً :قد أجمعوا على عصمتهم في التبليغ ودعوى الرسالة[٤]

العصمة من الكبائر والصغائر:

الكبيرة :كل معصية تؤذن بقلة اكتراث مرتكبها بالدين ورقة الديانة أو كل ما توعد عليه بخصوصه في الكتاب أو السنة أو ما فيه حد أو غير ذلك [٥].

---

(١) المصدر نفسه: ج7/ ص144.

(٢) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية : ج10/ ص (292- 293) .

(٣) المصدر نفسه: ج10/ ص309.

(٤) ينظرالشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، مطبعة الحلبي:ج2/ص793.

(٥)التعاريف ،محمد عبد الرؤوف المناوي ، دار الفكر -بيروت , دمشق ، 1410 الطبعة الأولى تحقيق : د. محمد رضوان الداية /ص598.

ويقول الجرجاني الكبيرة :هي ما كان حراما محضا شرعت عليه عقوبة محضة بنص قاطع في الدنيا والآخرة [١]ويقول صاحب المعجم الوسيط:**الكبيرة** : الإثم الكبير المنهي عنه شرعا كقتل النفس[٢].

الصغيرة: الذنب القليل، وجمعها صغائر [٣]

والدليل عليهما قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ النجم: ٣٢

ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه عن العصمة التي تتعلق بالأنبياء قال فيه ((والأنبياء معصومون من الكبائر بالاجماع، واختلف في جواز وقوع الصغائر))[٤]. وأن الحافظ ابن حجر يقول بعصمة الأنبياء من الكبائر والصغائر جميعاً، وقد نقل في موضع آخر – ترجيح هذا القول مع بيان منزعه عن القاضي عياض حيث قال –بعد ذكر الاتفاق على عصمتهم من كبائرالذنوب [٥] – : ((واختلفوا فيما عدا ذلك كله من الصغائر، فذهب جماعة من أهل النظر إلى عصمتهم منها مطلقاً، وأوّلوا الأحاديث والآيات الواردة في ذلك بضروب من التأويل، ومن جملة ذلك أن الصادر عنهم إما أن يكون بتأويل من بعضهم، أو يسهو ، أو بإذن ، لكن خشوا أن لا يكون ذلك موافقاً لمقامهم فأشفقوا من المؤاخذة أو المعاتبة ، قال: وهذا أرجح المقالات، وليس هو مذهب المعتزلة، وإن قالوا بعصمتهم مطلقاً، لأن منزعهم في ذلك التكفير بالذنوب مطلقاً، ولا يجوز على النبي الكفر. ومنزعنا أن امة النبي مأمورة بالاقتداء به في أفعاله، فلو جاز منه

---

(١)التعريفات،علي بن محمد بن علي الجرجانيدار الكتاب العربي – بيروت ط1 ، 1405/ص235

(٢)المعجم الوسيط أحمد الزيات واخروندار الدعوةتحقيق / مجمع اللغة العربية ج2/ص773.

(٣)المصدر نفسه: ج1/ص515.

(٤) فتح الباري: ج8/ 69 .

(٥) الشفا، للقاضي عياض: ج2/ 746 .

وقوع المعصية للزم الأمر بالشيء الواحد والنهي عنه في حالة واحدة وهو باطل(١).

قال القاضي عياض في مسألة العصمة من الصغائر:واختلفوا فيما عداها من الصغائر والخطأ والنسيان والسهو وجمهورهم على جوازها عليهم ،مع كونهم لايقرون على فعلها ،ولايصرون على عملها،بل لا بد ان يتنبهوا لها ويتوبوا منها(٢).

وهذا هو رأي الحافظ في هذه المسألة ولكن بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أنّ القول بعصمة الأنبياء من الصغائر هو خلاف القول المعروف عن السلف، وعن أكثر علماء الإسلام، بل وخلاف المعروف من قول أكثر أهل الكلام، وأهل التفسير ، والحديث والفقهاء(٣).

قال ابن تيمية(رحمه الله): ((وإنما نقل ذلك في العصر المتقدم عن الشيعة الإمامية، ثم عن بعض المعتزلة، ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين، وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يقرّون عليها، ولا يقولون: إنها لا تقع بحال، وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقاً، وأعظمهم قولاً لذلك: الرافضة ، فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان، والسهو، والتأويل(٤) .

وانقسم علماء الكلام في ذلك الى مذهبين:

الاول:الطبري، والجويني من الاشاعرة ، وابوهاشم الجبائي،والقاضي عبد الجبار المعتزلي، في انها تقع من الانبياء (عليهم الصلاة والسلام) واستدلوا على قولهم بالأأت منه قوله تعالى:﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ الفتح: ٢ ،وقوله

(١)الشفا، للقاضي عياض: ج2/ص745-746؛ وفتح الباري: ج11/ ص440- 441.

(٢)الشفا، للقاضي عياض: ج2/ 746 .

(٣) ينظر مجموع الفتاوى للشيخ الاسلام ابن تيمية : ج4/ ص319.

(٤) المصدر نفسه :ج 4/ ص320.

تعالى ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾ الشرح:الاية 2 ،وقوله تعالى ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ التوبة: ٤٣

الثاني: ذهبوا الى عصمةالانبياء من الصغائر كعصمتهم من الكبائر وإن منصب النبوة يَجِلُ عن مُواقَعتِها وعن مُخالفة الله تعالى عمداً وهو قول جماعة من أهل التحقيق من الفقهاء المتكلمين كالشافعي وابي حنيفة وبه قال القاضي عياض وجماعة من ائمة الاشعرية حيث قالوا:أنهم معصومون من الصغائركعصمتهم من الكبائرواستدل القاضي عياض على امتناع تعمدالصغيرة مطلقاً:(بأختلاف الناس بالصغائر وتعينها من الكبائر [١])

وقول ابن عباس: ان كل ماعصي الله به فهو كبيرة،وانه انما سميَّ منها الصغيرة والاضافة الى ماهو أكبر منه ومخالفة الباري في أي امر كان يجب كونه كبيرة [٢] ، وهذا ماذهب اليه الامام النووي:بعد ان أورد الاقوال كلها فقال(وهذا المذهب هوالحق، ولأنه لوصح منهم ذلك لما الزمنا الاقتداء بأفعالهم وإقرارهم وكثير من أقوالهم) [٣]

وقد مال الى هذا القول التفتازاني صريحاً في مقاصده بقوله:(فهم معصومون من الصغائر والكبائر قبل البعثة وبعدها) [٤]

وزعم بعض غلاة الشيعة الامامية: ومنهم هشام ابن الحكم ان العصمة للأئمة أولى من العصمة للأنبياء، فكان يشترط العصمة في الامام ويجيز الخطأ على النبيﷺ[٥]

ولهذا جعل شيخ الاسلام هذا القول أحد قولين متطرفين في مسألة العصمة، حيث قال: « واعلم أن المنحرفين في مسألة العصمة على طرفي نقيض، كلاهما مخالف لكتاب الله من بعض الوجوه: قوم أفرطوا في دعوى امتناع الذنوب حتى

---

(١) الشفا للقاضي عياض: ج2/ ص144-145.
(٢) التفتازاني، شرح المقاصد: ج5/ ص49.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم،النووي: ج5/ ص49.
(٤) التفتازاني، شرح المقاصد: ج5/ ص49.
(٥) أصول الدين الاسلامي،البغدادي: / ص167.

حرّفوا نصوص القرآن المخبرة بما وقع منهم من التوبة من الذنوب، ومغفرة الله لهم، ورفع درجاتهم بذلك، وقوم أفرطوا في أن ذكروا عنهم ما دلَّ القرآن على براءتهم منه، وأضافوا إليهم ذنوباً وعيوباً نزههم الله عنها. وهؤلاء مخالفون للقرآن ، ومن أتبع القرآن على ما هو عليه من غير تحريف كان من الأمة الوسط، مهتدياً إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله علهيم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين» (١).

إذاً فالقول الوسط في هذه المسألة هو أن الصغائر يجوز وقوعها من الأنبياء فهو لايكون معصية اذا لم يكن عن قصد،وكذلك اذا كان من قبيل الخطأ في الاجتهاد فجائز أيضاً، ولكنهم لا يقرّون عليها، ويسارعون بالتوبة منها والإنابة إلى الله تعالى، ولذلك لم يذكر الله تعالى عن نبيّ شيئاً من ذلك إلا مقروناً بتوبته منه وتوبته تعالى عليه.

وبهذا يجاب عما احتج به من قال بالعصمة المطلقة من أن الأمة مأمورون بالتأسيّ بالنبيّ، وأن تجويز وقوع الصغائر منه يقدح في التأسي، فالجواب أن التأسيّ إنما هو فيما أُقرّوا عليه، كما إن النسخ جائز فيما يبلغون من الأمر والنهي، وليس تجويز ذلك مانعاً من وجوب الطاعة؛ لإن الطاعة تجب فيما لم ينسخ، فعدم النسخ يقرر الحكم، وعدم الانكار يقرر الفعل، والاصل عدم كل منهما(٢).

غير الأنبياء ليس بمعصوم:

وإذا تقرر ما سبق من القول بعصمة الأنبياء، فإن تلك العصمة من صفات الأنبياء التي إختصوا بها دون غيرهم لتحصيل مقصود النَبوة والرّسالة ، وقد قرر الحافظ ، ذلك حيث قال: « إن غير النبيّ ولو بلغ من الفضل الغاية ليس بمعصوم» (٣) وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً لأهل الرفض الذين يجعلون أئمتهم معصومين كالأنبياء كما ذكره الامام الاشعري عنهم(أن الائمة لايجوز ان يعصوا الله عز وجل كماهو غير جائز في حق الانبياء (عليهم

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى: ج15/ ص150.

(٢) ينظر مجموع الفتاوى: ج15 / ص148، وج10/ ص293.

(٣) فتح الباري: ج7/ ص26.

السلام)لأنهم جميعاً حجج الله وهم معصومون من الزلل) [١] ، وبعض أهل التصوف الذين بالغوا في تقديس شيوخهم حتى إدعوا فيهم العصمة [٢] نسأل الله أن يهدينا صراطه المستقيم ويجنبنا أهل الزيغ والضلال.

صفات تجوز على الأنبياء:

أشار الحافظ في كتابه " فتح الباري" (إلى أن رسل الله وإن كانوا أكرم الخلق على الله، فهم مع ذلك مقرون بأنهم عبيد الله) [٣]، ولذلك يجوز عليهم ما يجوز على البشر من العوارض الدنيوية، كالأسقام والآلام، ونحوها من غير نقص في مقدارهم بذلك، بل ليزداد قدرهم رفعة ، ومنصبهم جلالة، وليعظم لهم بذل الأجر ، وليتأسى بهم أتباعهم في الصبر على المكارة، والعاقبة للمتقين [٤] .

ومن الأمور الجائزة على الأنبياء السهو والنسيان فيما ليس طريقه البلاغ مطلقاً، وفيما طريقه البلاغ مطلقا، لكن بشرطين:

أحدهما: أنه بعد ما يقع منه تبلغه.

والآخر: أنه لا يستمر على نسيانه، بل يحصل له تذكرة إما بنفسه ، وإما بغيره، وفائدة جواز السهو والنسيان بيان الحكم الشرعي فيما وقع فيه ذلك، إذا وقع مثله لغيره.

ومنها قوله: بجواز النسيان على الأنبياء في أمر العبادة لأجل التشريع [٥]

وأن النسيان جائز على النبي صلى الله عليه و سلم ولا نقص عليه في ذلك لا سيما فيما لم يؤذن له في تبليغه وقد يكون في ذلك مصلحة تتعلق بالتشريع كما في السهو في الصلاة أو بالاجتهاد في العبادة[٦]

---

(١) مقالات الاسلاميين،الاشعري، أبو الحسن علي بن اسماعيل(ت330 هـ) ،ج1/ص116.

(٢) ينظر مجموع الفتاوى : ج10/ ص290.

(٣) ينظرفتح الباري: ج8/ ص220.

(٤) المصدر نفسه : (ج2/ ص181، وج7/ ص373) .

(٥) ينظرفتح الباري: ج2/ ص122 .

(٦) المصدر نفسه : ج4/ ص259 .

المبحث الثالث :

التفاضل بين الأنبياء

لقد دلت النصوص الصحيحة من كتاب الله تعالى والسنة المطهرة على أن الأنبياء متفاضلون فيما بينهم لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء/الآية55] فهذا نص صريح في تفاضل الأنبياء.

وأما قوله تعالى: ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [سورة البقرة/الآية136] فهو بإعتبار الإيمان بهم وبما أنزل إليهم.

ومن المعلوم أن العلماء تكلموا في المفاضلة بين الأنبياء، إذ جاءت النصوص من الكتاب، يوحي ظاهرها بالتعارض قال تعالى ﴿ ۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍۚ ﴾ [سورة البقرة/ الآية:253].

﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ ﴾ [سورة الإسراء/الآية: 55]، وجاءت النصوص بتفضيل نبينا على سائر الأنبياء، لما خصه الله سبحانه من الفضائل والكرامات التي لم تكن لمن سواه من المرسلين، قال ﷺ: (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع) [١].

وقال ﷺ: (فضلت على الأنبياء بستٍّ: أُعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون) [٢] . وقال: (أنا أول من يأخذ بحلقة باب الجنة

(١) رواه مسلم ،كتاب الفضائل ، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق :ج15/ ص42، حديث رقم (2278) .

(٢) رواه مسلم ، كتاب المساجد، باب مواضع الصلاة ، ج5/ ص8 ، رقم الحديث (524).

فأقعقعها) [١] وغيرها من النصوص الدالة على فضله ﷺ على سائر الخلائق في الدنيا والآخرة.

وأما ما جاء مما قد يفهم منه تفضيل بعض الأنبياء على نبينا محمد ﷺ كما جاء ذلك في حديث أنس رضي الله عنه الذي قال فيه (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا خير البرية، قال رسول الله ﷺ : ذاك إبراهيم عليه السلام" [٢] .

قال القرطبي في شرحه لهذا الحديث مزيلاً الاشكال الواقع من تعارض هذا الحديث مع غيره من الأحاديث التي تدل على أنه (عليه الصلاة والسلام) أفضل ولد آدم حيث قال: "قد عارض هذا الحديث قوله ﷺ : "**أنا سيد ولد آدم**" [٣]، وما علم من غير ما موضع من الكتاب والسنة وأقوال السلف، أنه أفضل ولد آدم ، وقد إنفصل عن هذا بوجهين:

أحدهما: أن ذلك من النبي ﷺ على جهة التواضع، وترك التطاول على الأنبياء كما قال ﷺ : "**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وأنا أكرم ولد آدم على ربي يوم القيامة ولا فخر**" [٤] وخصوصاً على ابراهيم الذي هو أعظم آبائه وأشرفهم.

وثانيهما: أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم منزلته عند الله تعالى، ثم إنه أعلم بأنه أفضل وأكرم، فاخبر به كما أمر، ألا ترى أنه كان في أول أمره يسأل أن يبلغ

---

(١) رواه أحمد في مسنده ج 1/ ص281؛ والترمذي في كتاب التفسير ، وقال حديث حسن صحيح، وصححه الالباني في صحيح الجامع ج1/ ص306 / حديث رقم (1459).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام حديث رقم (2369) ج15/ ص130.

(٣) رواه ابن ماجه، سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني تحقيق عزت الدعاس / كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة ، وصححه الالباني في صحيح الجامع ج 1 / ص309/ حديث رقم (1467) ، دار الحديث ، ط1 ، 1969م .

(٤) أخرجه الترمذي في سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي (ت 279هـ) ، تحقيق أحمد شاكر دار احيار التراث العربي/ باب فضل النبي وضعفه الالباني في صحيح الجامع/ ص283.

درجة ابراهيم من الصلاة عليه والرحمة والبركة والخلة، ثم بعد ذلك أخبرنا أن الله تعالى قد أوصله إلى ذلك لما قال: **(إنّ الله تعالى قد إتَّخَذَني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً)** (١).

ويقرر ابن حجر الهيتمي في كتابه(التعرف):على أفضلية نبينا محمد ﷺ على من سواه فيقول: "وهو أفضل المخلوقين كلهم بشهادة قوله ﷺ : "أنا سيد الناس يوم القيامة"(٢)، وقوله " أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وبيدي لواء الحمد، ولا فخر، وما من بني آدم فمن سواه إلا تحت لوائي"(٣).

ومن هذا .. علمت أفضليته على آدم، فقوله : ((أنا سيد ولد آدم إما للتأدب مع آدم، أو لأنه علم فضل بعض بنيه عليه كإبراهيم ، فإذا فضل نبينا الأفضل من آدم فقد فضل آدم بالأولى...)) (٤).

يجمل ابن حجر الهيتمي الكلام في المفاضلة بين بقية الرسل والأنبياء فيقول: "أرسل تعالى رسله بالمعجزات وخص نبينا ﷺ .. المفضل عليهم، ثم بقية أولي العزم، ويتردد النظر في نوح وعيسى ، ثم بقية الرسل ثم الأنبياء"(٥).

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (354هـ) ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، تحقيق شعيب الارنؤوط سنة 1413هـ، ج14 / ص 334 / حديث رقم (6425).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ج 4/ ص1745، حديث رقم (4435) ، ومسلم ج 1/ ص 184، رقم (194).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة بني إسرائيل (ج 5/ 288) رقم (3148) ، وابن ماجه ، كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة (ج 2/ 1440) رقم (4308)، قال الترمذي (حديث حسن) .

(٤) فتح المبين / ص (19- 20)؛ وينظر التعرف في الاصلين والتصوف ، مطبوع بحاشية كتاب التلطف في الوصول إلى التعريف لابن علان المكي، مطبعة الترقي الماجدية العثمانية، مكة المكرمة 1330هـ / ص (115- 117) ؛ المن المكية ج 1/ ص(119 ، 122، 158) ؛ أشرف الوسائل / ص77.

(٥) التعرف/ ص114- 116.

وقال ابن حجر الهيتمي أيضاً: "إبراهيم أفضل الأنبياء بعد محمد ﷺ"[١]

الرأي في هذهِ المسألة هو:

القول بجواز المفاضلة بين الأنبياء والرسل كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة، وقول أكثر أهل العلم.

وأما الاجماع : فقد أجمع العلماء كافة على أنَّ الرسل أفضل من الأنبياء وأجمعوا على المفاضلة بين احادهم.

وأما النصوص الواردة في النهي عن المفاضلة – والتي ذكرها ابن حجرالعسقلاني بعضها فقد اختلف أهل العلم في توجيهها، وذهبوا في ذلك مذهبين:– [٢]

أحدهما: مذهب الجمع:وهو مذهب أكثر أهل العلم، واختلف هؤلاء في وجهه على أقوال[٣].

والثاني: مذهب النسخ: وهو مذهب بعض أهل العلم، حيث قالوا بنسخ نصوص النهي عن التفضيل بما ورد في المفاضلة[٤].

وأصح المذهبين فيما يظهرلي – مذهب الجمع، وأولى الأقوال فيه، القول بأن نصوص النهي عن المفاضلة محمولة على ما كان يؤدي إلى توهم لنقص في

---

(١) الدرالمنضود في الصلاة والسلام على صاحب المقام المحمود ، لابن حجر الهيتمي ، تحقيق (حسنين محمد محمود) ، مطبعة المدني ، مصر (بدون تاريخ) /ص100.

(٢) آراء ابن حجر الهيتمي الإعتقادية عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف، لمحمد بن العزيز الشايع، مكتبة دار المنهاج، الرياض/ ص415.

(٣) ينظر فتح الباري ج6/ ص446؛ ودلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأحمد الحسن البيهقي (ت 458هــ) ،تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار القلم بيرت، ط 1 ، 1405هــ / ج5/ ص 491- 500؛ مشكل الاثار أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوية، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1408هــ / ج1 / ص308؛ ومعالم السنن حمد الخطابي ، تحقيق عزت الدعاس ، ط 1 ، لسنة 1388هــ / ج4/ ص 286؛ شرح الطحاوية / ج1/ ص159؛ المنهاج في شعب الإيمان ، الحسين بن الحسين الحليمي ، تحقيق حلمي محمود فودة، دار الفكر ط1 ، 1399، ج2/ ص117.

(٤) ينظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت761هــ) ، دار الشام ، بيروت ، ج3/ 262 ؛ فتح الباري للعسقلاني ج6/ ص452.

المفضول أو الغض منه، أو كان على وجه الازدراء به ، ونصوص المفاضلة محمولة على ما خلا عن ذلك[١].

وبناء على ما سبق, فأن القول بجواز المفاضلة هو ما عليه عامة العلماء، وأن النهي عن ذلك لا يعارضه مما وافق فيه أهل العلم، وأصاب فيه الحق.

وأما تحقيق القول في المفاضلة بين الرسل والأنبياء فلا شك ولا ريب أن أفضل الرسل نبينا محمد ﷺ، لتواتر النصوص في ذلك، وقيام إجماع أهل العلم عليه.

فقد تواترت نصوص الكتاب والسنة نصاً وظاهراً في الدلالة على أفضليته ﷺ على غيره من الأنبياء والرسل، وأوردها غير واحد من أهل العلم، ممن كتبوا في خصائصه ﷺ [٢].

وأجمعت الأمة على القول بمقتضاها[٣] .

---

(١) اختار هذا القول الخطابي في معالم السنن له (4/ 286) ؛ والحليمي في المنهاج له (2/ 117) ؛ وشيخ الإسلام ابن تيميه في مجموع الفتاوى : ج 14/ ص 346 ؛ وابن ابي العزفي شرح الطحاوية / ج1/ 159.

(٢) غاية السؤال في خصائص الرسول لعمر بن علي بن الملقن ، تحقيق عبد الله بحر الدين عبد الله، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 2، 1422هـ/ 223؛ واللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ لمحمد بن محمد بن عبد الله الخيضري، تحقيق د. محمد أمين الشنقيطي، دار البخاري، المدينة ط 2/ 1417هـ، ج 2/ ص 5؛ ومرشد المحتار الى خصائص النبي المختار لمحمد بن علي بن طولون الدمشقي الصالحي تحقيق د. بهاء محمد الشاهد، مكتبة الامام الشافعي/ ص 323، الخصائص الكبرى لجلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1 ، 1405/ ج2/ 314.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى الباجي الحلبي / ج1/ 215؛ تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط2 ،بدون تاريخ، ج6/ 195.

يقول القاضي عياض "رحمه الله" بـــ (لاخلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم وأفضل الناس منزلة عند الله، وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى, 0000 وأعلم أن الأحاديث في ذلك كثيرة جداً) (١).

وقرر السلف ذلك في عقائدهم ،وعدوه من معاقد العقائد، التي يجب الإيمان بها ، فقد عقد الإمام الآجري في كتاب الشريعة باباً بعنوان: "باب ما فضل الله عزوجل به نبينا ﷺ في الدنيا من الكرامات على جميع الأنبياء ﷺ (٢).

نقل المقدسي كلاماً عن الإمام الغزالي قال فيه : (فصل : ونعتقد أن محمداً المصطفى خير الخلائق، وأفضلهم وأكرمهم على الله عزوجل ، وأعلاهم درجة ، وأقربهم إلى الله وسيلة) (٣).

ويلي نبينا محمداً ﷺ في الفضل بقية أولي العزم الذين أثنى الله علهيم، وامر نبيه بالاقتداء بهم في قوله سبحانه ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ ﴾ [سورة الأحقاف/ الآية35] .

وقد اختلف أهل العلم في تعيينهم ، فمنهم من عينهم بالصفة، ومنهم من عينهم بالتسمية، وأصح الأقوال أنهم الخمسة المذكورون نصاً في قوله عزوجل: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب/ الآية: 7].

(١) الشفا ، للقاضي عياض: ج 1/ 215.

(٢) الشريعة لمحمد بن الحسين الاجري تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي ، دار الوطن، الرياض، ط1 ، لسنة1418 هـــ : ج3/ 1552.

(٣) الإقتصاد في الأعتقاد لمحمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 ، لسنة 1409 هــ/ ص196.

وأما الأحاديث الصحيحة : "لا تفضلوا بين الأنبياء" [(١)]، و"لا تخيروا بين الأنبياء"[(٢)] ، فهي إما قبل علمه بالتفضيل أو على تفضيل يؤدي إلى تنقيص أو إلى نقص مقام أحدهم، وعليهما يدل سياق الحديث ،أو على التفضل في ذات النبوة والرسالة، فإنهم كلهم مشتركون في ذلك، لا يتفاوتون فيه، وإنما يتفاوتون في زيادة الأحوال والكرامات والمعارف والخصوصيات[(٣)] .

وزعم حملها على التفضيل بآرائنا ليس في محله؛ لإن تفضيل ذلك بالرأي المحض مجمع على منعه، وبالدليل الدال عليه لا وجه لمنعه[(٤)].

وقوله: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ ﴾ [سورة الشورى/الآية:13][(٥)].

(١) أخرجه البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري ، مراجعة محمد علي قطب واخرين، المكتبة العصرية، بيروت، سنة 1415هـ، كتاب الأنبياء, باب قوله الله تعالى: "وأن يونس لمن المرسلين" (ج2/ ص1060) رقم (3414)، صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الاسلامية، استنابول ، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى، ج4 : 1843) رقم (2373).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الخصومات ، باب ما يذكر في الاشخاص والملازمة: ج 2/ ص719، رقم (2412) ، ومسلم كتاب الفضائل باب من فضائل موسى (ج 4/ 1845) رقم (2374) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) ينظر اراء ابن حجرالهيتمي الاعتقادية عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف ،محمد عبدالعزيز الشايع ،مكتبة دار المنهاج ،الرياض ،1427/ص413.

(٤) ينظر اراء ابن حجرالهيتمي للشايع /ص413.

(٥) ينظر تفسير الطبري: ج 11/ ص302، تفسير القرطبي محمد بن أحمد القرطبي، تصحيح (ت 671هـ) أحمد البردوني ، ط2، بدون تاريخ / ج16 /220؛ تفسير القرآن العظيم إسماعيل ابن كثير الدمشقي (ت 77هـ) ، دار الخير ، بيروت ، ط 1،(سنة 1410 هـ): ج4 / ص181.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ((وأفضل أولياء الله هم أنبياؤه، وأفضلهم المرسلون منهم، وأفضل المرسلين أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ)) [١].

وقد اختلف في المفاضلة بينهم، وحكى الخلاف غير واحد من أهل العلم، منهم العلامة السفاريني رحمه الله حيث قال : (إختلف العلماء فيمن يلي النبي ﷺ في الفضيلة منهم، والمشهور أنه إبراهيم خليل الرحمن، أن إبراهيم عليه السلام خير البرية)[٢].

خص منه محمد ﷺ بإجماع، فيكون أفضل من موسى وعيسى ونوح عليه السلام، والثلاثة بعد إبراهيم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين، (ولم اقف على نقل أيهم أفضل، والذي ينقدح في النفس ، تفضل موسى فعيسى فنوح عليهم الصلاة والسلام)[٣] .

وأما الحديثان الصحيحان: " ما ينبغي لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى"[٤]، وقوله (من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب" [٥]، فحكمة

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لأحمد بن عبد الحليم ابن تيمية (ت 728هـ) ، تحقيق عبد الرحمن اليحيى ، دار طويق للنشر، الرياض، ط لسنة 1414هـ / ص55.

(٢) يشير إلى حديث أنس بن مالك أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ يا خير البرية، فقال رسول الله ﷺ " ذاك إبراهيم" والحديث أخرجه مسلم سبق تخريجه (ج 4/ 1839) رقم الحديث (2369) .

(٣) لوامع الأنوار البهية للشيخ محمد السفاريني :ج 2/ ص300؛ وينظر تفسير ابن كثير: ج3/ ص53 ؛ فيض القدير، شرح الجامع الصغير : عبد الرؤوف المناوي، دار الحديث ، القاهرة/ ج3/ 464.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى:" وإن يونس لمن المرسلين" (ج 2/ ص1060) رقم الحديث (3413)، ومسلم كتاب الفضائل، باب ذكر يونس عليه السلام (ج4/ ص1846) رقم (2377).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى: " وإن يونس لمن المرسلين" (ج2/ ص1061) رقم الحديث (3415) ، من حديث أبي هريرة بنحوه.

التخصيص فيها يونس نفي توهم التفاوت بينهما في القرب من الحق لاختلاف محلها الصوري. برفع نبينا ﷺ إلى قاب قوسين، ونزول يونس إلى قعر البحر .

أي: لا تتوهموا من هذا التفاوت الصوري تفاوتاً في القرب. والبعد من الله تعالى، بل نسبة كل إليه واحدة، وإن تفاوت مكانهما"(١).

إنَّ فضل الأنبياء على عموم بني آدم أمر معلوم في شرع الله سبحانه وتعالى، لا ينكره إلا مكذب بالقرآن منكر للسنة. إذ إصطفاهم الله واختارهم، وخصهم بخصائص لم تكن لمن سواهم من سائر الخلق، فلا يصل إلى منزلتهم أو يدانيهم في مكانتهم، لا ولي ولا شهيد، فضلاً عمن سواهم من سائر الخلق.

ذكر ابن أبي العز الحنفي في الطحاوية: "النبي أفضل من الولي، وهذا أمر مقطوع به عقلاً ونقلاً، والصائر الى خلافه كافر، فإنه أمر معلوم من الشرائع بالضرورة"(٢) .

ويقول أيضاً: "ومن المعلوم من ضرورة الشرع ومن إجماع المسلمين على أن درجة الأنبياء وفضيلتهم أعظم من درجة الشهداء والأولياء"(٣).

---

(١) ينظر المنح المكية في شرح الهمزية، لابن حجر الهيتمي تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، ط1 ، 1420هـ، ج1/ ص122؛ والفتاوى الحديثية ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ، 1419هـ / ص203 ، 253؛ فتح المبين لشرح الأربعين، لابن حجر الهيتي دار إحياء الكتب العربية، مصر/ ص 19، أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل لابن حجر الهيتي ، تحقيق أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت: 1420 هـ / ص77؛ تحفة المحتاج بشرح المنهاج لابن حجر الهيتمي تحقيق عبد الله بن محمود بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1421:ج1/ ص0115

(٢) ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج 11/ ص321؛ شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الارنؤوط، دار هجر، أبها ، ط4/ لسنة 1419 :ج2/ ص742.

(٣) القرطبي ومنهجه في كتابه المفهم في حل ما اشكل من تلخيص كتاب مسلم من أوله إلى نهاية باب مضاعفة اجر الكتابي إذا آمن، أطروحة دكتوراه، كلية أصول الدين ، قسم السنة ، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، سنة (1415هـ) :ج6/ ص386.

المبحث الرابع:

اتفاق دعوة الانبياء الرسل عليهم الصلاة والسلام

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل/ الآية:36].

ويقول تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا ﴾ [سورة الشورى/ الآية:13].

ويقول تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [سورة المائدة/ الآية:48].

قال البخاري في صحيحه: قال مجاهد: ((شرع لكم أوصيناك يا محمد وإياه ديناً واحداً، وقال ابن عباس شرعة ومنهاجاً: سبيلاً وسنة)) [١] .

وقال الحافظ – تعليقاً على معنى الآيتين : – "فإن قيل: هذا يدل على الاختلاف[٢]، والذي قبله على الاتحاد. أجيب بأن ذلك في اصول الدين ، وليس بين الأنبياء فيه اختلاف، وهذا في الفروع وهو الذي يدخله النسخ"[٣].

ففي كلام الحافظ بيان أمرين هامين:-

أحدهما: أن الأنبياء متفقون في أصول الدين ، وهو التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة في كل أمر ونهي والإخلاص له بهذا التوحيد.

والثاني: أن أصول الدين لا يدخله نسخ، بل هو أمر ثابت مستقر لا يقبل التغيير ولا التبديل، بخلاف فروع الدين فإنها قابلة للنسخ والتبديل والتغيير [٤].

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح/ ج1/ ص (45- 46) ، كتاب الإيمان الباب رقم (1) .

(٢) يعني قوله تعالى : ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ .

(٣) فتح الباري: ج1/ ص49.

(٤) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة / ص 1215.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ :- قال رسول الله ﷺ :- "الأنبياء إخوة لعلاّت ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"[١].

يقول الحافظ ابن حجر في معرض شرحه لهذا الحديث فيقول: ((العَلات – بفتح المهملة – الضرائر، وأصله أن من تزوج إمراة ثم تزوج أخرى كأنه علَّ منها، والعلل: الشّرب بعد الشّرب.

وأولاد العلات : الأخوة من الأب، وأمهاتهم شتى.. .

ومعنى الحديث: ((أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلف فروع الشرائع)) [٢].

(١) أخرجه البخاري :ج6/ 487 رقم (3443) ؛ ومسلم في كتاب الفضائل رقم (145) .

(٢) فتح الباري : ج6/ ص489 .

المبحث الخامس :

الصالحون المختلف في نبوتهم

هناك أشخاص صالحون ورد ذكرهم في القرآن دون التصريح بكونهم أنبياء أو غير أنبياء فاختلف في شأنهم العلماء، وتعرض الحافظ للكلام في بعضهم في كتابه"فتح الباري" وهم كما يأتي:-

المطلب الاول : لقمان

يقول الحافظ ابن حجر في كتابه، مبيناً الخلاف في نبوة لقمان، في شرح باب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ - إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان/ الآيات: 12 – 18] من كتاب أحاديث الأنبياء، في صحيح البخاري. حيث قال : "اختلف في لقمان: فقيل: كان حبشياً ، وقيل: كان نوبياً، واختلف هل كان نبياً؟"(١).

ثم بدأ الحافظ يذكر أقوال العلماء، فمنهم من قال بأنه كان نبياً، ومنهم من قال بأنه لم يكن نبياً. إلى أن قال: " والأكثر أنه كان صالحاً" وذكر قول مجاهد: " وكان صالحاً ولم يكن نبياً" وذكر ما روي عن عكرمة أنه قال "كان نبياً" ثم قال الحافظ: " ويقال: إن عكرمة تفرد بقوله :كان نبياً"(٢).

والخلاصة أنه لا يوجد دليل على نبوة لقمان "والله تعالى لم يذكر عنه إلا أنه آتاه الحكمة، وذكر بعض ما يدل على حكمته في وعظه لإبنه" (٣).

---

(١) فتح الباري ج6/ ص46.

(٢) المصدر نفسه :ج 6/ ص46؛ وينظر تفسير الطبري :ج10/ ص 208- 209 ، فإنه ذكر في نبوته قولين لأهل التفسير كما ذكر الحافظ.

(٣) ما بين علامتي التنصيص من كلام الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - في تفسيره (تيسر الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) / ص761.

المطلب الثاني: ذو القرنين:

لقد جاء ذكر (ذو القرنين) في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الكهف من قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴾ - إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴾ [سورة الكهف/الآيات:83-98].

ومن ضمن هذهِ الآيات قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ ﴾ [سورة الكهف/الآية: 86]، فهل كان هذا الخطاب بواسطة نبيّ كان معه، أو كان هو نبياً؟ نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله بأن الرازي جزم بأن (ذو القرنين) كان نبياً كما في كتابه "فتح الباري"(١).

وقال بعد ذلك: (قد اختلف في ذي القرنين، فقيل كان نبياً كما أسلفنا ، وهذا مروي أيضاً عن عبدالله بن عمرو بن العاص، وعليه ظاهر القرآن) (٢).

وأخرج الحاكم من حديث أبي هريرة، قال النبي ﷺ : (لا أدري ذو القرنين كان نبياً أم لا)(٣). وقال الحاكم: (الحديث على شرط الشيخين ولم يخرجاه وقد ذكر انه كان عبداً صالحاً، وأنّ الله بعثه إلى أربعة أمم...) (٤).

وذكر الحافظ في شأنه آثاراً كثيرة تدل على كثرة الاختلاف فيه، وكأن الحافظ يميل إلى تقوية القول بنبوته عندما قال:" وعليه ظاهر القرآن"، ولكن الحديث الذي ذكر أن الحاكم أخرجه من حديث أبي هريرة ﷺ إن ثبت يكون مانعاً

---

(١) ينظر فتح الباري: ج6/ ص382.

(٢) يقصد الحافظ الآية السابقة، فإن ظاهرها أن الله خاطب ذا القرنين بذلك، وثبوت خطاب الله له تثبت نبوته، لانه تعالى لم يخاطب من البشر إلا الأنبياء.

(٣) أخرجه الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، (المستدرك على الصحيحين)، دار الكتب العلمية، بيروت ، لسنة 1411 هـ/ 1990م ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا مع الكتاب تعليقات الذهبي في التلخيص/ كتاب البيوع ج2/ ص17.

(٤) فتح الباري: ج6/ ص383.

من القطع بأحد القولين في نبوته لقوله ﷺ فيه : "لا أدري ذو القرنين كان نبياً أم لا " والله تعالى أعلم[١].

المطلب الثالث: العبد الصالح: الخضر

لم يذكر اسم الخضر في القرآن، وإنما ذكرت قصته مع نبي الله موسى عليه السلام، وصرحت السنة باسمه، كما في حديث ابن عباس عن أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ في ذكر القصة[٢].

قال الحافظ : "والخضر قد اختلف في اسمه وفي اسم أبيه، وفي نسبه، وفي نبوته، وفي تعميره"[٣].

وقلت : والذي يهم من هذا الاختلاف هو الاختلاف في نبوته وتعميره، والحافظ قد تكلم على كلا الأمرين في كتابه (فتح الباري) وبيانه كما يأتي :

أولاً: الاختلاف في نبوّة الخضر:

يقول الحافظ نقل بعض أهل التفسير على الخلاف في نبوة الخضر فيقول:" أنه نبي ، ثم اختلفوا : هل هو رسول أم لا؟

فقالت طائفة منهم – القشيري – : هو ولي"[٤].

يقول الحافظ ابن حجر في كتابه "فتح الباري" : "قال القرطبي: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك ؛ لأن النبي ﷺ لا يتعلم ممن هو دونه، ولأنّ الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء"[٥].

---

(١) ينظر قصة ذي القرنين في نبوته وغير ذلك في "البداية والنهاية لابن كثير اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، مكتبة المعارف، بيروت، ج2 (ص95- 100) .

(٢) هو حديث طويل في قصة موسى مع الخضر، أخرجه البخاري في عدة مواضع في صحيحه، وأول هذه المواضع في كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر الى الخضر ج 4/ ص1752 حديث رقم (4448).

(٣) فتح الباري: ج6/ ص433.

(٤) المصدر نفسه :ج6/ ص434.

(٥) المصدر نفسه: ج6/ ص434.

هذا هو الذي ذكره ابن حجر في كتابه "فتح الباري" ، من الاختلاف في نبوة الخضر، واختار ابن حجر أن "الخضر" نبياً لظهور الأدلة على ذلك.

ويقول الحافظ في شرحه للحديث الوارد في ذكر قصة موسى مع الخضر قوله" هو أعلم منك ذلك" (١) ،الظاهر في الخضر أنه نبي، بل نبي مرسل، إذ لو لم يكن كذلك للزم تفضيل العالي على الأعلى، وهو باطل من القول.......... إلى أن قال : ومن أوضح ما يستدل به على نبوة الخضر قوله تعالى: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ ﴾ [سورة الكهف/ الآية :82] (٢).

وينبغي اعتقاد كونه نبياً لئلا يتذرع بذلك أهل الباطل في دعواهم أن الولي أفضل من النبي(٣)، حاشاوكلا"(٤).

ويذكر ابن حجر العسقلاني في موضع آخر من كتابه "فتح الباري" في شرحه : لقصة الخضر فيقول: -

"واستدل به على أنّ الخضر نبي، لعدة معاني قد نبهت عليها فيما تقدم كقوله ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِيۚ ﴾ [سورة الكهف/ الآية 82] ، وكاتباع موسى رسول الله له

---

(١) جاء في الحديث: أن موسى سُئل : أي الناس أعلم؟ فقال: أنا ، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك يا موسى،ينظر فتح الباري: ج6/ ص 430- 436.

(٢) يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه " الزهر النضر في حال الخضر" تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد مجمع البحوث الإسلامية، نيودلهي، الهند، ط 1 ، لسنة 1408هـ، يقول: "وهذا ظاهر أنه بأمر الله والأصل عدم الواسطة، ويحتمل أن يكون بواسطة نبي لم يذكره ، وهو بعيد، ولا سبيل إلى القول بأنه الهام لإن ذلك لا يكون من غير الأنبياء وحياً حتى يعمل به ما عمل، من قتل النفس، وتعريض الانفس للغرق، فإن قلنا إنه نبي فلا إنكار في ذلك" / ص66.

(٣) ويقول ابن حج في "الزهرالنضر" / ص 67، " وكان بعض أكابر العلماء يقول: أول عقدة تحل من الزندقة اعتقاد كون الخضر نبياً، لإن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي إلى أن الولي أفضل من النبي .

(٤) فتح الباري: ج1/ ص(219- 220) .

ليتعلم منه ،وكإطلاق أنه أعلم منه، وكإقدامه على قتل النفس لما شرحه بعد ، وغير ذلك"[١].

هذا هو رأي الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله وموقفه من نبوة الخضر عليه السلام، وما ذهب إليه ابن حجر "رحمه الله" من ترجيح كونه نبياً هو الصحيح بلا ريب؛لأنّ ظاهر الآيات في قصته يؤيد هذا القول، وبيان ذلك من أوجه عديدة، اشار ابن حجر (رحمه الله) إلى بعضها فيما تقدم، وأيضاً فإن القول بنبوته هو قول جمهور العلماء كما حكاه القرطبي في تفسيره [٢] ، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره [٣] لهذهِ المسألة ، والله أعلم بالصواب.

ثانياً : الاختلاف في تعمير الخضر:

ومما وقع فيه الاختلاف أيضاً في شأن الخضر في القول بتعميره، وأنه لا يزال حياً بين أظهرنا، وأنه لا يموت إلا في آخر الزمان.

وهذهِ الدّعوى لم تقتصر على الخضر فقط، بَلْ أُدعيَّ مثل ذلك في "إلياس" أيضاً ، وتعرض ابن حجر رحمه الله في كتابه "فتح الباري" لكلتا الدعوتين في عدة مواضع:-

---

(١) ينظر فتح الباري: ج 8/ ص422، قلت وقد ذكر الحافظ في كتابه" الزهر النضر في حال الخضر" وهو كتاب خاص في موضوع الخضر ذكر فيه الخلاف في نبوته، وزاد قولاً ثالثاً ، وهو أنه ملك من الملائكة ، يتصور في صور الآدميين ،ورجح فيه ايضاً كونه نبياً ، ونقل ذلك من جمهور العلماء.

(٢) ينظر تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن: ج11/ ص6 .

(٣) ينظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، نشر عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ: ج4/ ص162.

الموضع الأول:

في شرح حديث ابن عمر – رضي الله عنهما – قال :"صلىّ النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته، فلمّا سلم ، قام النبي ﷺ فقال: (أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد..) (١).

حيث قال ابن حجر "رحمه الله" : " قال النووي وغيره : إحتج البخاري ومن قال بقوله بهذا الحديث على موت الخضر، والجمهور على خلافه. وأجابوا عنه بأن الخضر كان حينئذ من ساكني البحر ، فلم يدخل في الحديث قالوا : ومعنى الحديث لا يبقى ممن ترونه أو تعرفونه، فهو عام أريد به الخصوص(٢).

وقيل: احترز بالأرض على الملائكة، وقالوا: خرج عيسى من ذلك – وهو حي ؛ لإنه في السماء لا في الأرض، وأخرج إبليس لأنه على الماء أو في الهواء،

وأبعد ما قال: ((إن اللام في الأرض عهديّة، والمراد: أرض المدينة ، والحق أنها للعموم، وتتناول جميع بني آدم، وأما من قال: المراد أمة محمد سواء أمة الأجابة(وهي التي استجابت لنبيها ﷺبإتباعها له)وأمة الدعوة(التي دعت الى هذا الدين الحنيف الذي خص الله به هذه الامة)، وخرج عيسى والخضر ؛لأنهما ليسا من أمته، فهو ضعيف ، لأن عيسى يحكم بشريعته، فيكون من أمته، والقول في الخضر إن كان حياً كالقول في عيسى)) (٣).

فلم يكن لابن حجر العسقلاني "رحمه الله" في هذا الموضع موقف واضح وصريح من القول بحياة الخضر، بل كان رأيه يفهم موافقته للقائلين بحياته، وكما علق الشيخ العلامة ابن باز على هذا الكلام فقال: (الذي عليه أهل التحقيق أن الخضر قد مات قبل بعثة النبي ﷺ لأدلة كثيرة معروفة في محلها، ولو كان حياً

---

(١) أخرجه البخاري – مع الفتح – ج2/ ص73- 74، رقم (601)؛ ومسلم في فضائل الصحابة رقم (217) .

(٢) هذا تحكم في النص بلا دليل، فإن لفظ الحديث عام، وما ذكروه من التخصيص مبني على ما إعتقدوا من حياة الخضر التي لم يدل عليها دليل مقبول لا نقلاً ولا عقلاً، كما سنبين إن شاء الله تعالى.

(٣) فتح الباري: ج2/ ص 75.

في حياة نبينا ﷺ لدخل في هذا الحديث، وكان ممن آتى عليه الموت قبل رأس المائة، كما أشار إليه الشارح هنا، فتنبه، والله أعلم)[١].

كما في حديث النبيﷺ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ قَالَ صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– ذَاتَ لَيْلَةٍ صَلاَةَ الْعِشَاءِ فِى آخِرِ حَيَاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَامَ فَقَالَ ((أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ فَإِنَّ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا لاَ يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ أَحَدٌ))[٢]وغيرها من الأدلة .

الموضع الثاني:

في شرح (باب حديث الخضر مع موسى (عليهما السلام) من كتاب أحاديث الأنبياء في "صحيح البخاري"، وقد ساق فيه البخاري الحديث الطويل الوارد في قصتهما.

وهذا الموضع هو أوسع المواضع التي تكلم ابن حجر فيها على تعمير الخضر فقد شمل كلامه فيه ما يأتي[٣]:-

1. ما ورد في بيان سبب تعميره:-

وذكر في ذلك ثلاث روايات: رواية تفيد بأن الله مدَّ في أجله حتى يكذّب الدجال.

ورواية ثانية تفيد بأن ذلك بسبب دعوة آدم – عليه السلام – حيث دعا لمن يحفظ جسده من الطوفان حتى يدفنه بالتعمير، فكان الخضر هو الذي تولى ذلك.

وهذهِ الرواية تقتضي وجود الخضر منذ عهد نوح أو قبله.

والرواية الثالثة أنه شرب من عين الحياة.

وهذه الروايات لم يفصح ابن حجر (رحمه الله) عن درجاتها من الصحة والضعف بشيء، ولكنه عزاها الى مصادر معلوم حالها عند أهل العلم بالحديث ومصادره ؛ لأنها من الكتب التي تروي الغرائب والمنقطعات"[٤]

---

(١) فتح الباري : ج2 / ص75.

(٢) أخرجه البخاري،باب السمر في العلم،ج1/ص55،رقم الحديث(116)

(٣) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة محمد إسحاق كندو / ص 1243.

(٤) فتح الباري: ج6/ ص 434.

2. الأخبار التي وردت في بقائه:

ذكر ابن حجر (رحمه الله) في كتابه "فتح الباري" خمس روايات وحكم عليها بالضعف ما عدا رواية واحدة نقلها عن الامام أحمد بن حنبل في كتابه (الزهد) وقال: إسناده حسن، ولكنه مع ذلك قال" أخرج النقاش [١]، أخباراً كثيرة تدل على بقائه لا تقوم بشيء منها حجة" [٢].

3. الأحاديث التي جاءت في اجتماعه مع النبي محمد ﷺ :

ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه "فتح الباري" ثلاثة أحاديث حكم عليها جميعاً بالضعف[٣].

4. الآثار التي رويت في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم:

ذكر الحافظ في ذلك عشرة آثار، صدرها بقوله: ((وجاء في اجتماعه ببعض الصحابة فمن بعدهم أخبار أكثرها واهي الاسناد)) [٤].

فمنها مثلاً: (أن النبي صلى الله عليه و سلم سمع وهو في المسجد كلاما فقال يا أنس اذهب إلى هذا القائل فقل له يستغفر لي فذهب إليه فقال قل له إن الله فضلك على الأنبياء بما فضل به رمضان على الشهور قال فذهبوا ينظرون فإذا هو الخضر) (٥) إسناده ضعيف.

5. القائلون بتعميره وأدلتهم:

يقول الحافظ : ((وقال ابن الصلاح: هو حي عند جمهور العلماء، والعامة معهم في ذلك ، وإنما شذَّ بإنكاره بعض المحدثين، وتبعه النووي، وزاد أن ذلك

---

(١) هو محمد بن علي بن عمرو النقاش، أبو سعيد الاصبهاني، له كتاب في "طبقات الصوفية" ، توفي سنة (414هــ) ، ذكره الامام الذهبي (ت 748) في تذكرة الحفاظ" نشر دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ/ ج3/ ص (1059 – 1060).

(٢) ينظر فتح الباري: ص 434 – 435 .

(٣) المصدر نفسه: ج434/6

(٤) المصدر نفسه: ج6: 435

(٥) المصدر نفسه: ج6: 435

متفق عليه بين الصوفية، وأهل الصلاح، وحكاياتهم في رؤيته والاجتماع به أكثر من أن تحصر، إنتهى)) [١].

هكذا ذكر الحافظ ابن حجر "رحمه الله" القائلين بتعمير الخضر بما فيه من المبالغة في دعوى الاتفاق.

أن الخضر ليس بحي لأنه لو كان حيا مع ثبوت كونه نبيا للزم تفضيل غير النبي على النبي وهو باطل فدل على أنه ليس بحي حينئذ وأجاب من زعم أنه حي باحتمال أن يكون حينئذ حاضرا معهم ولم يقصد إلى تفضيل بعضهم على بعض أو لم يكن على وجه الأرض بل كان في البحر.(٢)

وهذا مايراه الحافظ ويميل اليه في كتابه بعد ذكره الخلاف بين العلماء،والله تعالى أعلم بالصواب.

6. القائلون بموته وأدلتهم:

قال الحافظ: "والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري، وإبراهيم الحربي[٣]، وأبو جعفر بن المنادي [٤]، وأبو يعلى بن الفراء، وابو طاهر العبادي ، وأبو بكر بن العربي، وطائفة.

---

(١) فتح الباري :ج6/ ص434.

(٢) المصدر نفسه: ج7/ ص443.

(٣) هو إبراهيم بن إسحاق الحربي، أبو إسحاق البغدادي، الامام الحافظ أحد الاعلام، صنّف (غريب الحديث) وكتباً كثيرة، توفي سنة (285هـ) رحمه الله، تذكرة الحفاظ ج 2/ ص(584- 586) .

(٤) هو أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله بن المنادي البغدادي، المحدث الحافظ المقرئ، كان ثقة من كبار القراء، وله مصنفات، توفي سنة (336هـ) ،ينظر تذكرة الحفاظ / ج3/ 849 – 850 .

وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أنّ النبي ﷺ قال في آخر حياته : (لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد) [١]، قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه..،

ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [سورة الأنبياء/الآية: 34]، وحديث ابن عباس: (ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حيّ ليؤمننّ به ولينصرنه" أخرجه البخاري [٢]، ولم يأت خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ، ولا قاتل معه، وقد قال ﷺ – يوم بدر – : (اللهم إن تهلك هذهِ العصابة لا تعبد في الأرض) [٣]، فلو كان الخضر موجوداً لم يصح هذا النفي.

وقال ﷺ: (رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما) [٤] .

فلو كان الخضر موجوداً لما حَسُنَ هذا التمني، ولا حضره بين يديه وأراه العجائب، وكان أدعى لإيمان الكفرة ولاسيما أهل الكتاب [٥].

هذهِ بعض الأدلة التي استدل بها القائلون بموت الخضر وعدم بقائه حياً، حتى الآن، وهي كلها أدلة صحيحة ثابتة، وظاهرة الدلالة على المراد، ولا يوجد شيء يعارضها من أدلة القائلين بتعميره.

---

(١) ذكره ابن حجرفي فتح الباري :ج 2/ ص 73- 74 ؛ ومسلم في فضائل الصحابة رقم (217) .

(٢) هو أثر عن علي بن أبي طالب ﷺ ، ذكره الطبري في تفسيره :ج 3/ ص330، ولم أجده في " صحيح البخاري" .

(٣) جزء من حديث اخرجه مسلم بشرح النووي ،كتاب الجهاد والسير:ج 12/ص84- 87

(٤) وهو جزء من الحديث الطويل في قصة موسى مع الخضر وقد سبق تخريجه والاشارة إليه، أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب ما ذكر في ذهاب موسى في البحر إلى الخضر والرقم الحديث (74) .

(٥) فتح الباري: ج6/ ص434.

الموضع الثالث: في شرح حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنهما) قال: " قال لنا رسول الله ﷺ – يوم الحديبية – " أنتم خير أهل الأرض، وكنا ألفاً وأربعمائة"[١].

يقول ابن حجر "رحمه الله" : (واستدل به على أنّ الخضر ليس بحي؛ لأنه لو كان حياً مع ثبوت كونه نبياً للزم تفضيل غير النبي على النبي، وهو باطل، فدل على أنه ليس بحيّ حينئذٍ. وأجاب من زعم أنه حي باحتمال أن يكون حينئذٍ حاضراً معهم[٢]، ولم يقصد إلى تفضيل بعضهم على بعض، أولم يكن على وجه الأرض بل كان في البحر.

واستدل على أنّ الخضر ليس بنبي، فبني الأمر على أنه حي، وقد قدمنا الأدلة الواضحة على ثبوت نبوة الخضر في أحاديث الأنبياء، وأغرب ما قاله ابن التين هو جزمه أن إلياس ليس بنبيّ، وبناه على قول من زعم أنه أيضاً حي، وهو ضعيف – أعني كونه حياً – وأما كونه ليس بنبي فنفيٌ باطل لقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [سورة الصافات/ الآية: 123] فكيف يكون أحداً من بني آدم مرسلاً وليس بنبي؟!!"[٣].

الموضع الرابع: في شرح (باب ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة الكهف/ الآية:61]، من كتاب التفسير حيث أشار ابن حجر إلى بعض الروايات التي أخبرت أن الحوت حي لما أصابه من عين كانت عند الصخرة يقال لها عين الحياة، وقد ذكر الحافظ ابن حجر (رحمه الله) أن في ثبوت تلك الروايات نظراً ثم قال: ((ولعل هذا العين – إن ثبت النقل فيها – يستند من زعم أن الخضر شرب من عين الحياة فخلد، وذلك مذكور عن وهب بن

---

(١) أخرجه البخاري باب غزوة الحديبية ج 13/ 58، رقم (3839).

(٢) وهل مثل هذهِ الدعوى يجوز قبوله بالاحتمال؟ !! كلاّ، ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة لمحمد إسحاق كندو / 1247.

(٣) فتح الباري: ج7/ 433- 444 .

منبه وغيره ممن كان ينقل من الاسرائيليات – وقد صنف أبو جعفر بن المنادي في ذلك كتاباً وقرر أنه لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الاسرائيليات)) [١].

الموضع الخامس: في شرح حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – في الرجل الذي سيكذب الدجال ويقتله ثم يحييه، ثم أراد قتله فلا يلسط عليه[٢] ،

حيث ذكر ابن حجر أن مُعمَّراً قال بعد ذكر هذا الحديث" قال معمر: بلغني أن الذي يقتل الدجال هو الخضر" ويقول ابن حجر " وكذا أخرجه ابن حبان من طريق عبد الرزاق عن معمر قال: (كانوا يرون أنّه الخضر) [٣].

وقال ابن العربي: سمعت من يقول: إن الذي يقتله الدجال هو الخضر، وهذهِ دعوى لا برهان لها . قلت: وقد تمسّك من قاله بما أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي عبيدة بن الجراح[٤] رفعه في ذكر الدجال: (لعله أن يدركه بعض من رآني أو سمع كلامي) الحديث[٥].

---

(١) فتح الباري : ج8/ 415.

(٢) جزء من الحديث ، وقد اخرجه بلفظه البخاري – مع " فتح الباري" ج 12/ ص10 ، رقم الحديث (7132) .

(٣) ينظرالزهر النضرفي حال الخضر/ص36، ولم اجده في كتب الحديث.

(٤) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال القرشي الفهري، أبو عبيدة ، أمين هذه الأمة، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان من السابقين الأولين، شهد بدراً فما بعدها ، وولي إمرة أمراء الأجناد بالشام، ومناقبه كثيرة، توفي شهيداً بطاعون عمواس سنة 18 هـ =(رضي الله تعالى عنه) ، ينظر : تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام" (القسم الخاص بتاريخ الخلفاء الراشدين) للامام الذهبي ، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري (ص171 – 174) ؛ تقريب التهذيب – للعسقلاني بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، ط2 ، سنة 1385هـ، دار الكتب الحديثة بيروت/ 1/ 388.

(٥) رواه الترمذي، سنن الترمذي، باب الدجال ج 4/ ص507، حديث رقم (2234) قال عنه الترمذي حسن غريب؛ صحيح ابن حبان ، كتاب نفي تغيير قلوب المؤمنين في اخر الزمان عند خروج الدجال، باب الدجال، ج15/ ص181.

ويعكر عليه قوله في رواية لمسلم تقدم التنبيه عليها – (شاب ممتلىء شباباً)، ويمكن أن يجاب بأن من جملة خصائص الخضر أن لا يزال شاباً، ويحتاج إلى دليل(١)"(٢).

من مجموع هذهِ المواضع الخمسة التي ذكرها ابن حجر يعرف رأيه من القول بحياة الخضر، فقد صرح بتضعيف الأخبار التي وردت في ذلك، وذكر من الأدلة الدالة على موته ما يشير إلى اختياره لهذا القول.

ولعل من المستحسن هنا ذكر ما ختم به ابن حجر (رحمه الله) كتابه "الزهر النضر في حال الخضر" فإنه قال: ((والذي تميل إليه النفس من حيث الأدلة القوية خلاف ما يعتقده العوام من استمرار حياته، ولكن ربما عرضت شبهة من جهة كثرة الناقلين للأخبار الدالة على إستمراره، فيقال: هو أن أسانيدها واهية، إذ كل طريق منها لا يسلم من سبب يقتضي تضعيفها ، فماذا يصنع في المجموع، فإنه على هذهِ الصورة قد يلتحق بالتواتر المعنوي الذي مثلوا له بجود حاتم)) (٣).

فمن هنا مع إحتمال التأويل في أدلة القائلين بعدم بقائه كآية ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [سورة الأنبياء/الآية34]، وكحديث: "رأس مائة سنة" (٤) وغير ذلك مما تقدم بيانه.

وأقوى الأدلة على عدم بقائه، عدم مجيئه إلى رسول الله ﷺ ، وانفراده بالتعمير من بين أهل الأعصار المتقدمة بغير دليل شرعي.

---

(١) هكذا فليكن موقف أهل العلم، ولا يتكلم في الامور العلمية ولا يسلم بها إلا مع الدليل.

(٢) فتح الباري: ج13/ ص104.

(٣) هو حاتم الطائي، من أعلام العصر الجاهلي، إشتهر بالجود ، حتى لم يكن له في زمانه نظير، ينظر "البداية والنهاية" للحافظ ابن كثير:ج2 /ص197.

(٤) أخرجه البخاري, باب السمو في العلم, ج 2/ 73 – 74 رقم (113) ؛ ومسلم رقم (4607).

والذي لا يتوقف فيه الجزم بنبوته، ولو ثبت أنه ملك من الملائكة لارتفع الإشكال، كما تقدم والله أعلم(١).

هذا ما يتعلق بتعمير الخضر ، وأما تعمير إلياس – (عليهما السلام) – فقد تقدمت الإشارة إليه، وقال الحافظ أيضاً "وذكر أيضاً أن إلياس عَمَّرَ كما عَمَّرَ الخِضر، وأنه يبقى إلى آخر الدنيا في قصة طويلة، وأخرج الحاكم في المستدرك من حديث أنس: إن إلياس اجتمع بالنبي ﷺ وأكلا جميعاً ، وأن طولهُ ثلاثمائة ذراع، وأنّه قال: إنه لا يأكل في السنة إلا مّرة واحدة، أورده الذهبي في ترجمة يزيد بن يزيد البلوي، وقال: إنه خبر باطل(٢)"(٣).

ومن هنا يتبين أنّه لم يصح أن أحداً من بني آدم قد عمّر، وهو صريح قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية34] .

ولكن هذا لايمنع من تعميره على الله تعالى، فقد يكون عمَّرَ كل هذه الفترة وهو من الغيب الذي لانعلمه ؛لأنه لايوجد دليل قطعي وثابت في هذه المسألة ،حتى نُسلِم بِهِ،

وهذا ايضاً لايمنع من أنه حي في قبره كسائر الانبياء في قبورهم ،والله أعلم بالصواب.

المطلب الرابع : هارون(عليه السلام)

يقول ابن عاشور: هارون هو أخو موسى عليهما السلام وهو هارون بن عمران من سبط لاوي ولد قبل أن يأمر فرعون بقتل أطفال بني إسرائيل وهو أكبر من موسى ، ولما كلم الله موسى بالرسالة أعلمه بأنه سيشرك معه أخاه

---

(١) الزهر النضر في حال الخضر/ ص 162.

(٢) ينظر ميزان الاعتدال في نقد الدجال ، للامام الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ/ (ج4/ ص441) ، ونقل ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان دار الفكر بيروت، أنه قال في تلخيص المستدرك: " هذا الحديث موضوع، قبح الله من وضعه، وما كنت أحب أن الجهل يبلغ إلى أن يصحح هذا ، وهذا ما إفتراه يزيد البلوي" (ج6/ 296) .

(٣) فتح الباري: ج6/ ص375.

هارون فيكون كالوزير له ، وأوحى إلى هارون أيضاً ، وكان موسى هو الرسول الأعظم ، وكان معظم وحي الله إلى هارون على لسان موسى ، وقد جعل الله هارون أول كاهن لبني إسرائيل لما أقام لهم خدمة خيمة العبادة ، وجعل الكهانة في نسله ، فهم يختصون بأحكام لا تشاركهم فيها بقية الأمة ، منها تحريم الخمر على الكاهن ، ومات هارون سنة ثمان أو سبع وخمسين وأربعمائة وألف قبل المسيح ، في جبل هور على تخوم أرض أدوم في مدة التيه في السنة الثالثة من الخروج من مصر[١]

ان الكثير من الأد لة والأيات الصريحة قد دلت على نبوة هارون (عليه السلام) ومن ذلك قوله تعالى﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾ ﴾ مريم: ٥٣

يقول الامام الشنقيطي: معنى الآية الكريمة: أن الله وهب لموسى نبوة هارون، والمعنى أنه سأله ذلك فآتاه سؤله. وهذا المعنى أوضحه تعالى في آيات أخر، كقوله: في سورة «طه» عنه: {﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴾: طه: ٢٩ - ٣٠إلى قوله: - ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه/29-36]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [القصص: 33-35]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾[الشعراء: ١٠ - ١٥]، فهذه الآيات تبين أنه سأل ربه أن يرسل معه أخاه، فأجاب ربه جل وعلا سؤاله في

---

(١) التحرير والتنوير من التفسيرمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : **1393**هـ): ج2/ ص484.

ذلك. وذلك يبين أن الهبة في قوله: {وَوَهَبْنَا} ، هي في الحقيقة واقعة على رسالته لا على نفس هارون، لأن هارون أكبر من موسى، كما قاله أهل التاريخ. (١)

وذكر موسى: ومن هبته له أخاه هارون نبيا، كما وهب يحيي لزكريا وعيسي لمريم وإسحاق لإبراهيم (٢)

ومما يؤيد ذلك أيضاً تعليقه على قوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ٨٠ ﴾ [طه: ٨٠]، فحينئذ استخلف موسى عليه السلام على بني إسرائيل أخاه هارون ووصاه بالإصلاح وعدم الإفساد وهذا تنبيه وتذكير وإلا فهارون عليه السلام نبي شريف كريم على الله له وجاهة وجلالة صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء. (٣)

عن ابن عباس، في قوله:" " (وأشركه في أمري)، قال: نبيء هارون ساعتئذ حين نبيء موسي عليهما السلام". (٤)

يتبين مما سبق ومن خلال النصوص التي وردت هنا ان هارون هو نبي ورسول مع نبي الله موسى وانه كان مؤازر ومشارك لنبي الله موسى (عليهما السلام) في تأدية ما أمروا به من الاصلاح والتبليغ والدليل قوله تعالى ﴿ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤ ﴾ القصص: ٣٤ يقول ابن عاشور :(مُجمل يبيّنه ما في الآية الأخرى فيعلم أن في الكلام هنا إيجازاً . وأنه ليس المراد : فأرسل إلى هارون عِوَضاً عني ،وإنما سأل الله الإرسالَ إلى هارون ولم يسأله أن يكلّم هارون كما كلّمه هو لأن هارون كان بعيداً عن مكان المناجاة . والمعنى : فأرسل مَلَكاً بالوحي إلى هارون أن يكون معي) (٥).

---

(١) أضواء البيان : ج3/ ص 436-437.

(٢) تفسير ابن كثير: ج3/ 401.

(٣) تفسير ابن كثير : ج2/ص297.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم :ج9/ ص 279.

(٥) تفسير التحرير والتنوير:ج219/10.

وقوله : { فاذهبا بآياتنا } تفريع على مُفاد كلمة { كلاّ } . والأمر لموسى أن يذهبَ هو وهارُون يقتضي أن موسى مأمور بإبلاغ هارون ذلك فكان موسَى رسولاً إلى هارون بالنبوءة . ولذلك جاء في التوراة أن موسى أبلغَ أخاه هارون ذلك عندما تلقّاه في حوريب إذ أوحى الله إلى هارون أن يتلقاه ، والباء للمصاحبة ، أي مصاحبَيْن لآياتنا ، وهو وعد بالتأييد بمعجزات تظهر عند الحاجة(١)

وكل ماسبق يدل على نبوة سيدنا هارون (عليه السلام) والله تعالى أعلم.

---

(١) المصدر نفسه:ج220/10.

المبحث السادس:

الاختلاف في نبوة النساء:

ومما وقع فيه الخلاف من مسائل النبوات هو (نبوة النساء)، فإن من العلماء من ذهب إلى أن الله تعالى قد اختار من النساء نبيّات ، وممن صرح بكونهنَّ نبيّات: مريم أم عيسى عليه السلام، وآسية زوجة فرعون، وأم موسى وحواء، وهاجر ، وسارة.

بينما ذهب كثير من العلماء إلى أن النّبوة قاصرة على الرجال فقط، دون النساء، وجعلوا من شروط النّبوة الذكورة، قال في الدرة المضية" :

"**وشرط من أكرم بالنـــبوة حرية ذكورة كقـــوة**" (١)

وقد كانت مسألة نبوّة النساء مما تعرّض لها ابن حجر (رحمه الله) في كتابه "فتح الباري"، حيث أشار في أكثر من موضع إلى ما قيل في نبوة بعض النساء ممن سبق ذكر أسمائهن، ولكنه لم يبين موقفه من هذا الخلاف، ومن يطلع على ما ذكره ابن حجر "رحمه الله" في هذهِ المسألة فإنه لا يصل إلى معرفة القول الصواب أو الرأي الواضح فيها.

فأول موضع: أشار فيه إلى نبوة النساء في معرض شرحه لحديث "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(٢).

حيث ذكر أن هناك من استشكل ذكر النصارى في هذا الحديث ؛ لأنّ اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى، فليس بين عيسى وبين نبينا محمد ﷺ نبي غيره، وليس له قبر. ثم قال : ((والجواب أنه كان فيهم أنبياء أيضاً ولكنهم غير مرسلين، كالحواريّن، ومريم في قول...)) (٣).

---

(١) لوامع الانوار البهية بشرح الدرة المضية ، للسفاريني: ج2/ ص365.

(٢) أخرجه البخاري باب الصلاة في البيعة,ج 215/2 حديث رقم(417) ؛ ومسلم في كتاب المساجد حديث رقم(823).

(٣) فتح الباري: ج1/ ص532.

والموضع الثاني: في شرح حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وإنّ فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام) [١].

يقول الامام ابن حجر ((استدل بهذا الحصر على أنهما نبيتان؛ لأنَّ أكمل النوع الانساني هم الأنبياء، ثم الأولياء والصديقون والشهداء، فلو كانتا غير نبيّتين للزم ألا يكون في النساء وليّة ولا صدّيقة ولا شهيدة، والواقع أن هذه الصفات في كثير منهن موجودة ، فكأنه قال: ولم ينبأ من النساء إلا فلانة وفلانة، ولو قال: لم تثبت صفة الصديقية، أو الشهادة أو الولاية إلا لفلانة وفلانة لم يصح، لوجود ذلك في غيرهن، إلا أن يكون المراد في الحديث كمال غير الأ نبياء، فلا يتم الدليل على ذلك ، لأجل ذلك، والله أعلم)) [٢].

ثم أشار رحمه الله إلى ما رواه الامام أحمد من حديث أبي سعيد رفعه: ((فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، إلا ما كان من مريم بنت عمران)) [٣].

وإن ثبت ففيه حجة لمن قال: إن آسية إمراة فرعون ليست نبيّة ثم قال: قال القرطبي: الصحيح أنّ مريم نبية؛ لأنَّ الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك، وأما آسية، فلم يرد على ما يدل على نبوتها[٤].

نقل ابن حجر كلاماً عن الكرماني: لا يلزم من لفظ الكمال ثبوت نبوّتها؛ لأنه يطلق لتمام الشيء وتناهيه في بابه، فالمراد بلوغها النهاية في جميع الفضائل التي للنساء، قال ابن حجر: وقد نقل الاجماع على عدم نبوة النساء. كذا قال، وقد نُقل عن الاشعري أنه قال: أن من النساء من نبيء ، وهنَّ ست : حواء، وسارة ، وأم موسى، وهاجر، وآسية، ومريم. والضابط عنده أن من جاءه الملك عن الله بحكم من أمر أو نهي، أو بإعلام ما سيأتي فهو نبي، وقد ثبت مجيء الملك لهؤلاء

---

(١) أخرجه البخاري (ج11/ 216) رقم(3159) ؛ ومسلم في فضائل الصحابة رقم (4459) .

(٢) ينظر فتح الباري: ج6/ ص447.

(٣) أخرجه أحمد في "المسند" ج5/ ص391، حديث رقم (23377) إسناده صحيح.

(٤) ينظر فتح الباري: ج6/ ص446- 447 .

بأمور شتى من ذلك من عند الله عزوجل، ووقع التصريح بالإيماء لبعضهن في القرآن(١).

قال القرطبي: " لاشك أن أكمل نوع الإنسان: الأنبياء ثم يليهم الأولياء ، ويعني بهم: الصديقون والشهداء والصالحون ، وإذا تقرر هذا فقد قيل: إن الكمال المذكور في الحديث يعني به النبوة، فيلزم أن تكون مريم وآسية نبيتين وقد قيل بذلك، والصحيح: أن مريم نبية؛ لأنّ الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك، كما بينا قبل قليل – وأما آسية فلم يرد ما يدل على نبوتها دلالة واضحة بل: على صديقيتها وفضيلتها، فلو صحت لها نبوتها لما كان في الحديث إشكال, فإنه يكون معناه: أن الأنبياء في الرجال كثير، وليس في النساء نبي إلا هاتين المرأتين ، ومن عداهما من فضلاء النساء صديقات لا نبيّات، وحينئذ يصح أن تكونا أفضل نساء العالمين، والأولى أن يقال: إن الكمال المذكور في الحديث ليس مقصوراً على كمال الأنبياء بل يندرج معه كمال الأولياء"(٢).

وهذا الذي مال إليه القرطبي ورجحه الأشعري وابن حزم وحجتهم في ذلك ما ذكره القرطبي من أن الله تعالى أوحى إليها وأرسل إليها ملكاً وأثبت غيره نبوة غير مريم. والصحيح خلاف ما ذكروه، كما يقول تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [سورة النحل/الآية:43]، وأما قولهم إن هذا في نفي الرسالة لا النبوة، فلا يوافقون عليه، إذ أن النبي من نُبِىءَ ولم يؤمر بالتبليغ خلاف الرسول الذي هو مأموربالتبليغ (٣)،

---

(١) ينظر فتح الباري : ج6/ 447- 448 .

(٢) المفهم لما اشكل من تلخيص صحيح مسلم الحافظ أبو العباس أحمد بن عمر بن ابراهيم القرطبي ، تحقيق محي الدين مستو وأخرون ، دار ابن كثير – بيروت – دمشق ، ط1 ، لسنة ، 1996م ج6/ ص332 .

(٣) شرح المقاصد،التفتازاني سعد الدين(ت 793 هـ) مطبعة عالم الكتب،،تحقيق د.عبد الرحمن عميرة،ط1(سنة 1409 هـ):ج1/ص128؛النبوات :ابن تيمية /ص255.

وهذا يحتاج مخالطة الناس وكثرة الأجتماع بهم إلى غير ذلك مما لا يتناسب مع طبيعة المرأة المأمورة بالحشمة والبعد عن الاختلاط.

وأما الاستدلال بالكمال، فلا يلزم منه إثبات الكمال حصول النبوة؛ لأنّ ذلك الكمال يطلق على تمام الشيء وتناهيه في بابه، فالمراد بلوغه النهاية في جميع الفضائل التي للنساء[١] ، اما الاستدلال على ثبوت النبوة وجود الوحي فالجواب هو أن الوحي أنواع، منه وحي نبوة، ووحي إلهام، ووحي منام، كما هو معلوم من معنى الوحي في اللغة، وقد ثبت لغير مريم ممن لا يثبت ابن حجر والقرطبي ثبوتها كأم موسى قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [سورة القصص/الآية7] ، وقد نقل الطبري عن قتادة قوله في هذهِ الآية:"وحياً جاءها من الله فقذف في قلبها وليس بوحي نبوة"[٢] ، وأما مجيء الملك إلى مريم فلا حجة فيه ؛ لأنه قد ثبت مجيء الملك لمن لا يشك في أنه ليس بنبي كالذي زار أخاً له في الله، فبعث الله إليه ملكاً يسأله عن سبب زيارته، فلما أخبره أنه يحبه في الله أعلمه الملك أن الله قد بعثه إليه ليخبره أنه يحبه[٣] .

وأما قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية 42]، فليس فيه حجة أيضاً، لأن الإصطفاء قد يكون إصطفاء هداية إلى دين الله تعالى وزيادة يقين ورسوخ إيمان وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [سورة فاطر/ الآية:32].

---

(١) ينظر فتح الباري: ج6/ ص515.

(٢) تفسير الطبري: ج10/ 29.

(٣) أخرج الحديث (وهذا جزء منه) مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب في فضل الحب في الله ج16/ ص359، حديث رقم (2567) .

قال ابن تيمية: والصحيح الذي تدل عليه الأدلة هو ما ذهب إليه جمهور العلماء ، وذكر النووي أن الجويني ذكر الاجماع عليه، وهو عدم وجود نبية من النساء، وأن النبوة تقتصر على الرجال، وبهذا يتبين أن القول بنبوة بعض النساء قول ضعيف نقلاً وعقلاً، ولذا ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه من الأقوال المنكرة الشاذة التي يعجب منها(١).

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية :ج4/ 396.

الفصل الثالث

الإيمان بنبوة محمد ﷺ وذكر خصائصه

المبحث الأول : الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ :

المبحث الثاني : خصائص نبينا محمد ﷺ :

الفصل الثالث

الإيمان بنبوه محمد ﷺ وذكر خصائصه

المبحث الأول : الأيمان بنبوة النبي محمد ﷺ

إن الإيمان بنبوة النبي ﷺ خاصة وبنبوة جميع الأنبياء عامة هو أصل من أصول الدين التي لا يكون العبد مؤمناً إلا بأن يقر ويعترف ويصدق ويعمل بمقتضى الإيمان بهذا الأصل الذي هو من أصول الإيمان بقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ ﴾ [سورة البقرة/ الآية: 285]، وقوله ﷺ عندما سُئِلَ عن الإيمان في حديث جبريل الطويل قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسوله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر"[١] .

وفي حديث ابن عباس قال: قدم وفد عبد القيس على رسول الله ﷺ فقالوا: إنا من هذا الحي من ربيعة ولسنا نصل إليك إلا في الشهر الحرام فأمرنا بشيء نأخذه عنك وندعو إليه من ورائِنا فقال آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع) ثم فسرها لهم (شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة..) [٢].

وأن الإيمان بهم يكون على التفصيل فيما فصل، وإجمالاً فيما أجمل، ويخص نبينا محمد ﷺ بوجوب الإيمان به على التفصيل، لماله من أوصاف كثيرة ميزه الله بها على من سواه من الأنبياء والمرسلين، فضلاً عن سائر البشر.

ويتبين وضوح معنى الإيمان به ﷺ ما أرشدنا به على ما ورد في دعائه ﷺ في التهجد بالليل من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما): (..ولك الحمد أنت

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، كتاب (سورة الم غلبت الروم) ، حديث رقم (4499) ج4/ ص1793.

(٢) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، باب (منيبين إليه وإتقوه) ، حديث رقم (500) ، ج1/ ص195.

الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حقّ، وقولك حقّ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق، ومحمد حقّ، والساعة حقّ) (١).

فقد ذكر (صلى الله عليه وسلم) النبيين، وذكر نفسه بعد ذلك خاصة، يقول ابن حجر (رحمه الله): (قوله: (ومحمد حق) خصه بالذكر تعظيماً له، وعطفه على النبيين إيذانا بالتغاير ، بأنه فائق عليهم بأوصاف مختلفة، وجرّده عن ذاته كأنّه غيره، ووجب عليه الإيمان به وتصديقه مبالغة في إثبات نبوته كما في التشهد) (٢).

ذكر ابن حجر (رحمه الله) جملة من الأمور التي تدخل في الإيمان به ﷺ ويجب التصديق بها جميعاً والعمل بمقتضاها ، وهي في عدة مواضع من كتابه "فتح الباري" وهي كما يلي: (٣) .

أ. تصديقه في كل ما ثبت أنه جاء به:

وهذا هو مقتضى الشهادة له بالرسالة كما قال ابن حجر (رحمه الله) "الشهادة بالرسالة: تتضمن التصديق بما جاء به"(٤).

وهذا هو الإيمان به أيضاً كما قال الحافظ أيضاً: ((الإيمان برسول الله، المراد به: الإيمان بوجوده، وبما جاء به عن ربه)) (٥).

ب. محبته أكثر من محبة كل أحد من الخلق:

لقوله ﷺ: ((فوالذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والنّاسِّ أجمعين))(٦).

---

(١) أخرجه البخاري، مع " فتح الباري" ، حديث رقم (1120)، ج3/ ص3.

(٢) فتح الباري: ج3/ ص4.

(٣) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة ، محمد إسحاق كندو / ص 1258- 1260 .

(٤) فتح الباري: ج1/ ص76.

(٥) ينظر فتح الباري : ج1/ ص119.

(٦) أخرجه البخاري مع "فتح الباري" ج 1/ ص58، الحديث المرقم (15)؛ ومسلم في كتاب الإيمان ، حديث رقم (70) .

يقول ابن حجر على معنى الإيمان بالنبوات ((وإن كانت محبة جميع الرسل من الإيمان، لكن الأحبية مختصة بسيدنا رسول الله ﷺ)) (١).

وقال ابن حجر بعد هذا الكلام: "ومن علامة الحب المذكور أن يعرض على المرء أن لو خير بين فقد غرض من أغراضه، أو فقد رؤية النبي ﷺ أن لو كانت ممكنة، فإن كان فقدها أن لو كانت ممكنة أشد عليه من فقد شيء من أغراضه فقد اتصف بالأحبية المذكورة، ومن لا فلا .

وليس ذلك محصوراً في الوجود والفقد، بل يأتي مثله في نصرة سنته، والذب عن شريعته، وقمع مخالفتها، ويدخل فيه باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢) .

((ويزاد أن لا يتلقى شيئاً من المأمورات والمنهيات إلا من مشكاته، ولا يسلك إلاّ طريقته، ويرضى بما شرعه، حتى لا يجد في نفسه حرجاً مما قضاه، ويتخلق بأخلاقه في الجود والإيثار والحلم والتواضع وغيرها، فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوة الإيمان، وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ذلك)) (٣).

ج. إعتقاد فضله على جيمع النّاس، وبلوغه رتبة الكمال الإنساني:-

لقوله ﷺ : ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن دونه إلاّ تحت لوائي، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر))(٤).

---

(١) فتح الباري: ج1/ ص58.

(٢) ينظر المصدر نفسه : ج1/ ص59.

(٣) ينظر المصدر نفسه: ج1/ ص61.

(٤) أخرجه مسلم بشرح النووي كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق ج15/ ص37؛ وأخرجه أحمد في مسنده ج 1/ ص5، وهو في صحيح الجامع اللالباني، رقم (1468).

يقول ابن حجر(رحمه الله) في كتابه(فتح الباري): على معنى الحديث: "وفيه تفضيل محمد ﷺ على جميع الخلق، لأنّ الرسل والأنبياء والملائكة أفضل من سواهم، وقد ظهر فضله في هذا المقام عليهم"(١).

وقال ﷺ لأصحابه: ((إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا)) (٢).

يقول الحافظ (رحمه الله): ((إن في هذا الحديث)) بياناً أنَّ للرسول ﷺ رتبة الكمال الإنساني ؛ لأنه منحصر في الحكمتين: العلمية ،والعملية، قد أشار إلى ذلك بقوله" أعلمكم" وإلى الثانية بقوله: ((أتقاكم)) (٣).

---

(١) ينظر فتح الباري: ج11/ ص441.

(٢) اخرجه البخاري با ب قول النبي (أنا أعلمكم بالله) ج1/ ص33 ,حديث رقم (19).

(٣) فتح الباري: ج1/ ص71.

المبحث الثاني :

خصائص نبينا محمد ﷺ

لقد مَنَّ الله تعالى علينا إذ جعلنا من أمة نبينا محمد ﷺ ، النبي الكريم الذي كمله ربه تعالى بالخصال الحميدة ، وخصه بالصفات الجميلة والمناقب الفريدة، والمقامات المحمودة التي لم تكن لما سواه من المرسلين فضلاً عن سائر الخلق أجمعين " فالله سبحانه قد خص نبينا ﷺ من كرم الخُلُق، ومن طيب النفس، ومن مقام الفتوة بما لم يخص به أحداً غيره، وإليه الاشارة بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة القلم/ الآية 4] ، وبقوله ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [سورة التوبة/ الآية128]" [١].

وأكرمه الله سبحانه وتعالى بكمال معرفته وشدة خشيته فصار به ﷺ في المقام الأعلى. يقول ﷺ، في حديث عائشة (رضي الله عنها): "... فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية"[٢].

في بيان معنى هذا الحديث: (أنه جمع بين القوة العلمية والقوة العملية أي أنهم توهموا أن رغبتهم كما أفعل أقرب لهم عند الله وليس كذلك اذ هو أعلمهم بالقربة وأولاهم بالعمل به"[٣].

يقول القرطبي: "إنما كان النبي ﷺ أعلم الناس بالله، لما خصه الله تعالى في أصل الخلقة، من كمال الفطنة وجودة القريحة، وسداد النظر وسرعة الادراك، ولما رفع الله عنه من موانع الإدراك ، وقواطع النظر قبل تمامه، ومن اجتمعت له هذه الأمور، سهل عليه الوصول إلى العلوم النظرية، وصارت في حقه

---

(١) المفهم ج1/ ص455.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب من لم يواجه الناس بالعتاب ج 5/ 2263 ، حديث رقم (5750) .

(٣) فتح الباري: ج10/ ص513.

كالضرورة، ثم إن الله تعالى قد أطلعه من علم صفاته، وأحكامه وأحوال العالم كله ما لم يطلع عليه غيره، وهذا كله معلوم من حاله ﷺ بالعقل الصريح والنقل الصحيح، وإذا كان في علمه بالله تعالى أعلم الناس لزم أن يكون أخشى الناس لله تعالى؛ لأنَّ الخشية منبعثة عن العلم وبحسبه كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة فاطر/الآية:28]" (١).

وهذهِ المقامات له ﷺ لا تستغرب إذا علم أن الله تعالى اصطفاه وجعله مختاراً من خيار الناس كما قال ﷺ : "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم"(٢).

ويقول القرطبي: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [سورة القصص/الآية:68] ، قد اصطفى الله تعالى من هذا الجنس الحيواني نوع بني آدم كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [سورة الإسراء/الآية70] يكفيك من ذلك كله: أن الله تعالى خلق العالم كله لأجله، كما صرح بذلك عنه لما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الجاثية/الآية:13]، ثم إن الله تعالى اختار من هذا النوع الإنساني من جعله معدن نبوته ومحل رسالته، فأولهم آدم عليه السلام، ثم إن الله إختار من نطفته نطفة كريمة، فلم يزل ينقلها من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة فكان منها الأنبياء والرسل كما قال تعالى : ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة آل عمران/ الآيتان: 33-34]، ثم إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل وإسحاق كما قال تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ﴾

(١) المفهم:ج6/ ص150.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ ج15/ ص41، حديث رقم (2276).

[سورةالنساء/ الآية 163] ، ثم إن الله تعالى إصطفى من ولد إسماعيل كنانة كما ذكرهم النبي ﷺ في هذا الحديث، ثم أن الله تعالى ختمهم بختامهم، وأمهم بإمامهم، وشرفهم بصدر كتيبتهم، وبيت قصيدهم شمس ضحاها هلال ليلتها دُر تقاصيرها (١) زبر جدها وهو محمد (عليه الصلاة والسلام) أخره عن الأنبياء زمانا، وقدمه عليهم رتبة ومكاناً، جعله الله واسطة النظام كمل بكماله أولئك الملأ الكرام وخصه من بينهم بالمقام المحمود في اليوم المشهود"(٢).

قال أكثر أهل التأويل عن معنى المقام المحمود " هو الذي يقومه النبي ﷺ ليريحهم من كرب الموقف، وذكر عدة أحاديث (رحمه الله) صرح بها بأنها (مطلق الشفاعة، ومنها حديث سلمان قال فيشفعه الله في أمته فهو المقام المحمود، وعنه ﷺ أنه سئل عنه فقال هي الشفاعة ، وفي حديث كعب بن مالك رفعه فأكون أنا وأمتي على تل فيكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول فذلك المقام المحمود، ... وفيه إذا جيء بكم حفاة عراة وفيه ثم يكسوني ربي حلة فأقوم عن يمين العرش مقاماً لا يقومه أحد يغبطني به الأولون والآخرون..." (٣).

فالله تعالى قد حمده بما لم يحمد به أحداً من الخلق،و اعطاه من المحامد ما لم يعط مثله أحداً من الخلق ويلهمه يوم القيامة من محامده مالم يلهمه أحداً من الخلق، وقد حمده أهل السموات والأرض والدنيا والآخرة(٤).

والخصائص: جمع خصيصة، يقال: "خصه بالشيء يَخُصُه خصّاَ، وخصُوصيَّة، والفتح افصح، واختصه أي أفرده دون غيره"(٥).

---

(١) جمع تقصارة وهي : القلادة . ينظر : لسان العرب ج5/ ص 102.

(٢) المفهم ج6/ ص47.

(٣) ينظرفتح الباري، ذكرها التفصيل في هذا المعنى، باب صفة الجنة والنار: ج11/ ص426.

(٤) المفهم : ج6/ ص145.

(٥) لسان العرب ج 7/ ص24، والقاموس المحيط / ص 796، وكتاب الصحاح / ج 3/ ص1037، تهذيب اللغة ج 1/ ص 1038، وينظر معجم مقاييس اللغة / ص 303، موجودة ص 447 ، آراء ابن حجر الهيتمي ؛ تهذيب اللغة محمد بن أحمد الازهري ، تحقيق د. رياض زكي ، دار المعرفة ، بيروت، ط 1 ، 1422هـــ ؛ الصحاح/ تاج=

وعليه فالخصائص النبوية: هي الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي ﷺ وامتاز بها، إما عن إخوانه الأنبياء ، وإما عن سائر البشر.

وهذه بعض الخصائص التي اختص بها نبينا ﷺ عن سائر الأنبياء وهي كما يلي(١):

□. خاتم الأنبياء:

لقد بعث الله تعالى الرسل مبشرين ومنذرين قال تعالى : ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [سورة النساء/الآية165]،

وما من أمة إلا بعث فيها رسول قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سورة فاطر/ الآية24].

ولذا تتابع الرسل (عليهم السلام) واحداً بعد الآخر، حتى ختمهم الله جل وعلا بصفوة خلقه، وأفضل رسله، فجعل من خصائص هذا النبي الكريم أنه آخر الرسل كما قال ﷺ : (مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها، إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة! فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء) (٢).

قال القرطبي في المفهم شرحه لهذا الحديث: (المقصود بهذا المثل: أن الختم بالنبي ﷺ النبيين والمرسلين وتمم به ما سبق في علمه إظهاره من مكارم

=اللغة وصحاح العربية الجوهري إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ، بيروت ط 2، 1399هـ ؛ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس ، تحقيق شهاب الدين أبي عمرو ، دار الفكر بيروت، ط1 ، سنة 1415هـ.

(١) ينظر آراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خلال شرحهما لصحيح مسلم (دراسة وترجيح) للدكتور عبد الله بن محمد بن رميان الرميان (اطروحه دكتوراه) مقدمة إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة (سنة 1421هـ)، ط1، دار ابن الجوزي

(٢) رواه البخاري في كتاب المناقب، باب خاتم النبيين ج6/ ص645، حديث رقم (3534) ؛ ومسلم في كتاب الفضائل ،باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين، ج15/ ص57، حديث قم (2287).

الأخلاق، وشرائع الإسلام، فبه كَمُلَ النظام، وهو ختم الأنبياء والرسل الكرام صلى الله عليه وعلى آله أفضل صلاة وسلام عليه أبلغ سلام"(١).

يقول ابن حجر (رحمه الله) : " في الحديث ضرب الأمثال للتقريب للإفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين وأنَّ الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين"(٢) .

ولذا انقطعت النبوة بعده ﷺ كما قال ﷺ : (إنه لا نبي بعدي) (٣).

قال القرطبي: "هذا النفي عام في الأنبياء والرسل عموماً، لإن الرسول نبي وزيادة، وقد جاء نصاً في كتاب الترمذي قوله ﷺ: "لا نبي بعدي ولا رسول" (٤)، وقد قال تعالى:﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [سورة الأحزاب/الآية:40].

وفي الجملة : هو أمر مجمع عليه معلوم من دين هذه الأمة، فمن ادّعى أنَّ بعده نبياً أو رسولاً، فإن كان مسراً لذلك وأُطلع بالشهادة المعتبرة قُتِلَ قتلة زنديق، فإن صرح بذلك فهو مرتد يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل قتلة مرتد"(٥).

. الشفاعة:

من الخصائص التي أكرم الله بها نبينا محمداً ﷺ هي الشفاعة، وخص بها نبينا (عليه الصلاة والسلام) دون الرسل (عليهم السلام) الشفاعة العامة لأهل الحشر يوم القيامة ، وقد جاء إثباتها في الحديث الطويل الذي جاء فيه قوله ﷺ: "أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون بِمَ ذلك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والأخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي، وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ

(١) المفهم ج6/ ص88.
(٢) ينظر فتح الباري، باب خاتم النبيين ج6/ ص 559.
(٣) رواه البخاري في كتاب أحاديث الانبياء، باب ما ذكر بني إسرائيل ج 6/ ص571، حديث رقم (3455)؛ ومسلم في كتاب الامارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالاول ج 12 / ص473، حديث رقم (1842).
(٤) رواه الترمذي في أبواب الرؤيا، ببا ذهبت النبوة وبقيت المبشرات، وقال حديث حسن صحيح غريب، وصحح إسناده الالباني في صحيح سنن الترمذي ج2/ ص258.
(٥) المفهم :ج4/ ص48.

الناس من الغم والكرب لا يطيقون وما لا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض : ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم ، فيأتون آدم – ثم ذكر مجيئهم لآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام) ، وكلهم يعتذر حتى قال: فيأتوني فيقولون: يا محمد! انت رسول الله وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر إشفع لنا عند ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلغنا ، فأنطلق فلَّتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ ، ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! إرفع رأسك، سل تعطه، إشفع تشفع"[١].

قال القرطبي معلقاً على هذا الحديث" محمد ﷺ اخره عن الأنبياء زماناً، وقدمه رتبة ومكاناً، جعله الله واسطة النظام، وكمل بكماله أولئك الملأ الكرام ، وخصه من بينهم بالمقام المحمود في اليوم المشهود، فهو شفيعهم إذا استشفعوا ، وقائدهم إذا وفدوا، وخطيبهم إذا جمعوا، وسيدهم إذا ذكروا .. الناس كلهم إذا جمعهم موقف القيامة، وطال عليهم، وعظم كربهم، طلبوا من يشفع لهم إلى الله تعالى في إراحتهم من موقفهم، فيبدأون بآدم عليه السلام فيسألونه الشافعة فيقول: نفسي نفسي لست لها، وهكذا يقول من سألها من الأنبياء حتى ينتهي الأمر إلى سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) فيقول: (أنا لها) فيقوم في أرفع مقام، ويخص بما لا يحصى من المعارف والالهام، وينادى بألطف خطاب وأعظم إكرام ، يا محمد! قل تسمع وسل تعطه، وإشفع تشفع، وهذا مقام لم ينله أحد من الأنام ولا سمع بمثله لأحد من الملائكة الكرام"[٢].

هذا في شفاعته العامة لأهل المحشر إذ لا شافع في هذا المقام غيره، ومن خصائصه أيضاً فيما يتعلق بالشفاعة أنه أول شافع يوم القيامة في الشفاعات

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عزوجل: " ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه": ج6/ ص428، حديث رقم(3340)؛ ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة: ج3/ ص66، حديث رقم(194) .

(٢) المفهم :ج6/ ص47 .

الأخرى غير العامة فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد ولد آدم وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع) (١).

يقول النووي في شرح معنى هذا الحديث (وهذا الحديث دليل لتفضيله ﷺ على الخلق كلهم لأن مذهب اهل السنة أن الأدميين أفضل من الملائكة وهو (صلى الله عليه وسلم) أفضل الآدميين وغيرهم) (٢)، وكأن أهل العلم يقولون أنه المقام المحمود وقيل أنه يجلسه معه على عرشه، وقيل المراد بالمقام المحمود نوعان الأول الشفاعة العامة لفصل القضاء، والشفاعة في إخراج المذنبين من النار، وقيل كلامه بين يدي ربه وجلوسه على كرسيه وقيامه أقرب من جبريل، وشفاعته في إدخال الجنة بغير حساب، وفي إدخال قوم حوسبوا فاستحقوا العذاب أن لا يعذبوا ، وفي اخراج من أدخل النار من العصاة، وقال النووي: إنّ هذه الشفاعة من خصائصه، وهناك من الأحاديث ما تدل على شفاعته ﷺ لأبي طالب في تخفيف العذاب عنه، وشفاعته لأهل المدينة، وشفاعته فيمن استوى حسناته وسيئاته وهم أهل الأعراف، وشفاعته فيمن قال (لا إله إلا الله) ولم يعمل خيراً قط، وكل هذهِ الشفاعات لها أحاديث مسنده ذكرها ابن حجر في كتابه" فتح الباري وفي شرحه لحديث الشفاعة"(٣).

يقول القرطبي في شرحه لهذا الحديث" مقصود هذا الحديث يبين أن لا يتقدمه شافع ، لا من الملائكة ولا من النبيين، ولا من المؤمنين في جميع أقسام الشفاعات ، على أنَّ الشفاعة العامة لأهل الموقف خاصة لا تكون لغيره"(٤).

أجمعت الأمة على أن لمحمد صلى الله عليه وسلّم شفاعة في الآخرة وحمل على ذلك قوله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ (الإسراء : 79) وقوله تعالى :

---

(١) سنن أبي داود ج2/ ص630، حديث رقم (4673) ، قال عنه الالباني (حديث صحيح)

(٢) عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم ابادي أبو الطيب محمد شمس الحق ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2 (لسنة 1415) ، ج12/ ص278؛ وشرح النووي لصحيح مسلم ج15/ ص37 وما بعدها.

(٣) ينظر فتح الباري :ج11/ ص 426- 429.

(٤) المفهم :ج6/ ص49.

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ (الضحى : 5) ثم اختلفوا بعد هذا في أن شفاعته عليه السلام لمن تكون أتكون للمؤمنين المستحقين / للثواب ، أم تكون لأهل الكبائر المستحقين للعقاب ،فذهبت المعتزلة على أنها للمستحقين للثواب وتأثير الشفاعة في أن تحصل زيادة من المنافع على قدر ما استحقوه ، وقال أصحابنا : تأثيرها في إسقاط العذاب عن المستحقين للعقاب ، إما بأن يشفع لهم في عرصة القيامة حتى لا يدخلوا النار وإن دخلوا النار فيشفع لهم حتى يخرجوا منها ويدخلوا الجنة واتفقوا على أنها ليست للكفار/ واستدلت المعتزلة على إنكار الشفاعة لأهل الكبائر بوجوه. أحدها : هذه الآية : قالوا إنها تدل على نفي الشفاعة من ثلاثة أوجه(١).

الأول : قوله تعالى : {لا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا} ولو أثرت الشفاعة في إسقاط العقاب لكان قد أجزت نفس عن نفس شيئاً. الثاني : قوله تعالى : {وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـــاعَةٌ} وهذه نكرة في سياق النفي فتعم جميع أنواع الشفاعة ، والثالث : قوله تعالى : {وَلا هُمْ يُنصَرُونَ} ولو كان محمد شفيعاً لأحد من العصاة لكان ناصراً له وذلك على خلاف الآية. لا يقال الكلام على الآية من وجهين : الأول : أن اليهود كانوا يزعمون أن آباءهم يشفعون لهم فأيسوا من ذلك ، فالآية نزلت فيهم. الثاني : أن ظاهر الآية يقتضي نفي الشفاعة مطلقاً إلا أنا أجمعنا على تطرق التخصيص إليه في حق زيادة الثواب لأهل الطاعة ، فنحن أيضاً نخصه في حق المسلم صاحب الكبيرة بالدلائل التي نذكرها ، لأنا نجيب عن الأول بأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وعن الثاني أنه لا يجوز أن يكون المراد من الآية نفي الشفاعة في زيادة المنافع لأنه تعالى حذر من ذلك اليوم بأنه لا تنفع فيه شفاعة ، وليس يحصل التحذير إذا رجع نفي الشفاعة إلى تحصيل زيادة النفع لأن عدم حصول زيادة النفع ليس فيه خطر ولا ضرر يبين ذلك أنه تعالى لو قال : اتقوا

---

(١) : تفسير الفخر الرازي ، الرازي محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي أبو عبد الله فخر الدين ولد بالري من أعمال فارس من تصانيفه الكثيرة: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي:ج3/ص485.

يوماً لا أزيد فيه منافع المستحق للثواب بشفاعة أحد لم يحصل بذلك زجر عن المعاصي ، ولو قال : اتقوا يوماً لا أسقط فيه عقاب المستحق للعقاب بشفاعة شفيع كان ذلك زجراً عن المعاصي ، فثبت أن المقصود من الآية نفي تأثير الشفاعة في إسقاط العقاب لا نفي تأثيرها في زيادة المنافع. وثانيها : قوله تعالى : ﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ (غافر : 18) والظالم هو الآتي بالظلم وذلك يتناول الكافر وغيره ، لا يقال إنه تعالى نفى أن يكون للظالمين شفيع يطاع ولم ينف شفيعاً يجاب ونحن نقول بموجبه فإنه لا يكون في الآخرة شفيع يطاع ، لأن المطاع يكون فوق المطيع ، وليس فوقه تعالى أحد يطيعه الله تعالى ، لأنا نقول : لا يجوز حمل الآية على ما قلتم من وجهين ، الأول : أن العلم بأنه ليس فوقه تعالى أحد يطيعه ، متفق عليه بين العقلاء. أما من أثبته سبحانه فقد اعترف أنه لا يطيع أحداً ، وأما من نفاه فمع القول بالنفي استحال أن يعتقد فيه كونه مطيعاً لغيره ، فإذا ثبت هذا كان حمل الآية على ما ذكرتم حملاً لها على معنى لا يفيد. الثاني : أنه تعالى نفى شفيعاً يطاع ، والشفيع لا يكون إلا دون المشفوع إليه لأن من فوقه يكون آمراً له وحاكماً عليه ومثله لا يسمى شفيعاً فأفاد قوله : "شفيع" كونه دون الله تعالى [١]

قال ابن حزم:اختلف الناس في الشفاعة فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخوارج وكل من تبع أن لا يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها وذهب أهل السنة والأشعرية والكرامية وبعض الرافضة إلى القول بالشفاعة(٢)

وقال الاشعري:اختلف أهل الكلام هل هي لأهل الكبائر" [٣]فصاروا الى ثلاثة فرق:

1. أنكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة وقالت بإبطالها.

---

(١) تفسير الفخر الرازي: ج1/ص489 .

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (علي بن احمد بن سعيد)، تحقيق الدكتور :عبد الرحمن، عميرة، دار الجيل، بيروت، (سنة 1405 هــ):ج4/ص53

(٣) المصدر نفسه: ج4/ص53 .

2.قال أهل السنة والاستقامة(الأشاعرة) بشفاعة رسول الله ﷺ لأهل الكبائرمن أمته.

3.وقال بعضهم الشفاعة من النبي ﷺ للمؤمنين أن يزدادوا في منازلهم من باب التفضيل. [١]

وهذه المنزلة أعظم المنازل وأشرف المناقب وهو ما ذهب إليه جمهور العلماء والمحدثين من أهل العلم والله تعالى أعلم.

. الوسيلة:-

من الخصائص العظيمة التي خص الله نبينا محمداً ﷺ هي الوسيلة:-

وهي منزلة رفيعة في الجنة قال ﷺ: "واسألوا الله الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا هو"[٢].

يقول القرطبي في شرح هذا الحديث: قوله: " وأرجو أن أكون أنا هو " قال هذا ﷺ قبل أن يبان له أنه صاحبها، إذ قد أخبر أنه يقوم مقاماً لا يقومه أحد غيره"[٣].

يقول المباركفوري في شرح هذا الحديث "هي أعلى درجة في الجنة (لا ينالها) أي لا يدرك تلك الدرجة العالية (إلا رجل واحد) أبهمه تواضعاً (أرجو) أي أؤمل (أن أكون أنا هو)" [٤]، والوسيلة هي ما يتقرب به إلى الكبير يقال توسلت أي تقربت وتطلق على المنزلة العلية ... وبأن الواصل إلى تلك المنزلة قريب من

---

(١) مقالات الاسلاميين،الاشعري:ج2/ص148؛الغنية في اصول الدين /ص172.

(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه : ج4/ ص 328، حديث (384) ، وصحيح ابن خزيمة محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري، المكتب الاسلامي، بيروت (سنة 1390هـ)، تحقيق محمد مصطفى الاعظمي رواه بنحو هذا الحديث ج1/ ص218، رقم (418).

(٣) المفهم : ج2/ ص13.

(٤) تحفة الاحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوي، دار الكتب العلمية، بيروت ، بدون تاريخ : ج8 / ص 58- 60.

الله فتكون كالقربة التي يتوسل بها قوله والفضيلة أي المرتبة الزائدة على سائر الخلائق) (١).

. حوض الكوثر:-

وهو الحوض المورود الذي خص الله تعالى به نبينا محمداً ﷺ في ذلك اليوم العظيم، فهو من خصائصه ﷺ التي لم تكن لغيره. يقول تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ ﴾ [سورة الكوثر/الآية:1] يقول القرطبي: " إن الله تعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالكوثر الذي هو الحوض المصرح بإسمه وصفته وشرابه وآنيته في الأحاديث الكثيرة الصحيحة الشهيرة"(٢). الفرق هنا

يقول ﷺ: "إني فرطُكُم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم"(٣).

قال القاضي عياض رحمه الله (أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه) (٤)، وأما صفة الحوض فقد بينها النبي ﷺ في أحاديث كثيرة فمنها عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟ قال والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها إلا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيله ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل(٥).

---

(١) ينظر فتح الباري :ج2/ ص 95 وما بعدها.

(٢) المفهم: ج6/ ص90.

(٣) رواه البخاري، باب في الحوض: ج5/ ص2406، حديث رقم (6212) .

(٤) صحيح مسلم ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ ، ج4/ ص 1792 (تعليق).

(٥) رواه مسلم ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ ، ج4/ ص 1792 ، حديث رقم(2300).

يقول ابو الحسن الاشعري :(ان اهل السنة والجماعة قالوا أن للنبي ﷺ حوضاً يسقى منه المؤمنين ولايسقى منه الكافرين،ويذكر ان المعتزلة انكروا الحوض) .(١)

وقد اختلف في حوضه ﷺ هل هو قبل الصراط ام بعده.

وقال القرطبي:ان الحوض يكون في الموقف قبل الصراط؛لأن الصراط انما هو جسر على جهنم ممدود يجاز عليهفمن جازه سلم من النار وقال اخرون انه بعد الصراط (٢)

ويقول ايضاً:الصحيح ان له ﷺ حوضين احدهما في الموقف قبل الصراط والاخر داخل الجنة وكلاهما يسمى كوثراً، فتعقب ان الكوثرنهر داخل الجنة وماؤه يصب في الحوض،ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه(٣)

وخص نبينا ﷺ بكثير من الخصائص كما في قوله ﷺ " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي. كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأُعطيت الشفاعة) (٤).

وقد جاء في بعض الأحاديث أنه ﷺ قال: (أعطيت ثلاثاً) وجاء في حديث غيره (أعطيت ستاً) ، وقد بين بعض أهل العلم أنه لا تعارض في هذه الأحاديث.

يقول القرطبي : "فلا يظن أنها تعارض ، وإنما يظن هذا من توهم أن ذكر الأعداد يدل على الحصر، وأنها لها دليل خطاب،وكل ذلك باطل, فإن القائل عندي خمسة دنانير – مثلاً – لا يدل هذا اللفظ على أنه ليس عنده غيرها، ويجوز له أ نْ

---

(١) مقالات الاسلاميين :ج147/2 ؛وينظر الابانة في اصول الديانة/ص245.

(٢) التذكرة في احوال الموتى وامور الاخرة،تحقيق د.احمد حجازي السقا،مكتبة النهضة ،بغداد،ط 1405هـ–1985م/ص343.

(٣) ينظر التذكرة /ص 343 ؛وينظر ارشاد الساري للقسطلاني ط 6،مصر(1305 هـ) :ج335/9 .

(٤) رواه البخاري، كتاب التيمم ج 1/ ص519، حديث رقم (335)، ومسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ج5/ ص6، حديث رقم 521.

يقول تارة أخرى: عندي عشرون، وتارة أخرى عندي ثلاثون، فإن من عنده ثلاثون صدق عليه أن عنده عشرين وعشرة، فلا تناقض ولا تعارض ، ويجوز أن يكون النبي ﷺ أُعلم في وقت بالثلاث، وفي وقت بالخمس، وفي وقت بالست، والله تعالى أعلم"(١).

وقد بين القرطبي في هذه المذكورات من الخصائص التي تميز بها ﷺ عن غيره من المرسلين فقال: "قوله :"وبعثت إلى الأحمر والأسود" يعني كافة الخلق كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [سورة سبأ/الآية28]. وقوله :"وجعلت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً" وهذا مما خص الله نبيه ﷺ، وكانت الأنبياء إنما أبيح لهم الصلاة في مواضع مخصوصة، كالبيعَ والكنائس، وقوله"وأحلت لي الغنائم" هذا من خصائصه ﷺ ، وإنما كانت الغنائم قبله تجمع، ثم تأتي نار من السماء فتأكلها، "والرعب" الفزع، والشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ هي الشفاعة لأهل الموقف كما تقدم"(٢).

. أول من ينشق عنه القبر:

وهذهِ خصيصه أخرى من خصائص نبينا ﷺ التي لا يشاركه فيها غيره، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : " أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع"(٣).

قال القرطبي في شرح هذا الحديث "يعني هو أول من يعجل إحياؤه مبالغة في إكرامه وتخصيصاً له بتعجيل جزيل إنعامه"(٤).

---

(١) المفهم :ج2/ ص115.
(٢) المفهم :ج2/ص116.
(٣) رواه مسلم، باب تفضل نبينا ﷺ، ج4/ ص 1782، حديث رقم (2278) .
(٤) المفهم: ج6/ ص 48.

. نبي التوبة والرحمة[1]:

وقد جاء هذا في قوله ﷺ من حديث أبي موسى الاشعري قال: كان رسول الله ﷺ يقول:"أنا محمد وأحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة"[2].

قال النووي معلقاً في شرحه للحديث (نبي التوبة ونبي الرحمة .. فمعناها متقارب ومقصودها أنه ﷺ جاء بالتوبة والتراحم كما قال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾ [سورة الفتح/الآية29]، وقوله تعالى:﴿ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ ﴾[سورة البلد/ الآية17]) [3].

قال السيوطي في شرحه للحديث (سمي نبي التوبة؛ لأنهُ بُعث بقبول التوبة بالقول والاعتقاد، وكان توبة من قبلنا بقتل أنفسهم قال: ويحتمل أن يكون المراد بالتوبة : الإيمان والرجوع من الكفر إلى الإسلام)[4].

وقال المناوي لشرحه الحديث: "فيصدق أنه نبي التوبة فلابد من مزية لنبينا ﷺ و(نبي الرحمة) أي الترفق والتحنن على المؤمنين والشفقة على عباد الله المسلمين، وأنّ الرحمة والمرحمة بمعنى واحد وهي إفاضة النعم على المحتاجين والشفقة عليهم واللطف بهم، وقد أعطي هو وأمته منها ما لم يعطه أحداً من العالمين ويكفيه قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية107] [5].

كل نبي جاء بالتوبة والرحمة ولا شك ، ولكن ذكر هذا من النبي ﷺ يدل على اختصاص لم يكن لغيره من الأنبياء، فيرجع هذا على المعنى، وقد قال

---

(١) آراء القرطبي والمازري الاعتقادية للدكتور عبد الله بن محمد الرميان / ص 693.

(٢) رواه مسلم، كتاب الفضائل ، باب في أسمائه ﷺ ج15/ ص114، حديث رقم 2355.

(٣) شرح النووي لصحيح مسلم :ج15/ ص 106.

(٤) شرح السيوطي على مسلم (الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لعبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي) : ج 4/ ص 256.

(٥) ينظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، المناوي عبد الرؤف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، سنة (1356هـ) : ج3/ ص45.

القرطبي عند شرحه لهذا الحديث: " أي: الذي تكثر التوبة في أمته وتعم حتى لا يوجد فيما ملكته أمته إلا تائب من الكفر... ويحتمل أن يكون معناه: أن أمته لما كانت أكثر الأممم كانت توبتهم أكثر من توبة غيرهم، ويحتمل أن تكون توبة أمته أبلغ حتى يكون التائب منهم كمن لم يذنب ولا يواخذ لا في الدنيا ولا في الأخرة، ويكون غيرهم يؤاخذ في الدنيا وإن لم يؤاخذ في الأخرة والله أعلم.

والذي أحوج إلى هذهِ الأوجه : اختصاص نبينا بهذا الاسم مع أنّ كل نبي جاء بتوبة أمته فيصدق عليه أنه نبي التوبة، ... فهو أعظم كل رحمة وأمته القابلة لما جاء به قد حصلت على أعظم حظ من هذه الرحمة ، وشفاعته يوم القيامة لأهل الموقف أعم كل رحمة ولأهل الكبائر أجل كل نعمة وخاتمة ذلك شفاعته في ترفيع منازل أهل الجنة"(١).

وبالجملة فخصائصه ﷺ كثيرة، سواء فيما أعطاه الله تعالى في الدنيا، أو ما جعله له تعالى في الآخرة من المقامات المحمودة، والمقامات الفاضلة مع ما خص الله تعالى به أمته، وأكرمها إذ جعلها خير الأمم وأكثر أهل الجنة . كل ذلك هو ما أخبرنا به ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

"وهذهِ الخصائص والفضائل التي حدث بها النبي ﷺ عن نفسه، إنما كان ذلك منه؛ لأنها من جملة ما أمر بتبليغه، لما يترتب عليها من يعتبر وجوب اعتقاد ذلك، وأنه حق في نفسه، وليرغب في الدخول في دينه وليتمسك به من دخل فيه وليعلم قدر نعمة الله عليه في أن جعله من أمة من هذا حاله، ولتعظم محبته في قلوب متبعيه، فتكثر أعمالهم وتطيب أحوالهم، فيحشرون في زمرته، وينالون الحظ الأكبر من كرامته، وعلى الجملة فيحصل بذلك شرف الدنيا وشرف الأخرة،لأنّ شرف المتبوع مُتعدٍّ لشرف التابع على كل حال(٢) .

فالخصائص النبوية هذه الفضائل والأمور التي انفرد بها النبي ﷺ وامتاز بها إما عن اخوانه الأنبياء، وإما عن سائر البشر.

---

(١) المفهم : ج4/ ص 147.

(٢) المفهم : ج6/ ص 49.

وهذه الفضائل التي امتاز بها النبي ﷺ ضربان(١):

الأول: خصائص تشريعية: وهي ما اختصَّ به النبي ﷺ من التشريعات الآلهية.

والثاني: خصائص تفضيلية: وهي الفضائل والتشريفات التي كرم الله بها نبينا ﷺ دون غيره.

أورد ابن حجر الهيتمي (٢) جملة من خصائص نبينا ﷺ ويمكن تقسيم ما أورده على قسمين(٣):

الأول : ما عده من خصائصه ﷺ وهو ثابت.

الثاني: ما عده من خصائصه **(** صلى الله عليه وسلم**)** وهو غير ثابت.

القسم الأول: ما عده من خصائص نبينا ﷺ وهو ثابت:

سبق أن تحدثنا على جملة من الخصائص التي إختص بها نبينا محمد ﷺ ولكن ابن حجر الهيتمي ذكر في كتابه " الدر المنضود" جملة من الخصائص وإن كنا سبق أن بينا جملة منها وهي بقول الهيتمي:

"رسول الله ﷺ هو سيد الأولين والآخرين، والملائكة المقربين والخلائق أجمعين ، وحبيب رب العالمين، وأكمل رسول الله، وأفضل خلق الله المخصوص بـــ: الشفاعة العظمى يوم الدين(٤).

---

(١) ينظر خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء ، للصادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبة الرشد، الرياض ، ط1 ، سنة 1421هـ / ص23- 25.

(٢) هو أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي الوائلي السعدي المصري ثم المكي (ت 927هـ) ، ينظر شذرات الذهب ج 8/ ص 930؛ والسحب الوابلة على ضرائح الحنابلة محمد بن عبد الله بن حميد ، تحقيق الدكتور: بكر بن عبد الله أبي زيد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط1 ، سنة 1416هـ / ج2/ ص 854.

(٣) آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية / ص 448.

(٤) ينظر الدرر المنضود / ص 169؛ والمنح المكية/ ج3/ ص 1345؛ الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم لابن حجر الهيتمي (ت 729هـ) ، المطبعة الخيرية ، ط 1 ، سنة 13312هـ/ ص 59.

والمنصوص على عموم رسالته إلى العالمين من الأنس والجن والملائكة السابقين واللاحقين[١]

وصاحب اللواء المعقود والمقام المحمود[٢].

والحوض المورود..

فهو الذي اصطفاه بالمحبة والخلة، والقرب والدنو المنزه عن الاحاطة والجهة.

والصلاة بالأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) في حادثة الاسراء والمعراج، والشهادة عليهم وعلى أممهم ، وخُص بالبشارة والنذارة، والهداية والإمامة والرحمة للعالمين، وأن الله تعالى سيعطيه يوم القيامة حتى يرضى، وبإتمام النعمة له، وبشرح الصدر، وبرفع ذكره فلا يذكر تعالى إلا ويذكر معه ﷺ.

وبغرة النصر ، والتأييد بالملائكة (عليهم السلام) وبنزول السكينة.

والسبع المثاني، وإجابة الدعوة، وبالقسم بحيّاته،

ودوام الصلاة عليه من الله وجميع ملائكته الذين لا يحصيهم إلا الله تعالى ومن أمته في سائر الأزمنة والأمكنة [٣].. إلى غير ذلك مما لا يطمع في حصره ولا غاية لاستقصائه"[٤].

---

(١) ينظر تحفة المحتاج : ج1 / ص14؛ والتعرف / ص 115؛ والدرالمنضود / ص 36؛ والفتاوى الحديثية (ص 88 ، 94 ، 168 ، 206 ,283 ,285) ؛ وفتح المبين (ص 23 ، 126).

(٢) ينظر تحفة المحتاج : ج 1/ 171 ؛ والدرر المنضود / ص 168؛ الفتاوى الحديثية / ص 204.

(٣) ينظر الدرر المنضود/ ص 169 وما بعدها.

(٤) ينظر المولد الشريف (إتمام النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم) تحقيق الدكتور محمد زينهم عرب، الصدر لخدمات الطباعة، مصر / ص 25؛ وينظر مولد النبي ﷺ ، تحقيق أبي الفضل الحويني، طنطا ، ط، 1411هـ/ ص 28.

وذكر في مواضع أخرى من كتبهِ اختصاصه بختم النبوة[١] ،وجوامع الكلم[٢] ، وإسلام قرينه من الجن[٣]، وإحلال الحرم له يوم الفتح[٤] .

وملخص ما قدمنا أن الخصائص الثابتة لنبينا محمد ﷺ كثيرة، وما ذكره العالمان (ابن حجر الهيتمي، وابن حجر العسقلاني) كما سبق طرق منها ، والكلام عليها وبيان أدلتها يطول ، وقد أفردها غير واحد منهما، من أهل العلم بمصنفات خاصة[٥].

القسم الثاني: ما عده من خصائص نبينا ﷺ وهو غير ثابت:

يرى ابن حجر الهيتمي (رحمه الله) أن تعظيم النبي ﷺ يجب أن يكون بما ثبت له، وأذن به، دون مجاوزة ذلك حيث يقول "يتعين على كل أحد أن لا يعظمه إلا بما اذن الله لأمته في جنسه مما يليق بالبشر، فأن مجاوزة ذلك يفضي إلى الكفر والعياذ بالله، بل مجاوزة الوارد من حيث هو ربما تؤدي على محذور ، فليقتصر على الوارد..."[٦].

لكن ابن حجر الهيتمي (رحمه الله) لم يتقيد بما ذكره هنا, حيث ادعى للنبي (صلى الله عليه وسلم) من الخصائص ما لم يثبت له ، ولم يأذن به، وسنبين وجه

---

(١) ينظر أشرف الوسائل /(ص 58 ، 80) ؛ والمنح المكية ج 1/ ص274؛ والمولد الشريف / ص (49 ، 63) ؛ ومولد النبي ﷺ / (ص46).

(٢) ينظر فتح المبين / ص 24.

(٣) ينظر الفتاوى الحديثية / ص 101.

(٤) ينظر فتح الإله بشرح المشكاة لابن حجر الهيتمي، مخطوط محفوظ، مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض رقم (6341/ ف) / ص 174 نقلاً عن أراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية / ص450.

(٥) ينظر معجم ما الف عن رسول الله ﷺ د. صلاح الدين المنجد، دار الكتب الجديد، بيروت، ط1 ، سنة 1402هـــ / ص 187- 190.

(٦) الجوهر المنظم/ ص64 .

العلاقة بينه وبين ابن حجر العسقلاني من حيث رأي كلٍ منهما ووجهة نظرهما وفيما يلي بيان ذلك:-

1. اختصاصه ﷺ بأنه أول النبيين في الخلق والنبوة:

يقول ابن حجر الهيتمي: " إعلم أن الله شرف نبيه ﷺ بشرف نبوته في سابق أزليته، وذلك أن الله تعالى لما تعلقت إرادته بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة المحمدية من محض نوره... ثم أعلمه بنبوته، وبشره برسالته ، هذا وآدم لم يكن ..

روى مسلم انه ﷺ قال: " إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب: أن محمداً ﷺ خاتم النبيين وأنّ آدم لمنجدل في طينته"..

وصح أيضاً : متى كنت نبياً؟ قال: "وآدم بين الروح والجسد" .

وجاء " أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً..."[١].

ويقول ابن حجر الهيتمي معقباً:

القول بأن نبينا محمداً ﷺ أول الكائنات خلقاً وأنه متقدم على سائر الأنبياء بالنبوة قرره غير واحد من غلاة المتصوفة ومن وافقهم[٢]" [٣] .

وما ذكره ابن حجر الهيتمي - عفا الله عنه - لا يخرج عما قرروه، وهو باطل من وجوه كثيرة منها[٤]:

الأول: إن الأدلة النقلية والعقلية والحسية كلها تدل على أن نبينا محمداً ﷺ آخر الأنبياء خلقاً وخاتمهم نبوة.

---

(١) المولد الشريف/ ص 27؛ وينظر أشرف الوسائل :ص 34- 37 ؛ والمنح المكية (ج1/ ص139 ، ج2/ 653)؛ ومولد النبي ﷺ / ص34.

(٢) ينظر الفتوحات المكية، لابن عربي الطائي، تحقيق د. عثمان يحيى ، وزارة الثقافة والاعلام بمصر، سنة 1392هـ/ ج1/ ص 134؛ والإبريز من كلام سيدي عبد العزيز, ، الدباغ أحمد بن المبارك، دار الفكر بيروت، بدون تاريخ/ 253، والخصائص الكبرى للسيوطي ج1/ ص7 .

(٣) آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية لمحمد بن عبد العزيز الشايع / ص 451.

(٤) ينظر آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية / ص 452 – 458.

الثاني: إن النصوص الشرعية وإن اختلفت في تحديد أول ما خلق الله من الكائنات إلا أنه لم يصح في شيء منها أن أول المخلوقات نبينا محمد ﷺ أو نوره كما سيأتي إن شاء الله:-

الثالث: إن ما استدل به ابن حجر الهيتمي على دعواه لا يصح ، وبيان ذلك هو كالآتي:-

1. قوله ﷺ : "إن الله كتب مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتب في الذكر وهو أم الكتاب أن النبي ﷺ خاتم النبيين وأن آدم لمنجدل في طينته":

أن الحديث بهذا اللفظ لم يخرجه مسلم – كما ذكره ابن حجر الهيتمي – وإنما خرج أوله[١].

وأما آخره ومحل الاستدلال منه وهو قوله: "ومن جملة ما كتب في الذكر..." فقدأخرجه أحمد [٢]، والبخاري في التأريخ الكبير [٣]، وابن حبان [٤]، والطبراني[٥] .

---

(١) ينظر صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى ج 4/ ص 2044، رقم (2653).

(٢) ينظر مسند أحمد ج 28/ ص 379 ، 382 ، 395 ، بالارقام (17150 ، 17151 ، 17163)

(٣) ينظر التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ، ج6/ ص 68- 69.

(٤) ينظر صحيح ابن حبان ج14/ ص 312 ، حديث رقم (6404) .

(٥) ينظر المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدي السلفي، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية بالعراق، ط2 ، بدون تاريخ/ ج18/ ص629.

ينظر دلائل النبوة والمعرفة أحوال صاحب الشريعة ، البيهقي ، أحمد الحسين، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار القلم ، بيروت، ط1 ، سنة 1421هـ/ ج2/ ص 130.

وأبو نعيم[١] من طريق عن سعيد بن سويف الكلبي، عن عبد الله [٢] بن هلال السلمي، عن العرباض بن سارية أن رسول الله ﷺ قال: " إني عبُد الله لخاتم النبيين وإن آدم عليه السلام لمنجدل في طينته..." وهو بهذا الاسناد لا يصح فيه سعيد بن سويد الكلبي.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني عنه: " سعيد بن سويد الكلبي الشامي، روى عن العرباض بن سارية ، وربما أدخل بينهما عبد الأعلى بن هلال...

ذكر ابن حبان في الثقات، وقال البخاري: لم يصح حديثه، يعني الذي رواه معاوية عنه مرفوعاً: " إني عبد الله وخاتم النبيين في أم الكتاب، وآدم منجدل في طينته" وخالفه ابن حبان والحاكم فــصححاه..." [٣].

2. **قوله ﷺ جواباً لمن سأله متى كنت نبياً؟ :** "وآدم بين الروح والجسد" الحديث أخرجه الترمذي [٤]، والحاكم [٥]، وأبو نعيم [٦] ، من طرق عن الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه به.

---

(١) ينظر دلائل النبوة، الاصبهاني أبو نعيم، تحقيق د. محمد رواس قلعجي وأخر، دار النفائس ط4 ، سنة 1419هــ، ج1/ ص 48 ، 49.

(٢) وقع أيضاً في رواية عبد الرحمن بن مهدي وهو خطأ ، والصواب عبد الأعلى، وقد نبه على ذلك الامام عبد الله بن أحمد بن المسند ج 28/ ص 386، وللاستزادة ينظر: تحقيق المسند :ج28/ ص 380 وما بعدها.

(٣) ينظر تعجيل المنفعة للعسقلاني ، الحافظ ابن حجر، دار المحاسن للطباعة سنة 1386/ ج1/ ص 583- 584؛ والتأريخ الكبير ج 3/ ص 476؛ والجرح والتعديل ، الرازي عبد الرحمن بن أبي حاتم، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، دار المعارف العثمانية بالهند (ج 4/ ص 29) ؛ الثقات ، البستي محمد بن حبان ، مؤسسة الكتب الثقافية ، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند سنة 1399هــ، ج6/ ص 361.

(٤) ينظر سنن الترمذي، كتاب المناقب ، باب في فضل النبي ﷺ ج5/ ص 545 ، رقم (3609).

(٥) ينظر المستدرك على الصحيحين: ج2/ ص 609.

(٦) ينظر دلائل النبوة لأبي نعيم : ج1/ ص48.

قال الترمذي: " هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه"(١) .

والجواب عنهما: أن الحديثين لايدلان على ما ذهب إليه ابن حجر الهيتمي من تقدم نبينا محمد ﷺ على غيره من الأنبياء في الخلق والنبوة، وإنما غاية ما يدلان عليه أنه ﷺ كتب نبياً وآدم لم تنفخ فيه الروح بعد.

وهذا ما رحجه الحافظ ابن حجر العسقلاني في تعليقه على هذا الحديث:" إن المراد بالخاتم في أسمائه أنه خاتم النبيين ولمح بما وقع في القرآن الكريم" (٢)، قال تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة الأحزاب/الآية40] ولأنه لم أجد لابن حجر العسقلاني ذكراً لهذا الحديث بطوله كما أخرجه الهيتمي وإنما جاء بجزء منه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "رحمه الله" : "هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذٍ موجوداً ،وأن ذاته خلقت قبل الذوات..

والمقصود هنا أن الله (سبحانه وتعالى) كتبه نبياً بعد خلق آدم وقبل نفخ الروح فيه، وهو موافق لما أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود: " إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل لك، ثم يكون مضغة مثل ذلك..." (٣) إلى آخر الحديث.

بين فيه خلق الجنين،وتنقله من حال إلى حال، فناسب هذا أنه بين خلق آدم ونفخ الروح فيه تكتب أحواله، ومن أعظمها كتابة سيد ولده"(٤) .

---

(١) سنن الترمذي :ج5/ ص 546.

(٢) ينظر فتح الباري: ج6/ ص 559.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة ج 2/ ص 993 رقم (3208)، ومسلم ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق آدم ج4/ ص2036 رقم (2643) .

(٤) ينظر الرد على البكري، ابن تيمية ,أحمد بن عبد الحليم ، تحقيق محمد بن علي عجال، مكتبة الغرباء الاثرية، المدينة ن ط1 لسنة 1417هـ، الرياض: ج1/ ص 66- 67.

3. قوله ﷺ : " أنا أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً":

الجواب عنه: أن الحديث أخرجه ابن أبي حاتم [١]، وأبو نعيم [٢] من طريق سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن، عن أبي هريرة ؓ به.

وهو بهذا الاسناد لا يصح لما يلي:-

أ. عنعنة الحسن البصري، وهو معدود فيمن احتمل الأئمة تدليسه [٣]، إلا أن في سماعه من أبي هريرة كلام، والصحيح أنه سمع منه أحاديث معدودة ليس هذا منها[٤].

ب. عنعنة قتادة بن دعامة السدوسي، وهو معدود فيمن أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع[٥].

ج. ضعف سعيد بن بشير خاصة في روايته عن قتادة [٦]، والحديث من روايته عنه، ولهذا ذكره الذهبي في ترجمته وعده من غرائبه [٧]. وعليه فالحديث

---

(١) ينظر تفسير بن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة ط 1 ، 1417هـ / ج9/ 3116.

(٢) ينظر دلائل النبوة لابي نعيم الاصبهاني : ج1/ ص 42 ، حديث رقم (3) .

(٣) ينظر تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس، العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تحقيق د. أحمد سير مباركي ، ط2 ، سنة 1414هـ / (ص102).

(٤) ينظر التدليس في الحديث لـــ د. مسفر عزم الله الدميني، ط 1 ، سنة 1412هـ/ ص 291.

(٥) ينظر تعريف أهل التقديس المصدر السابق/ ص146.

(٦) ينظر التاريخ الكبير للبخاري / (ج 3/ ص460) ؛ ميزان الاعتدال (ج 2/ ص 129) ، والمجروحين والمحدثين والضعفاء والمتروكين ، البسبتي محمد بن حبان ، تحقيق محمود إبراهيم زايد، دار المعرفة بيروت ، سنة 1412هـ (ج 1/ 315) ؛ تهذيب التهذيب العسقلاني ابن حجر مؤسسة الرسالة ،بيروت ط1 / 1416هـ / (ج4/ ص 9) .

(٧) ينظر ميزان الاعتدال ج2/ ص129.

ضعيف لا تقوم به حجة(١).

2. اختصاصه ﷺ بأنه خلق من نور:

ويقول في ذلك ابن حجر الهيتمي: " نور نبوته متقدم على جميع المخلوقات ، وشاهده:

حديث عبد الرزاق بسنده عن جابر ﷺ قال : يا رسول الله أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء قال: "يا جابر إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى، ولم يكن في ذلك الوقت لوح، ولا قلم، ولا جنة ، ولا نار، ولا ملك ، ولا سماء ، ولا أرض ، ولا شمس، ولا قمر، ولا جن ولا إنس،فلما أراد الله تعالى أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء:-

فخلق من الجزء الأول: القلم، ومن الثاني: اللوح، ومن الثالث: العرش، ثم قسم الجزء أربعة أجزاء:

فخلق من الأول: السموات، ومن الثاني: الأراضين، ومن الثالث: الجنة والنار، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء:

فخلق من الأول: نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني: نور قلوبهم وهو المعرفة بالله، ومن الثالث نور أُنسهم وهو التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله ... " الحديث..

وفي حديث.. " كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام" وفي الخبر: " لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور يدور في ظهره ، فكان

---

(١) ينظر الكامل في ضعفاء الرجال، الجرجاني, عبد الله بن عدي ، دار الفكر ، بيروت، ط2 ، سنة 1405هـ (ج3/ ص 1209) ؛ الاسرار المرفوعة في الاخبار الموضوعة، علي بن سلطان القاري، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، المكتب الاسلامي بيروت، ط 2، سنة 1406هـ ، (ص272)؛ الفوائد المجموعة في الاحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ، المكتب الاسلامي ، بيروت، ط 3 ، سنة 1402هـ / ص 326.

يلمع في جبينه، فيغلب على سائر نوره" الحديث...." [١].

"وكان يكثر الدعاء ، بأن الله تعالى يجعل كلاً من حواسه وأعضاء بدنه نوراً، إظهاراً لوقوع ذلك... ، ومما يؤيد أنه ﷺ صار نوراً، أنه كان إذا مشى في الشمس أو القمر لم يظهر له ظل؛ لأنه لا يظهر إلا لكشف، وهو ﷺ قد خصه الله من سائر الكثائف الجسمانية، وصيره نوراً صرفاً لا يظهر له ظل أصلاً، خرقاً للعادة، كما خرقت له في شق صدره وقلبه مرراً ولم يتأثر بذلك"[٢].

فتقويم هذا الكلام الذي ذكره ابن حجر الهيتمي – من كون نبينا محمد ﷺ خلق من نور منقول عن جماعة من غلاة الصوفية[٣] وهو باطل من وجوه: –

1. أن القول بذلك ينافي بشرية النبي ﷺ ، فإن البشر مخلوقون من التراب لا من النور قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الروم/ الآية 20]، وقال ﷺ : خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم"[٤].

فهذا خبر عام في جميع البشر، فتخصيص نبينا محمد ﷺ بأنه خلق من نور يحتاج إلى مخصص ولا مخصص[٥].

---

(١) المنح المكية ج1/ ص 139.

(٢) المنح المكية: ج 1/ ص229، وينظر المولد الشريف (ص 30 ، 34 ، 37 ، 38) ؛ مولد النبي ﷺ / ص39؛ ينظر العمدة في شرح البردة لابن حجر الهيتمي، تحقيق بسام محمد البارود، دار الفقيه ، دبي ، ط 1 ، سنة 1425هـ / ص 289.

(٣) ينظر الفتوحات المكية لابن عربي / ج1/ ص 119؛ والابريز للدباغ/ ص252؛ الانسان الكامل في معرفة الاوائل والاواخر لعبدا لكريم الجيلي، دار الفكر بيروت ، ط 4 ، سنة 1395هـ : ج2/ ص46.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، ج4/ ص 2294، حديث رقم (2996).

(٥) ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية : ج 11 / ص 94- 95 ؛ فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء ، جمع وترتيب : أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية، المملكة العربية السعودية, الرياض،ط3، سنة1419هـ:ج1/ ص 309.

2. أن القول بذلك يفضي إلى بعض العقائد الفاسدة كاعتقاد أن النبي ﷺ مخلوق من نور الله تعالى، وأن العالم كله خلق من نوره، وأنه أول المخلوقات، وأن خلقه متقدم على العرش والقلم، وقد التزم جماعة من القائلين بذلك بهذه العقائد[١] ، ومنهم ابن حجر الهيتمي.
3. إن القول بذلك مأخوذ من بعض الفلسفات القديمة ، والنظريات الفاسدة[٢].
4. إن ما إستدل به القائلون بذلك – ومنهم ابن حجر الهيتمي – لا يصح وبيان ذلك الآتي:

أ. أما حديث جابر ﷺ : "إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره..."

فهو حديث باطل ولم يخرجه أحد من أئمة الحديث،و من القواعد المقررة التي يعرف بها وضع الحديث أن لا يتداوله المحدثون في كتبهم. وعزو ابن حجر الهيتمي الحديث إلى عبد الرزاق باطل، إذ هو ليس في شيء من كتبه[٣].

ب. وأما حديث: "كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام" فلم أجد من أخرجه بهذا اللفظ، وقد عزاه العجلوني [٤] [١] ، لابن القطان [٢] في أحكامه.

---

(١) ينظر الفتوحات المكية ج1/ ص 119؛ والانسان الكامل لعبد الكريم الجليلي: ج2/ ص 46.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، تحقيق د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر وآخرين، دار العاصمة الرياض، ط 1، 1414هــ، ج3/ ص 384؛ التصوف الإسلامي في الادب والاخلاق زكي مبارك ، دار الجيل، بيروت :ج1/ ص 201 ، 210 ، 279؛ وخصائص المصطفى بين الغلو والجفاء / ص 100- 109.

(٣) ينظر تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الانام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق: أحمد عبد القادر الشنقيطي ، مكتبة دار اليقين، الرياض، ط 2 ، 1402هــ، النوار المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين: عداب محمود الحمش، دار حسان ، الرياض ، ط1 ، سنة 1407هــ / ص 50؛ وينظر البوصيري مات الرسول الأعظم عبد المتعال المحامص مكتبة الهداية، سنة 1413هــ / ص 75.

(٤) هو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي العجلوني الدمشقي ، أبو الفداء (ت 1162هــ) ، ينظر سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، محمد خليل المرادي ، دار البشائر،

وقد أخرج القطيعي[٣] في زوائده على فضائل الصحابة لأحمد[٤] وابن عساكر في تاريخه[٥] من طريق الحسن بن علي البصري ، عن أحمد بن المقدام العجلي، عن الفضيل بن عياض، عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن زاذان، عن سلمان الفارسي ﷺ حديثاً بنحوه ولفظه: "كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله (عزوجل) قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام... " وفيه الحسن بن علي البصري، متهم بالكذب[٦]، والحديث معدود في طوامه[٧].

قال العلامة محمود شكري الآلوسي:" هذا الحديث موضوع قطعاً بإجماع أهل السنة"[٨].

=بيروت ، ط1 ، 1408هـ/ ج1 / ص 59؛ الأعلام ، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيوت سنة 1990م : ج1/ ص25.

(١) كشف الخفاء والالتباس عما إشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمود العجلوني دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3 ، 1352هـ : ج1/ ص 311.

(٢) هو علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الفاسي، أبو الحسن المشهور بإبن القطان (ت 628هـ) ينظر شذرات الذهب ج5/ ص 128، سير إعلام النبلاء ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت ط 2 ، 1412هـ : ج 22/ ص306.

(٣) هو أحمد بن جعفر بن حمدان بن مالك أبو بكر القطيعي ، من كبار ائمة الحنابلة سمع من عبد الله بن أحمد كتب أبيه، ورواها عنه (ت 368هـ) ينظر سير اعلام النبلاء ج16/ 210، شذرات الذهب/ ج3/ ص65.

(٤) فضائل الصحابة، أحمد بن عبد الله الاصبهاني ، تحقيق عادل بن يوسف الغرازي ، دار الوطن ، الرياض، ط1 ، 1419هـ، ج2/ ص 662 ، حديث رقم (1130) .

(٥) ينظرتاريخ دمشق: ج1/ ص 137 .

(٦) ميزان الاعتدال :ج1/ ص 507؛ لسان الميزان: ج2/ ص 229.

(٧) ميزان الاعتدال :ج1/ ص 507؛ لسان الميزان :ج2/ ص 229.

(٨) مختصر التحفة الاثني عشرية، محمود شكري الالوسي تحقيق محب الدين الخطيب ، المطبعة السلفية ، ط2 ، سنة 1387هـ/ ص 168.

ج. وأما حديث:" لما خلق الله تعالى آدم جعل ذلك النور يدور في ظهره...."

فلم أجد بعد البحث من خَرَّجه من أهل الحديث،وإنما ذكره بعضهم دون عزو إلى من رواه أو خرجه.

وأما ما زعمه ابن حجرالهيتمي من كون دعاء النبي ﷺ أن يجعل كل حواسه نوراً إظهاراً لوقوع ذلك، وأنه لم يكن له ظل لكونه نوراً صِرفاً فهو من مجازفاته، إذاً دعاء النبي ﷺ بذلك لا يعني إظهار وقوعه وإلا لمنعت أمته من الدعاء بمثله ، ودعوى كونه ﷺ نوراً صرفاً لا ظل له لم يشهد لها ما يدل عليها ومثلها مما توافر الهمم لنقله.

3. اختصاصه (صلى الله عليه وسلم) بأنه المقصود من الخلق والممد لها ، وخليفة الله فيها:-

يقول الهيتمي في ذلك" اعلم أن الله تعالى شرف نبيه بسبق نبوته في سابق أزليته وذلك أنه تعالى لما تعلقت إرادته بإيجاد الخلق أبرز الحقيقة المحمدية من محض نوره، قبل وجود ما هو كائن من المخلوقات بعد، ثم سلخ العوالم كلها ، ثم أعلمه تعالى بسبق نبوته وبشره بعظيم رسالته، كل ذلك وآدم لم يوجد، ثم إنبجست منه ﷺ عيون الأرواح، فظهر بالملأ الأعلى أصلاً ممداً للعوالم كلها"(١).

ويقول في شرحه لقول البوصبري:

كل فضل في العالمين فمن فضل النبي استعارة الفضلاء(٢)

" كل فضل وجد في العالمين الأنس والملائكة والجن فهو كائن في فضل ذلك النبي الأكرام على ربه من سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين.....

استعارة ... ألفضلاء؛ لأنه ﷺ الممد لهم، إذ هو **الوارث** للحضرة الإلهية، والمستمد منها بلا واسطة دون غيره، فإنه لا يستمد منها إلا بواسطته ﷺ فلا

---

(١) مولد النبي (صلى الله عليه وسلم) (ص 34- 36) ، وينظر العمدة شرح البردة (ص 220) .

(٢) الهمزية للبوصيري مطبوعة مع شرحها المنح المكية : (ج2/ ص653).

يصل لكامل شيء إلا وهو من بعض مدده، وعلى يديه، فآيات كل نبي إنما هي مقتبسة من نوره؛ لأنه كالشمس وهم كالكواكب، فهي غير مضيئة بذاتها، وإنما هي مستمدة من نور الشمس ، فإذا غابت أظهرت أنوارها ، فهم قبل وجوده ﷺ إنما كانوا يظهرون فضله، وأنوارهم مستمدة من نوره الفائض ومدده الواسع.

الا ترى أن ظهور خلافة آدم، وإحاطته بالأسماء كلها، إنما هو (**مستمد من جوامع الكلم المخصوص**) به نبينا ﷺ ، ثم توالت الخلائق إلى زمن بروز جسمه الشريف فلما أبرز كان كالشمس اندرج في نوره كل نور، وانطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الأنبياء..." (١).

ويقول في معرض ذكره لآداب زيارة قبر النبي ﷺ : " ينبغي له أن يستحضر حياته المكرمة في قبره المكرم، وأنه يعلم بزائريه على اختلاف أحوالهم ودرجاتهم وقلوبهم وأعمالهم، وأنه ﷺ يمد كلا منهم بما يناسب ما هو عليه، وأنه خليفة الله الذي جعل خزائن كرمه وموائده ونعمه طوع يديه وتحت إرادته يعطي منهما من يشاء، ويمنع منهما من يشاء وأنه لا يمكن لأحد أن يصل إلى الحضرة العلية من غير طريقه ... "(٢) .

ما تقدم سرده من كلام ابن حجر الهيتمي (عفا الله عنه) من كون النبي ﷺ هو المقصود من الخلق، وهو الممد لها، وخليفة الله فيها، منقول عن جماعة من غلاة المتصوفة(٣) وهو باطل من وجوه كثيرة منها:

1. إن القول بذلك يعارض النصوص الشرعية الدالة على أن المقصود من الخلق ابتلاؤهم بالعبادة كقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [سورة الذاريات / الآية 56] ، وقوله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [سورة الملك/ الآية 2] ، وأن الله تعالى هو الممد

---

(١) المنح المكية :ج2/ 653

(٢) ينظرالجوهر المنظم/ ص 42 .

(٣) ينظر الابريز للدباغ / ص 252- 260؛ حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر، بيروت (14 ، 25) .

للمخلوقات والمتصرف فيها كيف يشاء كقوله عز وجل ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة/ الآية 284]، وقوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة المائدة: الآية:17].

2. إن القول بذلك ينافي بشرية الرسول وما أخبر به عنه وأخبر هو عن نفسه كقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [سورة الكهف/الآية 110]، وقوله عزوجل: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف/ الآية 188]، وقوله ﷺ : "يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية (عمة رسول الله) ﷺ لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً" (١).

3. إن هذا القول مأخوذ من بعض الفلسفات الفاسدة، والعقائد الباطلة كالفلسفة الهندية، والعقيدة النصرانية(٢).

4. إن ابن حجر الهيتمي لم يذكر دليلاً يعتمد عليه في دعواه، والقائلون بقوله فاية ما استدلوا به أحاديث موضوعة لا تقوم بها الحجة.

ولهذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : " ما يذكرون أن النبي ﷺ كان كوكباً، أو أن العالم كله خلق منه، أو أنه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه، أو أنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل، وأمثال هذه الأمور، فكان ذلك كذباً مفترى بإتفاق أهل العلم بسيرته، والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي ﷺ ، بل خلق كل واحد من أبويه ، ونفخ الله فيه الروح.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى : " وأنذر عشيرتك الأقربين" ج 3/ ص 1497 رقم (4771).

(٢) ينظرالجواب الصحيح:ج 3/ 384، مظاهرالانحرافات العقدية عند الصوفية،لـــــ إدريس محمود إدريس،مكتبة الرشد، الرياض، ط1، سنة 1419هـــ: ج1/ ص 393 .

ولا كان كل ما يعلم الله لرسله وأنبيائه بوحيه يأخذونه بواسطة سوى جبريل، بل تارة يكلمهم الله وحياً يوحيه إليهم، وتارة يكلمهم من وراء حجاب كما كلمَّ موسى بن عمران، وتارة يبعث ملكاً فيوحي بإذنه ما يشاء، ومن الأنبياء من يكون على شريعة غيره، كما كان أنبياء بني إسرائيل على شريعة التوراة.
وأما كونهم كلهم يأخذون من واحد فهذا يقوله ونحوه أهل الاتحاد من أهل الوحدة والاتحاد كابن عربي صاحب الفتوح المكية والفصوص وأمثالهما"(١).

4. إختصاصه ﷺ بإحياء أبويه وإيمانهما به:

يقول في ذلك: " إختلف الناس في أبويه هل هما مؤمنان في الجنة أم لا..
.واعلم أن الحق الواضح الجلي الذي لاغبار عليه أن أبوي النبي ﷺ ناجيان لاعقاب عليهما ، وكذا أهل الفترة جميعهم. ...

روى الطبري بسنده عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه ترك الحجون كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء الله عزوجل ثم رجع مسروراً، قال: سألت ربي عزوجل، فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردَّها".

ورواه ابن شاهين (٢) عنها بلفظ حج بنا رسول الله ﷺ حجة الوداع مربي على عقبة الحجون وهو باك حزين مغتم، فبكيت لبكائه، ثم إنه نزل فقال:" يا حميراء: استمسكي" فاستندت إلى جنب البعير، فمكثت ملياً، ثم عاد إليَّ وهو فرح مبتسم فقال: "ذهبت لقبر أمي، فسألت ربي أنه يحيها فأحياها فآمنت بي".

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى :ج 18 /367- 368 .

(٢) هو عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد البغدادي ،أبو حفص ، المشهور بإبن شاهين سلفي ثقة حافظ، من مؤلفاته: شرح مناهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين (توفي سنة 385هـ) ، ينظر سير إعلام النبلاء :ج16/ 431 .

وكذا جاء من حديثيهما أيضاً: أحيا أبويه ﷺ ورضي عنهما حتى آمنا به، رواه الخطيب وكذا السهيلي[١]، وقال: في سنده مجهول، وليس كما قال مطلقاً" [٢]

"والأحاديث مصرحة لفظاً في أكثره، ومعنى في كله، أن آباء النبي ﷺ غير الأنبياء وأمهاته إلى آدم وحواء ليس فيهم كافر، لأنْ الكافر لا يقال في حقه إنه مختار، ولا كريم، ولا طاهر ، بل نجس كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة التوبة/ الآية28]... وأيضاً قوله عزوجل: ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [سورة الشعراء/ الآية:219] على أحد التفاسير فيه أن المراد تنقل نوره من ساجد إلى ساجد..." [٣].

خلاصة ما سبق القول بحياة أبوي النبي وإيمانهما به بعد وفاتهما قرره غير واحد من المتصوفة[٤] ، وهو قول باطل من وجوه:

الأول: إن القول بذلك معارض بدلالة الكتاب والسنة والاجماع[٥].

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد البغدادي الخثعمي السهيلي ، عالم باللغة والسير من مؤلفاته: الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، ونتائج الفكر (ت 581هـ) ، ينظر تذكرة الحفاظ :ج4/ ص 137.

(٢) ينظر المولد الشريف / ص 65 ؛ وينظر أشرف الوسائل / ص 39 ؛ المنح المكية: ج1/ ص (151، 165) ؛ الزواجر عن إقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ، دار المعرفة بيروت: ج1/ ص23.

(٣) المنح المكية :ج1/ ص 151 .

(٤) ينظر الحاوي للفتاوي لجلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية، بيروت (1402هـ) :ج2/ 202، 333.

(٥) ينظر مجموع الفتاوى (ج 4/ 234) ؛ رسالة في حق أبوي الرسول ﷺ لإبراهيم الحلبي، تحقيق: علي رضا، الرياض، (لسنة 1421هـ) / ص 546؛ أدلة معتقد أبي حنيفة الاعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام : علي بن سلطان القاري، تحقيق: مشهور بن حسن بن سلمان، مكتبة الغرباء الاثرية، المدينة ، ط 1 ، سنة 1413هـ / ص64 .

فمن دلالة الكتاب: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ ﴾[سورة النساء/ الآية 17 – 18].

وقوله سبحانه : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة غافر/ الآية 85].

وقوله عزو جل : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ ﴾ [سورة التوبة/ الآية: 113].

ومن دلالة السنة قوله ﷺ لمن سأله عن والده: " إن أبي وأباك في النار "(١).

وقوله ﷺ: " إني استَأذَنْتُ ربي في زيارة قبر أمي فأَذِن لي ، واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي"(٢).

وأما الاجماع: " فقد اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين، والائمة الأربعة ، وسائر المجتهدين على ذلك ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني ، من غير إظهار خلاف لما هنالك، والخلاف من اللاحق لا يقدح في الاجماع السابق "(٣).

الثاني: أن القول بذلك ينافي "القواعد الشرعية الدالة على عدم قبول الإيمان بعد مشاهدة الأحوال الغيبية، ودعوى الخصوصية تحتاج إلى إثبات بالأدلة القوية.

وأما الاستدلال بالقدرة الآلهية، وقابلية الخصوصية للحضرة النبوية فأمر لا ينكره أحد من أهل الملة الحنيفية، وإنما الكلام في إثبات هذا المقام بالأدلة على

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب الايمان ،باب بيان أن من مات على الكفرفهو في النار :ج 1/ ص 191 ، بقم (203) من حديث أنس (رضي الله عنه) به.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب اسئذان النبي ﷺ ربه عزوجل في زيارة قبر أمه ج2/ ص 672، رقم (976) ، من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه).

(٣) أدلة معتقد أبي حنيفة للقاري / ص 84؛ وينظر رسالة في حق أبوي الرسول ﷺ / ص 641.

وجه النظام، لا بالاحتمال الذي لا يصلح للاستدلال خصوصاً في معارضة نصوص الأقوال"(١).

الثالث: أن القول بذلك قد جر بعض القائلين به – ومنهم ابن حجر الهيتمي – إلى القول بنجاة كل أصول النبي ﷺ.

وقد رد ذلك العلامة القاريّ (رحمه الله) فقال: " وأما ماذكر ابن حجر المكي (الهيتمي) .. من أن الأحاديث مصرحه لفظاً في أكثره، ومعنى في كله، أن آباء النبي ﷺ غير الأنبياء وأمهاته إلى آدم وحواء، ليس فيهم كافر؛ لأنَّ الكافر لا يقال في حقه إنه مختار ، ولا كريم، ولا طاهر ، فمردود عليه، إذ ليس في الأحاديث لفظ صريح يشير إليه، وأما المعنى فكأنه أراد به لفظ (المختار) و(الكريم) و(الاطهار) وهو لا دلالة فيه على الإيمان أصلاً، وإلا فيلزم منه أن تكون قبيلة قريش كلهم مؤمنين لحديث: "إن الله اصطفى بني كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة"(٢)، ولم يقل به أحد من المسلمين.

فتأمل؛ فإنه موضع زلل، ومقام خطل، واحذر أنْ تكون ضالاً مضلاً في الوحل"(٣) .

الرابع: أن الادلة التي ساقها ابن حجر الهيتمي في الدلالة على قوله لا تصح وبيان ذلك هو كالآتي:

1. أما استدلاله بكونهم من أهل الفترة على نجاتهم فهو مردود من وجهين:-

أ. إن ذلك معارض بقوله بحياتهما بعد وفاتهما، وإيمانهما بالنبي ﷺ فإنهما لو كانا من أهل الفترة لما احتاجا إلى الإحياء والإيمان بالنبوة، بناء على أنهما من أهل النجاة(٤).

---

(١) أدلة معتقد أبي حنيفة / ص 88- 89 .

(٢) أخرجه مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضل نسب النبي ﷺ (ج4/ ص 1782) رقم (2276) من حديث واثلة ابن الاسقع ﵁ .

(٣) أدلة معتقد ابي حنيفة/ 118 - 119؛ وينظر رسالة في حق أبوي الرسول ﷺ / ص 463- 468 .

(٤) ينظر أدلة معتقد أبي حنيفة / ص 91.

ب. إن أهل الفترة القول الصحيح في حقهم أنهم يمتحنون بنار في عرصات القيامة لا القول بنجاتهم مطلقاً (١).

2. إن الأحاديث التي أوردها ابن حجر الهيتمي في الدلالة في قوله موضوعة لا تصح.

فقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : هل صح عن النبي ﷺ أن الله تعالى أحيا له أبويه حتى أسلما على يديه، ثم ماتا بعد ذلك؟

فأجاب بقوله: "لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث، بل أهل الحديث متفقون على أن ذلك كذب مختلق، وإن كان قد رُوي.. بإسناد فيه مجاهيل... فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذباً، كما نص عليه أهل العلم، فإن مثل هذا لو وقع لكان مما تتوفَّر الهمم والدواعي على نقله، فإنه من أعظم الأمور خرقاً للعادة... "(٢).

وأما تفصيل الكلام على ما أورده منها ، فيمكن بيانه فيما يلي:

أ. حديث عائشة رضي الله عنها في زيارته لقبر أمه ﷺ بالحجون، وحياتها وإيمانها: أخرجه ابن شاهين (٣)، ومن طريقه الخطيب (٤) ، وعنه الجوزقاني (٥) (٦) ،

---

(١) ينظر الجواب الصحيح (ج1/ 312) ؛ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، 1413هـ ، (ج3/ ص 483) .

(٢) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية :ج4/ ص 324 .

(٣) ينظر ناسخ الحديث ومنسوخه ، عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق سمير أمين الزهيري، مكتبة المنار الاردن، ط1 ، سنة 1408هـ (ص 489)، رقم (656) .

(٤) ينظر ناسخ الحديث ومنسوخه ، عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق سمير أمين الزهيري / ص 377 – 378.

(٥) هو الحسين بن إبراهيم بن الحسين الجوزغاني، الهمداني، أبو عبدالله، سلفي حافظ ثقة. ينظر سير أعلام النبلاء (ج12/ 184) ، شذرات الذهب (ج4/ 136).

(٦) ينظر الاباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير ، الحسين بن ابراهيم الجورقاني تحقيق الدكتورعبد الرحمن بن عبد الجبار الفروائي، دار الصميدعي، الرياض، ط 3 ، (لسنة 1415هـ) ج1/ ص222.

والدار قطني[١] ، وابن عساكر [٢] من طريق محمد بن الحسن النقاش، عن أحمد بن يحيى الحضرمي، عن محمد بن يحيى الزهراني، عن عبد الوهاب بن موسى، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد، عن هشام بن عرورة، عن ابيه، عن عائشة رضي الله عنها به.

قال ابن الجوزي: " موضوع بلا شك : النقاش ليس بثقة ، وأحمد بن يحيى ، ومحمد بن يحيى مجهولان...

وأم رسول الله ماتت بالأبواء بين مكة والمدينة وليست بالحجون" [٣].

والحديث ذكره عامة من ألف في الموضوعات والأحاديث المشتهرة"[٤].

ب. حديث : " أن رسول الله ﷺ سأل ربهُ أن يحيى أبويه، فأحياهما له وآمنا به" .

ذكره السهيلي فقال:" وروي حديث غريب لعله أن يصح، وجدته بخط جدي.... بسند فيه مجهولون ، ذكر أنه نقله من كتاب إنتسخ من كتاب مُعوِّذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه الى ابن أبي الزناد عن عروة عن عائشة ، رضي الله عنها..." [٥].

والحديث ظاهر البطلان، إذ ليس له إسناد يثبت ، فضلاً عما ذكره السهيلي، من جهالة بعض رواته.

5. إختصاصه ﷺ بجواز رؤيته بعد وفاته:

---

(١) ينظر لسان الميزان: ج4/ ص 305.
(٢) ينظر لسان الميزان: ج 4/ ص 305 .
(٣) الموضوعات ، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد عثمان، دار الفكر، ط2 ، لسنة 1403هـ : ج1 /ص 283- 284.
(٤) ينظر: الموضوعات ، لابن الجوزي عبد الرحمن بن علي ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد عثمان : ج1/ ص 283- 284 ؛ اللالئ المصنوعة ، السيوطي جلال الدين دار المعرفة، بيروت: ج1/ ص 266؛ كشف الخفاء والالتباس :ج1/ 61.
(٥) الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن بن أبي الحسن السهيلي دار الفكر بيروت(سنة 1409هـ) : ج1/ ص 194 .

سئل ابن حجر الهيتمي (رحمه الله) : هل يمكن رؤية النبي ﷺ في اليقظة؟ فأجاب بقوله أنكر ذلك جماعة، وجوّزه آخرون وهو الحق..

أُستُدِل بحديث البخاري: " من رآني في المنام فسيراني في اليقظة" [١] أي: بعيني رأسه، وقيل : بعين قلبه، واحتمال إرادة القيامة بعيد من لفظ اليقظة، على أنه لا فائدة في التقييد حينئذٍ ؛لأن أمته كلهم يرونه يوم القيامة من رآه في المنام ومن لم يره في المنام... وأكثر ما تقع رؤيته ﷺ بالقلب ثم بالبصر لكنها به ليست كالرؤية المتعارفة وإنما هي جمعية حالية وحالة برزخية وأمر وجداني، فلا يدرك حقيقته إلا من باشره كذا قيل، ويحتمل أن المراد الرؤية المتعارفة بأن يرى ذاته طائفة في العالم أو تنكشف الحجب له بينه وبين النبي وهو في قبره فينظره حياً فيه رؤية حقيقة إذ لا استحالة، لكن الغالب أن الرؤية إنما هي لمثاله لا لذاته..." [٢].

وإن ما ذكره ابن حجر الهيتمي (غفرالله له) من جواز رؤيته ﷺ يقظة بعد وفاته قرره جماعة من الصوفية[٣]، وهو باطل من وجوه منها:

الأول : أن القول بذلك معارض بالأدلة النقلية والعقلية والحسية الدالة على وفاة النبي ﷺ ، ولا يرد على ذلك حياته في قبره، إذ حياته فيه حياة برزخية[٤].

---

(١) ينظر صحيح البخاري ،باب من رأى النبي ﷺ ج6 /ص 2567 ، رقم (6592).

(٢) ينظر الفتاوي الحديثية/ ص 392- 94 و ص 382 ، 391 ؛ وأشرف الوسائل/ ص 599 .

(٣) ينظر بهجة النفوس وتحليلها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري لعبد الله ابن أبي حمزة الاندلسي، دار الجيل ، بيرت ، ط 2 ، 1972 م: ج 4/ 237؛ والحاوي (2/ 255)، طبقات الصوفية الكبرى ،عبد الوهاب بن أحمد الشعراني، دار الفكر العربي، القاهرة : ج2/ ص 69.

(٤) ينظر الصواعق المرسلة الشهابية على الشبهة الداحضة الشامية، سليمان بن سحمان ، تحقيق عبد السلام ال عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، ط 1 ، سنة 1409هـ/ ص 98- 101 ؛ وشرح الكافية الشافعية، محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 ، سنة 1406هـ / ج1/ ص402.

الثاني: أن رؤيته ﷺ يقظة بعد وفاته لو كانت ممكنة ، لكان أولى الناس بها أصحابه ﷺ ، ولا سيما مع قيام المقتضي لهذهِ الرؤية ، فأنه قد جرى بين الصحابة من النزاع في كثير من المسائل ما يستدعي ظهوره لهم وفصله بينهم[١].

الثالث: أن القول بذلك يلزم منه لوازم باطلة منها: القول باستمرار التشريع، وأن يخلو القبر من جسده(صلى الله عليه وسلم) فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب، وأن يكون من رآه صحابياً وغيرها[٢].

الرابع: أن القائلين بذلك اضطربوا في رؤيته ﷺ هل هي رؤيته لذاته على الحقيقة، أو رؤية مثال لها، وهل تكون بالقلب أو بالبصر [٣] ، وهذا الاضطراب كاف لرد القول بجواز رؤيته ﷺ بعد وفاته يقظة، إذ الرؤية أمر محسوس والاختلاف فيها على هذا الوجه يدل على عدم تحققها.

الخامس: أن القائلين بذلك – ومنهم ابن حجر الهيتمي – لم يذكروا على قولهم هذا دليلاً يُعتمد عليه، وما ذكره ابن حجر أمران:

1. حديث: " من رأني في المنام، فسيراني في اليقظة":

الحديث سبق أن خرجناه والآن نخرجه من طريق آخر وفي "صحيح البخاري" نفسه عن طريق عبد الله بن المبارك، عن يونس بن يزيد، عن محمد بن شهاب الزهري عن أبي هريرة ﷺ به[٤]. والجواب عنه من وجهين:–

أ – أن أهل العلم اختلفوا في المراد بالحديث على أقوال(٥)، أصحها أن المراد به التشبيه والتمثيل ، ويدل لذلك روايات الحديث الأخرى، فقد رواه

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى (ج 7/ 392– 393) .

(٢) ينظر فتح الباري (ج12/ ص 401– 402) .

(٣) ينظر الأقوال المذكورة في كتاب الحاوي للسيوطي (ج2/ 263)

(٤) صحيح البخاري،كتاب التعبير، باب من رأى النبي ﷺ ,ج4/ ص 2190 حديث رقم (6993).

(٥) ينظر فتح الباري:ج 12/ ص 385 ؛ وشرح النووي لصحيح مسلم :ج15/ ص 24.

بقية أصحاب الزهري بلفظ: " من رآني في المنام فسيراني في اليقظة، أو فكأنما رآني في اليقظة، لا يتمثل الشيطان بي"[١].

ب. أن حمل الحديث على رؤيته ﷺ يقظة بعد وفاته، وإن كان أحد الأقوال في المراد بالحديث إلا أنه قول ضعيف؛ إذ إن جماعة رأوه في المنام، ولم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة ، ومعلوم أن خبر الصادق لا يتخلف[٢].

2. الحكايات التي يذكرها المصنفون في الكرامات أو يتناقلها العامة:

وهذه الحكايات ليست حجة شرعية يجب المصير إليها، إذ هي كذب مختلق ، أو تزويد شيطان مارق، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان[٣].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الرؤيا، باب قول النبي ﷺ : " من رآني في المنام فقد رآني" (ج4/ 1775) رقم (2266).

(٢) ينظر فتح الباري "فتح الباري" / ج12/ ص 385.

(٣) ينظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق : د. ربيع المدخلي، مكتبة لينة ، مصر، ط1 ، 1409هـ / ص 44؛ وينظر غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري الألوسي ، مكتبة العلم، جدة : ج2/ ص 225- 226 .

الفصل الرابـع

معجزات الأنـبـيـاء والرسل "عليـهم الصلاة والسلام"

المبـحث الأول : معجزات الأنـبـيـاء :

الفصل الرابع :

معجزات الأنبياء والرسل "عليهم الصلاة والسلام"

المبحث الأول : معجزات الأنبياء

عند حديثنا عن معجزات الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) فهي نفسها الآيات الدالة على نبوتهم وإثباتها من الله تعالى لهم وتأييدهم بها ومنها ذكر قوله ﷺ :

"ما من الأنبياء نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر..." (١)

وهذا الحديث – كما يقول ابن حجر العسقلاني (رحمه الله) – : " دالٌ على أنَّ النبي لا بُدَّ له من معجزة تقتضي إيمان من شاهدها بصدقه ، ولا يضره من أصرّ على المعاندة"(٢).

وقوله ﷺ : (من الآيات) يقول ابن حجر في تفسيرها: " أي المعجزات والخوارق"(٣).

وقد فسر الحافظ الآيات في هذا الحديث بالمعجزات الخوارق، وفي ذلك نظر، لأن الآيات أعم من المعجزات، فهي مرادفة للعلامة، وقد بَوَّب الإمام البخاري في صحيحه: (باب علامات النبوة في الإسلام) (٤) ، وذكر الحافظ في شرح هذا الباب أن العلامات أعم من المعجزة والكرامة، وأن المعجزة أخص(٥).

وعلى هذا فالصواب أن الآيات أو العلامات تعم المعجزة والكرامة وغيرهما من العلامات الدالة على صدق النبي عليه الصلاة والسلام. وقد تكلم الحافظ على معجزات الأنبياء، وبين الفرق بنيهما وبين الكرامة، كما بين الفرق بين هاتين وبين السحر، والمناسبة بين هذهِ المذكورات هي أنها جميعاً من خوارق العادات.

---

(١) صحيح البخاري، باب كيف كان نزول الوحي ج4/ ص 1905، حديث رقم (4696)

(٢) ينظر فتح الباري: ج9 / ص 6 .

(٣) ينظر فتح الباري: ج9 / ص 6 .

(٤) ينظر صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب المناقب ،باب علامات النبوة : ج6/ ص 581.

(٥) ينظر فتح الباري: ج 6/ ص 581 .

المطلب الأول : تعريف المعجزة:-

وتعريفها في اللغة والاصطلاح هو كالآتي:-

المعجزة في اللغة: مأخوذة من العجز.

يقول ابن فارس:" العين والجيم والزاي، أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء.

فالأول: عجز عن الشيء، يعجز عجزاً، فو عاجز: أي ضعيف...

وأما الآخر: فالعجز: مؤخر الشيء، والجمع أعجاز...." [١].

يقول البغدادي **المعجزة لغة** : مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة،والمعجزفي الحقيقة فاعل العجز في غيره وهو الله تعالى....

.وانما قيل لاعلام الرسل معجزات لظهور عجز المرسل اليهم عن المعارضة .

وحقيقة المعجزة اصطلاحاً:أمر خلاف العادة في دار التكليف لاظهار صدق ذي النبوة مع نكول من يتحدى به عن معارضة مثله[٢].

وقيل المعجزة:أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله [٣]

قال ابن حجر: " وسميت المعجزة لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها، والهاء فيها للمبالغة، أو هي صفة محذوف"[٤].

يرى ابن حجر العسقلاني أنَّ (المعجزة): أخص من مطلق علامات النبوة؛ لأنه يشترط فيها أن يتحدى النبيّ من يكذبه، بأن يقول: إن فعلت كذلك أتصدق بأني صادق؟ ، أو يقول من يتحداه : لا أصدقك حتى تفعل كذا، ويشترط أن يكون المتحدى به مما يعجز عنه البشر في العادة المستمرة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة (738- 739) ؛ لسان العرب (ج5/ ص 369) .

(٢) أصول الدين الاسلامي ،البغدادي عبد القاهر بن طاهر(ت 429) دار الكتب العلمية،بيروت/ص170 .

(٣) التعريفات،الجرجاني ،علي بن محمد بن علي،دار الكتاب العربي بيروت ط1 /282.

(٤) ينظر فتح الباري: ج6/ ص 581- 582.

وخلاصة قول الحافظ أنه يخصّص اسم المعجزة بما وقع فيه التحدي من علامات النّبوة ، فيكون خالصاً للنبيّ.

والذي ذهب إليه ابن حجر: هو مذهب العلماء المتأخرين ، وإلا فإسم المعجزة يعمّ كل خارق للعادة في اللغة وفي عرف الأئمة المتقدمين ، كالإمام أحمد وغيره،ويسمونها: الآيات ، كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية(١).

وعرف ابن حجر الهيتمي المعجزة بين فيه معناها، وشروطها ، فقال " المعجزة لا تطلق حقيقة إلا على الأمر الخارق للعادة، المقرون بالتحدي" الدال على صدق الانبياء عليهم الصلاة والسلام.

فعلم أن لها شروطاً:

أحدهما: - خرقها للعادة بأن تحيل العادة وقوعها كإنشقاق القمر.

ثانيهما:- إقترانهما بالتحدي وهو طلب المعارضة والمقابلة مع أمن معارضتها... ،فخرج الخارق من غير تحدٍ وهو كرامة الولي، والخارق المتقدم على التحدي كإظلال الغمام وشق الصدر الواقعين لنبينا ﷺ قبل النبوة فهي كرامات لا معجزات وتسمى إرهاصاً: أي تأسيساً للنبوة.

ولا يُقال خرج به أيضاً الخارق المتأخر عن التحدي بما تخرجه عن المقارنة العرفية؛ لأنه يلزم عليه إخراج أكثر آياته ﷺ كنطق الحصى ، والجذع، والدواب ونبع الماء، بل قيل: لعله لم يتحد بغير القرآن بالحق أن المراد بالتحدي ليس معناه الأصلي، بل المراد به دعوى الرسالة وكل معجزاته مقارنة لذلك.....

ثالثها: دلالتها على صدق التحدي، فخرج الخارق المكذب له، كأن قال: آيتي نطق هذهِ الدابة، فنطقت بكذبه"(٢).

وأما في الاصطلاح: فإن لفظ (المعجزة) لم يكن السلف الأوائل يستعملونه بمعناه الاصطلاحي الذي تعارف عليه من بعدهم، وإنما الوارد في كتاب الله تعالى

---

(١) ينظر "مجموع الفتاوى" : ج11 / ص 311.

(٢) ينظر المنح المكية (ج 1/ ص 231- 232)؛ وأشرف الوسائل/ ص 244؛ الاعلام بقواطع الاسلام للهيتمي ، تحقيق د. محمد الخميس، دار إيلاف ، الكويت ، ط 2 ، 1420هـ / ص 316.

وسنة رسوله ﷺ والمتعارف عليه عند السلف الاوائل إطلاق لفظة (الآية) و(البينة) و(البرهان) .

يقول سبحانه ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾﴾ [سورة الرعد/ الآية 38]، ويقول عزوجل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد/ الآية25] ، وقال جل وعلا: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [سورة القصص/ الآية32].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " هذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء ، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات مشهوراً ومتداولاً بهذا الاسم،إنما كان في لفظ الآية، والبينة، ,البرهان"(١).

وأما المتأخرون فقد أطلقوا لفظ المعجزة واستعملوه، ولكنهم اختلفوا في تعريفها وشروطها، وجمهورهم على ما ذكره العسقلاني والهيتمي(٢).

---

(١) ينظر النبوات (ج 1/ 215) (2/ 828) ، قاعدة في المعجزات لابن تيمية / ص 7، شرح العقيدة الطحاوية ، علي بن محمد بن ابي العز الحنفي، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وأخر، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط2 ، 1413هـ / ج2 / ص 746.

(٢) ينظر المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار بن احمد، تحقيق أحمد الاهوائي وأخرين، المؤسسة المصرية العامة، بدون تاريخ/ (ج15/ ص 569- 571) ؛ أصول الدين الاسلامي البغدادي، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3 ، 1401هـ / ص170؛ وينظر البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر: ابن تيمية ؛ شرح الاصول الخمسة،للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبه، القاهرة، ط3 ، سنة 1416هـ / 569 ؛ شرح المقاصد للتفتازاني مسعود بن عمر المشهور بسعد الدين التفتازاني تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب ، بيروت ط 1 ، 1409هـ / (ج5/ ص 11- 13) ؛ غاية المرام في علم الكلام، الامدي علي بن أبي علي ، تحقيق حسن محمد عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، مصر، لسنة 1391هـ / (ص 333) ؛ فتح الباري ج6/ ص 581 وما بعدها.

فعرف البغدادي في كتابه **المعجزة:(**أمر يظهر بخلاف العادة على يدي مدعي النبوة مع تحديه قومه بها مع عجز قومه عن معارضته بمثلها على وجه يدل على صدقه في زمان التكليف**)**(١).

والصواب أن المعجزة: اسم يعم كل خارق للعادة، ويفرق بينهما بحسب حال من تقع منه أو يدعيها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية " اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة ، وكذلك الكرامة في عرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره كما بينا مسبقاً – ويسمونها الآيات، لكن كثيراً من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما : الأمر الخارق للعادة"(٢).

وتعريف جمهور المتكلمين المعجزة بذلك، واشتراطهم فيها هذهِ الشروط، ترتب عليه حصرهم دلائل النبوة في المعجزات، واخراجهم لكثير من دلائل النبوة عن دلالتها"(٣). وهذه الخوارق التي تقع لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام توزن بميزان الشرع، فإن كانت لولي فإنها تسمى **(كرامةً)**، وإن كانت لغير ولي فهي من**(الخوارق الشيطانية)**.

---

(١) الفرق بين الفرق ،البغدادي / ص 334.

(٢) مجموع الفتاوى ج11/ ص 311؛ وينظر شرح الطحاوية ج2/ ص 746.

(٣) ينظر البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات لابن تيمية / ص 37- 38؛ والانصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني محمد بن الطيب، تحقيق محمد زاهد الكوثري، مكتبة الخانخي، القاهرة ط 3 ، 1413هـ / ص 61؛ شرح المقاصد ج5/ ص19؛ إعلام النبوة الماوردي علي بن محمد تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتب العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1407هـ/ ص 62؛ والرد عليهم في الجواب الصحيح :ج6/ ص 504.

والحق أن دلائل النبوة وكرامات الولاية وخوارق السحر ليست جنساً واحداً، والفرق بينهما متقرر[١].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" آيات الأنبياء هي التي تعلم أنها مختصة بالأنبياء، وأنها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لابد أن تكون خارقة للعادة، خارجة عن قدرة الأنس والجن ، ولا يمكن أحد أن يعارضها ، لكن كونها خارقة للعادة ولا تمكن معارضتها هو من لوازمها ليس هو حداً مطابقاً لها..." [٢].

وأما ما ذكره ابن حجر الهيتمي من شروط المعجزة فقد تعاقب على اشتراطها جمهور المتكلمين[٣] ، وهي متعقبة بما يلي:-

أما إشتراط خرق العادة فلا يصحّ لوجهين:-

الأول: أن العادة أمر نسبي لا ينضبط، فقد يكون الأمر عادة عند قوم دون غيرهم.

الثاني: أن هذا لا يختص بالأنبياء، فقد شاركهم فيه غيرهم، كالساحر مثلاً فقد يأتي بما هو خارق لعادة من شاهده ولا يستطيع الحاضرون معارضته، مع أن ما أتى به ليس خارقاً لعادة السحر أمثاله[٤].

---

(١) ينظر النبوات (ج 1/ ص 487 – 523، 606 – 607) (ج2/ ص 662 – 664، 1074 ، 1090) ، شرح العقيدة الاصفهانية،ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (ت 728هـ) تحقيق حسنين محمد مخلوف، دار الكتب الإسلامية، مصر، وأخرى بتحقيق محمد بن عودة السعوي، رسالة دكتوراه مقدمة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية / (ج2/ ص 472– 477) .

(٢) النبوات :ج2/ص775.

(٣) ينظر المغني :ج15/ 569– 571؛ شرح الأصول الخمسة / ص 569.

(٤) ينظر النبوات: (ج1/ ص 173 ، 164 ، 165 ، 170).

وإما إشتراط إقتران التحدي فلا يصح لكون التحدي لم يقع في كثير من دلائل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام(١).

وأما تفسيره له بدعوى النبوة وأمن المعارضة فمردود من وجوه:-

الأول: أن آيات الأنبياء على قوله هذا لم تتميز بصفة تختص بها، إنما تكون آية إن اقترنت بدعوى النبوة، وإلا فلا، فالدليل والبرهان يكون دليلاً إن استدل به، وإن لم يستدل به فليس دليلاً، وهو باطل(٢).

الثاني: أن هناك من الاشخاص من ادعى النبوة كاذباً، وجرى على يديه بعض الخوارق، ولم يعارض ، ومع ذلك عرف الناس كذبه، ولم يصدقوه كما في مسيلمة الكذاب(٣) ، والأسود العنسي(٤) وغيرهما(٥).

الثالث: أن قوله هذا يلزم منه أن تكون آية النبي هي صرف الناس عن المعارضة سواء كان فعله خارقاً أو غير خارق(٦).

ومما يدل على كذبهم واهانة الله لهم ماجرى مثل ذلك " لأبي مسلم الخولاني " الذي ألقي في النار فإنه مشى هو ومن معه من العسكر على دجلة وهي ترمى بالخشب من مدها ثم التفت إلى أصحابه فقال : تفقدون من متاعكم شيئا حتى أدعو الله عز وجل فيه فقال بعضهم : فقدت مخلاة فقال اتبعني فتبعه

---

(١) ينظر المحلى لعلي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، دار الفكر، بيروت : ج 1/ ص36؛ والفصل في الملل والاهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم تحقيق د. عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت 1405هـ/ ج5/ ص 2 و6 .

(٢) ينظر النبوات (ج1/ 229 ، 603 ، 605) .

(٣) هو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة ، إدعى النبوة، وتلقب بالرحمن ، حتى عرف برحمان اليمامة، قتل سنة 12هـ ، ينظر شذرات الذهب ج 1/ ص 23 ؛ والاعلام :ج7/ ص 226 .

(٤) هو عيهله بن كعب بن عوف العني المذحجي ، ذو الحمار ، أسلم يوم أسلمت اليمن، ثم إرتد عن الاسلام، وادعى النبوة، قتل سنة (11هـ)، ينظر الأعلام :ج5/ ص 111.

(٥) ينظر النبوات : ج 1/ 242 .

(٦) المصدر نفسه : ج 243/1

فوجدها قد تعلقت بشيء فأخذها وطلبه الأسود العنسي لما ادعى النبوة فقال له : أتشهد أني رسول الله . قال ما أسمع قال أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال نعم فأمر بنار فألقي فيها فوجدوه قائما يصلي فيها وقد صارت عليه بردا وسلاما(١) وكذلك ما أجراه الله على مايفعله المدعين من الإهانة والإحتقار كما فعل مسيلمة الكذاب من مسحه بيده على رأس غلام فانقرع ،ومن تفله في بئر عذبة ليزدادحلاوة فصار ملحاً أجاجاً(٢)

المطلب الثاني :

طبيعة معجزات الأنبياء:

يقول رحمه الله في كتابه "فتح الباري":

"**وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه** كما كان السحر فاشياً عند فرعون، فجاءه موسى بالعصا على صورة ما يصنع السحرة، لكنها تلقَّفت ما صنعوا، ولم يقع ذلك بعينه لغيره[٣].

إن نبينا ﷺ أُعطي مثل معجزات الأنبياء قبله، وفاقهم بما اختص به كما سبق:

"إنطوى تحت منشور آياته كل آية لغيره من الأنبياء ، فلم يُعط أحد منهم كرامة وفضيلة إلا وقد أعطى مثلها أو أعظم منها...

ومنه: أن آدم لما أعطي خلق الله تعالى بيده، أُعطي نبينا شق صدره، وملأه من ذلك الخلق النبوي....

وإدريس: لما أُعطي المكان العلي، أعطي نبينا المعراج الأفخم الأعظم.

ونوح: لما نجى هو وقومه، أعطي نبينا أن الله لم يهلك أمته بعذاب عام...

وإبراهيم: لما نجى من النار، نجى نبينا من نار الحرب قال الله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾ [المائدة/ الآية:64].

---

(١) ينظرالفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان،ابن تيمية/ص85

(٢) لوامع الانوار البهيةج2/ص392.

(٣) ينظر فتح الباري: ج9/ ص 6- 7.

ولما اعطي موسى قلب العصاحية، أعطي نبينا حنين الجذع، الذي هو أبهر وأغرب...

وانفراق البحر: أعطي نبينا انشقاق القمر الذي هو أبهر؛ لانه تصف في العالم العلوي...

وتفجر الماء من الحجر، أعطي نبينا تفجيره من بين أصابعه، وهو أبلغ؛ لأن الحجر من جنس الأرض التي ينبع منها الماء...

والكلام، أعطي نبينا مثله ليلة الإسراء ، وزيادة الدنو....

وهارون: الفصاحة، أعطي نبينا أفصح منها، على أنها في العبرانية، والعربية أفصح منها...

ويوسف: شطر الحسن، وتأويل الرؤيا، أعطي نبينا الحسن كله ، وعَبَّر عن المرائي،فوقعت كما عبَّر ما لا يدخله الحصر، وتعبير يوسف إنما كان في ثلاث مراء كما في سورته.

وتليين الحديد لداود: أعطي نبينا أن العود اليابس أخضرَّ في يديه....

وسليمان وداود:كلام الطير، أعطي نبينا أنه كلمه الحجر، وسبَّح في كفه الحصى ، وكلمه ذراع الشاة المسمومة...

والريح التي غدوها شهر ورواحها شهر، أعطي نبينا البراق، وهو أسرع من الريح...

وأيضاً الريح سخرت لسليمان لتحمله إلى نواحي الأرض ، ونبينا ﷺ زويت له الأرض أي : جمعت، حتى رأى مشارقها ومغاربها ، وفرقٌ بين من يسعى إلى الأرض ، ومن تسعى له الارض.

وتسخير الجن: اعطي نبينا أن الله مكنَّه من شيطان تفلَّت عليه في صلاته، فأراد أن يربطه بسارية، وسخر له الجن حتى أسلموا، ولم يسخروا لسليمان إلا في العمل...

وعيسى: إبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، أعطى نبينا رد العين إلى محلها بعد ما سقطت ، فعادت أحسن ما كانت... وتسبيح الحصى، وحنين الجذع، أبلغ من تكليم الموتى؛ لأن هذا من جنس من يتكلم.

وبالجملة فقد أوتي ﷺ مثلهم وزادهم بخصائص لا تحصى"(١)(٢).

وذكر ابن حجر العسقلاني (رحمه الله) كثيراً من معجزاته ﷺ ، وذكر أدلتها من الكتاب والسنة، وكلام أهل العلم في بعضها بما يدل على صدقها وإعجازها.

فقد عقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب المناقب باب (علامة النبوة في الإسلام) وساق فيه بأسانيده(62)حديثاً كلها في بيان علامات النبوة للرسولﷺ (٣).

وتولى ابن حجر العسقلاني (رحمه الله) شرح هذه الأحاديث والكلام على دلائل نبوة النبي ﷺ بشكل أوسع ومن أهم ما تولى بيانه الآتي:-

- **كثرة دلائل نبوّته ﷺ:-**

نقل الحافظ أنَّ النووي ذكر في مقدمة شرح مسلم أن معجزات النبي (صلى الله عليه وسلم) تزيد على ألف (٤) ونقل عن غيره أنها تزيد على ألف ومائتين (٥) وقال غيرهم أنها تزيد على ثلاثة آلاف(٦).

- أقسام دلائل نبوته (صلى الله عليه وسلم) من حيث وقوع التحدّي بها، ومن حيث القطع فهي كما ذكر ابن حجر (رحمه الله) منها ما وقع التحدي بها ومنها وقع دالاً على صدقه من غير سبق تحدٍّ فيقول:-

"ومجموع ذلك يفيد القطع بأنه ظهر على يده ﷺ من خوارق العادات شيء كثير، كما يقطع بوجود جود حاتم، وشجاعة علي ، وإن كانت أفراد ذلك ظنية وردت مورد الآحاد، مع أنَ كثيراً من المعجزات النبوية قد اشتهر وانتشر، ورواه العدد الكثير والجم الغفير، وأفاد الكثير منه القطع عند أهل العلم بالآثار ، والعناية

---

(١) ينظر المنح المكية :ج 1 /ص 119؛ الفتاوى الحديثية / ص 237؛ العمدة / ص 434.

(٢) آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية / ص 442.

(٣) ينظر صحيح البخاري مع " فتح الباري" ج 6/ ص 581- 630 والأحاديث من رقم (3571 – 3633).

(٤) ينظر دلائل النبوة للبيهقي ج 1/ ص 10؛ والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان/ص 300 .

(٥) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم (ج1/ ص 2) .

(٦) ينظر فتح الباري (ج 6/ ص 82- 583).

بالسير والأخبار، وإن لم يصل عند غيرهم إلى هذه الرتبة لعدم عنايتهم بذلك، بل لو أدّعي مدّع أنّ غالب هذه الوقائع مفيدة للقطع بطريق نظري لما كان مستبعداً وهو أنه لا مرية أن رواة الاخبار في كل طبقة قد حدثوا بهذه الأخبار في الجملة، ولا يحفظ عن أحد من الصحابة ولا من بعدهم مخالفة الراوي فيما حكاه من ذلك، ولا الانكار عليه فيما هنالك ، فيكون الساكت منهم كالناطق؛ لأن مجموعهم محفوظ من الاغضاء على الباطل...." (١) .

المطلب الثالث : بيان أعظم وأشهر معجزات النبي ﷺ:-

يقول ابن حجر (رحمه الله) وهو يسرد معجزات النبي ﷺ :

"وأشهر معجزات النبي ﷺ القرآن ؛ لأنه ﷺ تحدى به العرب وهم أفصح الناس لساناً، وأشدهم إقتداراً على الكلام بأن يأتوا بسورة مثله، فعجزوا مع شدة عداوتهم له وصدهم عنه حتى قال بعض العلماء: أقصر سورة في القرآن ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [سورة الكوثر/ الآية1] ، فكل قرآن من سورة أخرى كان قد (إنا أعطيناك الكوثر) سواء كان آية أو أكثر أو بعض آية داخل فيما تحداهم به، وعلى هذا فتصل معجزات القرآن من هذهِ الحيثية إلى عدد كثير جداً" (٢) .

"ووجوه إعجاز القرآن من جهة حسن تأليفه والتئام كلماته وفصاحته، ومجازه في مقام الإيجاز وبلاغته ظاهرة جداً مع ما انضم إلى ذلك من حسن نظمه وغرابة اسلوبه مع كونه على خلاف قواعد النظم والنثر هذا، إلى ما اشتمل عليه من الاخبار بالمغيبات مما وقع من أخبار الأمم الماضية، مما كان لا يعلمه إلا أفراد من أهل الكتاب ولم يعلم أن النبي ﷺ اجتمع بأحد منهم ولا أخذ عنهم وبما سيقع فوقع على وفق ما أخبر به في زمنه ﷺ وبعده هذا مع الهيبة التي تقع عند تلاوته والخشية التي تلحق سامعه، وعدم دخول الملال والسآمة على قارئه وسامعه مع تيسر حفظه لمتعلميه وتسهيل سرده لتاليه ولا ينكر شيئاً من ذلك إلا جاهل أو معاند، ولهذا أطلق الأئمة أن معظم معجزات النبي ﷺ القرآن، ومن

---

(١) ينظر فتح الباري: ج6/ ص 582.

(٢) ينظر المصدر نفسه :ج6/ص583.

أظهر معجزات القرآن إبقاؤه مع استمرار الاعجاز، وأشهر ذلك تحديد اليهود أن يتمنوا الموت فلم يقع ممن سلف منهم ولا خلف من تصدى لذلك ولا أقدم مع شدة عداوتهم لهذا الدين وحرصهم على إفساده والصد عنه فكان في ذلك أوضح معجزة"[١].

- **معجزات النبي ﷺ ما عدا القرآن:-**

تكلم الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في شرحه على عدد من معجزات النبي ﷺ ما عدا القرآن ، منها قبل نبوته ومنها ما بعد نبوته ومن تلك المعجزات:-

1. لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله ﷺ انكسر إيوان كسرى، وسقطت منه أربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام[٢].
2. وسرعة مشي حمار مرضعته وكثرة اللبن في شياهها، وخصوبة أرضها وسرعة نباته، وغاضت بحيرة ساوة[٣].
3. تسبيح الحصى وحنين الجذع وتسليم الغزالة[٤] .
4. إنشقاق القمر[٥].
5. الاسراء والمعراج[٦].

---

(١) ينظر فتح الباري: ج6/ ص582 ، وينظر (ج9/ ص7) ، و(ج13/ ص248).

(٢) ينظر المصدر نفسه : ج6/ ص 584.

(٣) ينظر المصدر نفسه : (ج 6/ ص 583)، (ج7/ص397) ، (ج13/ ص 80).

(٤) ينظر المصدر نفسه : (ج6/ 473، 592، 603).

(٥) معجزة انشقاق القمر من أعظم معجزاته ﷺ وأظهرها التي وقعت له بمكة، وتكلم عنها الحافظ في فتح الباري :(ج1/ ص 303) ، (ج6/ 592 ، 632) ، (ج7/ 183- 185).

(٦) تكلم ابن حجر العسقلاني عنها وهي من المعجزات المشهورة – في "فتح الباري" (ج6/ 486 و 7/ 197، 205 ، 218) و 8/ 609 و 11/ 407 ، و12 / 253، 445).

6. نبع الماء من بين أصابعه وتكثير الماء القليل[١].
7. تكثير الطعام، وكان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يؤكل[٢].
8. الأخبار بالمغيبات الماضية والمستقبلة ومنها قصص الأنبياء والأحداث التي سبقت زمن النبي ﷺ وما أخبر من الأمور المستقبلية التي وقع قسم منها وبقي القسم الآخر وهو علامات الساعة الكبرى وغيرها[٣].

وهذا ما سيكون حديثنا عنه في الباب الثاني (السمعيات) فهذهِ بعض معجزات نبينا محمد ﷺ التي أشار إليها الحافظ ابن حجر (رحمه الله) ،ومعجزاته ﷺ كثيرة لا تكاد تنحصر كما بينها الحافظ في كتابه.

ومعجزات نبينا محمد ﷺ تميزت على معجزات غيره من الأنبياء والرسل بكثرة عددها وظهورإعجازها.

يقول القاضي عياض (رحمه الله) : " معجزات نبينا ﷺ أظهر من سائر معجزات الرسل بوجهين:

أحدهما: كثرتها..

الثاني: وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم...." [٤].

ووازن غير واحد من أهل العلم بين معجزاته ﷺ ومعجزات غيره من الانبياء كما ذكرنا قبل ذكر معجزاته ﷺ – موازنة ابن حجر الهيتمي – وما اختصه الله تعالى به من مشاركته لهم في معجزاتهم، وتفوقه عليهم بظهور

---

(١) تكلم الحافظ عن هذه المعجزة أيضاً في كتابه (ج 6/ 584) ، ونقل فيه عن القرطبي أن هذهِ المعجزة لم يسمع بمثلها عن غير النبي ﷺ ، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه، فهو أبلغ من نبع الماء من الحجر ، لإن خروج الماء من الحجارة معهود ، [خلاف خروج الماء من اللحم والدم.

(٢) ينظر فتح الباري في كلامه عن هذه المعجزة (ج6/ ص 592، 588) .

(٣) ينظر فتح الباري في كلامه عن هذه المعجزة (ج 6/ ص 581 –585، 592 ، 595، 607).

(٤) ينظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ج1/ 523– 525) .

معجزاته(١)، ومن أوائلهم الإمام الشافعي (رحمه الله) حيث روي عنه أنه قال : " ما أعطى الله نبياً ما أعطى محمداً ﷺ " فقيل له: أعطي عيسى إحياء الموتى؟ فقال: " أعطي محمد ﷺ حنين الجذع الذي كان يقف يخطب إلى جنبه حتى هيئ له المنبر، فلما هيئ له المنبر حن الجذع حتى سمع صوته، فهذا اكبر من ذلك"(٢).

وعليه فما قرره ابن حجر (رحمه الله) من كون نبينا محمد ﷺ أعطي معجزات الأنبياء قبله، وفاقهم بما اختص به عدداً وإعجازاً موافق لما قررهُ أهل العلم.

يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن آيات الأنبياء التي كانت قبل نبوتهم، وما كانت بعد نبوتهم فيقول:

" من آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم، وقبل إنبائهم، وما يكون بعد موتهم؛ فإن الآية هي دليل على صدق الخبر بأنه رسول الله، وهذا الدليل لا يختص لا بمكان ولا زمان"(٣) .

ويقول أيضاً (رحمه الله) : " آيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول وقبل مولده، وبعد مماته، لا تختص بحياته فضلاً عن أن تختص بحال دعوى النبوة، أو حال التحدي، كما ظنه بعض أهل الكلام"(٤) .

---

(١) ينظر دلائل النبوة لابي نعيم (587 – 625) ، الشفا (ج 1/ ص 525- 528) ، الاعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام وإثبات نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام للقرطبي شمس الدين ابو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر بن فرج الانصاري (ت671هـ) / ص348، البداية والنهاية (ج6/ 291) ؛ المواهب الدينة المنح المحمدية، أحمد بن محمد القسطلاني ت – صالح أحمد الشامي ، المكتب الاسلامي، بيروت ، ط1 ، 1412هـ / ج2/ 584.

(٢) أخرجه بن ابي حاتم في مناقب الشافعي، أحمد بن الحسين البيهقي تحقيق أحمد صقر، دار التراث ، ط ، 1391هـ/ ص 83، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم الاصفهاني ، دار العربي ، بيروت ط3 ، 1400هـ / ج9 / ص 116.

(٣) النبوات لابن تيمية : ج2/ ص 497.

(٤) الجواب الصحيح : ج6/ ص 380.

ولكن يلاحظ على ابن حجر (رحمه الله) في المعجزات فلم يذكر سواها وهو باطل، فإن معرفة صدق النبي لا تنحصر في المعجزات فقط، بل تكون بها وبغيرها من الطرق مثل النظر في أحوال الأنبياء وما عرفوا به من الصدق والامانة، وما تميزوا به من محاسن الأخلاق وجميل الصفات، والنظر في ما جاءوا به من الشرائع التي تنظم بها مصالح العباد في دينهم ودنياهم ، والنظر في عاقبتهم وتأييد الله لهم وإظهارهم على من خالفهم.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : " هذه الطريقة هي من أتم الطرق عند أهل الكلام، والنظر حيث يقرون نبوة الأنبياء بالمعجزات، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح لتقرير نبوة الأنبياء لكن كثيراً من هؤلاء، بل كل من بنى إيمانه عليها يظن أن لا تعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات...

وللنظار هنا طرق متعددة: -

منهم من لا يجعل المعجزة دليلاً، بل يجعل الدليل استواء ما يدعو إليه وصحته وسلامته من التناقض كما يقوله طائفة من النظار .

ومنهم من يوجب تصديقه بدون هذا وهذا.

ومنهم من يجعل المعجزة دليلاً ويجعل أدلة أخرى غير المعجزة، وهذا أصح الطرق"(١).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح،ابن تيمية: ج6/ ص 380.

الفصل الخامس

تعريف الوحي في اللغة والاصطلاح

وبيان طرقه وكيفياته ووجوهه

المبحث الأول : تعريف الوحي :

المبحث الثاني : طرق الوحي ووجوهه:

الفصل الخامس
تعريف الوحي في اللغة والاصطلاح
وبيان طرقه وكيفياته ووجوهه

المبحث الأول : تعريف الوحي

نرى أنَّ ابن حجر (رحمه الله) قد تعرض لموضوع الوحي في عدة مواضع، وتكلم على بعض الأمور التي تشترك مع الوحي من بعض الوجوه كالرؤيا المنامية والالهام، والدوي كدوي النحل، وحدوث الصلصلة ، صلصلة الجرس، ومنه النفث في روعه ﷺ ، وبيان ذلك هو الآتي:-

(تعريف الوحي) : يقول ابن حجر العسقلاني : "الوحي: لغة: الإعلام في خفاء، والوحي أيضاً : الكتابة، والمكتوب، والبعث، والالهام، والأمر، والإيماء والاشارة ، والتصويت: شيئاً بعد شيء، وقيل: أصله التفهيم، وكل ما دللت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة فهو وحي" [١].

يقول ابن فارس: هو الكتاب والرسالة وكل ما ألقيته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان[٢].

ويقول ابن منظور: أُوحي إليه: ألهمه، والوحي: أيضاً الرجل إذا كلم عبده بلا رسول[٣].

أما في الاصطلاح الشرعي: فيقول ابن حجر: وشرعاً: الإعلام بالشرع . وقد يطلق الوحي ويراد به اسم المفعول منه أي الموحى، وهو كلام الله المنزل على النبي ﷺ [٤]، أو على نبي من أنبيائه[٥].

---

(١) ينظر فتح الباري: ج1/ ص 9، وينظر القاموس المحيط مادة (وحي) / ص 1279.

(٢) ينظر معجم مقاييس اللغة: ج6/ ص 93.

(٣) ينظر لسان العرب لابن منظور: مادة وحي (ج15/ 379) .

(٤) ينظر فتح الباري: ج1/ ص9.

(٥) ينظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان, مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 7 ، سنة 1400هـ / ص33.

المبحث الثاني : طرق الوحي ووجوهه:

أشار الحافظ ابن حجر إلى أن الوحي يأتي الأنبياء على أنحاء مختلفة كما قال تعالى: ﴿ ۞وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [سورة الشورى/ الآية 51]. ويمكن إجمالها بالآتي:-

1. أن يسمعه من الله تعالى بلا واسطة كما كلم الله موسى، وكتكليم الله لنبيه محمد ﷺ ليلة الإسراء بلا واسطة(١).

2. أن يأتيه بواسطة الملك وهو قسمان:-

أ. ما جاء به الملك وهو على صورة آدمي، وهذا أكثر.

ب. ما جاء به الملك وهو على صورته، وهذا لم يقع للنبي ﷺ إلاّ مرتين.

3. "الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه (عليه الصلاة والسلام) وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

4. ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه، من غير أن يراه وهو النفث في الروع " (٢).

5. أن يأتيه بواسطة الالقاء في القلب وهو الالهام.

6. أن يأتيه مثل صلصلة الجرس.

7. أن يأتيه بدويّ كدويّ النحل.

وقد أطلق لفظ الروح على الوحي في قوله تعالى: "وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا" [الشورى/الآية: 52]. وقوله ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ

---

(١) ينظر فتح الباري: ج13 / ص 384.

(٢) ينظر زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر المشهور بابن القيم الجوزية تحقيق شعيب وعبدالقادر الارناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط 8، سنة 1985م (ج1/ ص 33 – 34) ؛ والاتقان في علوم القرآن للشيخ جلال الدين السيوطي ، المكتبة الثقافية ، بيروت – لبنان 1973م (1/ 44) ، وينظر معترك الاقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1 ، 1408هـ : ج2/ 261- 265.

﴿ ﴾ [سورة غافر/ الآية:15]، وقوله﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴾ [سورة الشعراء/ الآية 193] وكل هذه الآيات تدل على معاني الحي[١].

وهذه هي الطرق والحالات والوجوه جملة التي ذكرها ابن حجر في كتابه وافاد (رحمه الله) أن هذهِ الطرق والحالات إما أن ترجع إلى صفة الوحي نفسه، وإما ترجع إلى صفة حامل الوحي[٢].

وهذهِ الطرق والحالات مأخوذة بالنظر في النصوص التي ورد فيها ذكر الوحي وكيفية مجيئة من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم.

- **الرؤيا والإلهام:**

عند ذكرنا لهذين النوعين بالكلام وإفرادنا بهما لكونهما يشترك بهما الأنبياء وغيرهم، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر (رحمه الله) حين ذكر أن الأنبياء لا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله تعالى به والدليل قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الجن/ الآية: 26 – 27] فيقول:-

"فإنه يقتضي إطلاع الرّسول على بعض الغيب، والولي التابع للرسول عن الرسول يأخذ وبه يكرم، والفرق بينهما أن الرّسول يطلع على ذلك بأنواع الوحي كلها، والولي لا يطلع على ذلك إلا بمنام أو إلهام، والله أعلم"[٣].

فبين وأوضح أن الرؤيا المنامية والالهام، يمكن أن يقع الاطلاع على بعض الغيب بواسطتهما لغير النبي، وهو الوليّ.

وهنا أردنا ايضاح هذين الأمرين لأنهما بحاجة إلى ضوابط وقيود بالأدلة الشرعية؛ لأنهما من مداخل الشيطان التي أضل عن طريقهما جبلاً كثيراً من

---

(١) ينظر فتح الباري: ج13/ ص 443- 444.

(٢) ينظر هذه الطرق والحالات والكيفيات في "فتح الباري" : (ج 1 / ص19-27) (ج8/ ص 476 ، 609)، (ج11/ ص142) ، (ج12/ ص352 ، 366).

(٣) ينظر فتح الباري: ج 8/ ص514؛ وينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية: ج 17/ ص 523.

الناس كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢ ﴾ [سورة يس/ الآية62] ، أعاذنا الله من نزغاته وهمزاته.

أولاً: الرؤيا:

يقول الحافظ ابن حجر (رحمه الله) : وأما الرؤيا فهي ما يراه الشخص في منامه.

ونقل عن القاضي ابن العربي(١) في بيان حقيقتها أنه قال:

"الرؤيا إدراك علقها الله تعالى في قلب العبد على يدي ملك أو شيطان، إما بأسمائها أي حقيقتها ، وإما بكناها أي بعباراتها، وإما تخليط" .

وعن القرطبي أنّه قال:" قيل: أن الرؤيا إدراك أمثلة منضبطة في التخيل جعلها الله إعلاماً على ما كان أو يكون"

وعن القاضي أبي بكر بن الطيب أنه أنكر كونها إدراكات، وذهب إلى أنها إعتقادات محتجاً بأن الرائي قد يرى نفسه بهيمة أو طائراً مثلاً، وليس هذا إدراكاً ، فوجب أن يكون إعتقاداً ؛ لأن الاعتقاد قد يكون على خلاف المعتقد.

وعن المازري(٢) أنه قال : "كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا، وقال فيها غير الاسلاميين أقاويل كثيرة منكرة؛ لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل، ولا يقوم عليها برهان ، وهم لا يصدقون بالسمّع، فاضطربت أقوالهم"(٣).

---

(١) هو العلامة الحافظ أبي بكر بن العربي محمد بن عبد الله بن محمد الاشبيلي صاحب التصانيف وشرح صحيح البخاري توفي (543هــ) ، ينظر تذكرة الحفاظ ج 54/ 1294- 1297.

(٢) هو محمد بن علي بن عمر التممي، أبو عبدا لله المازري الصقلي (ت 536هــ) ، ينظر وفيات الاعيان لابن خلكان: ج 4/ ص 285؛ وشذرات الذهب :ج 4/ 114.

(٣) ينظر فتح الباري: ج12/ ص 352- 353.

- رؤيا الأنبياء:

ذكر الحافظ أن رؤيا الأنبياء وحي، والوحي لا يدخله خلل، لأنه محروس[١]، وأنها حتى بمعنى أنها ليست من الأضغاث [٢]، سواء كانت على حقيقتها أو مثالاً[٣].

قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [سورة الصافات/ الآية:102].

بين الحافظ في هذه الآية أنه يستدل بها على إن الرؤريا من الانبياء وحي من جهة أن الرؤيا لو لم يكن وحياً لما جاز لإبراهيم عليه السلام الاقدام على ذبح ولده[٤]

- رؤيا غير الأنبياء:

وأما رؤيا غير الأنبياء فقرر الحافظ أنها ليست وحياً، ويمكن أن يدخلها خلل؛ لأنها قد يحضرها الشيطان [٥] ،ولذلك لا ينبني عليها حكم شرعي[٦] .

وقد تكون رؤيا غير الأنبياء صادقة ، وهي التي دل عليها قوله ﷺ: " الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة"[٧].

وعظم الحافظ قدر هذه الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح، وجوز الاستناد إليها في الاستدلال على الامور الوجودية، ولكن بشرط أن لا يخالف القواعد الشرعية[٨].

---

(١) ينظر فتح الباري: ج12/ ص 354.

(٢) الاضغاث : هي الأحلام المتخلفة التي لا تتبين حقائقها: المفردات، للراغب الأصفهاني / ص297

(٣) ينظر فتح الباري: ج12/ ص 416 .

(٤) ينظر المصدر نفسه : ج 1/ ص 239 .

(٥) ينظر المصدر نفسه : ج12/ ص 354.

(٦) ينظر المصدر نفسه : ج2/ ص 82.

(٧) أخرجه البخاري، باب رؤيا الصالحين ، حديث رقم (6582) ، وينظر رقم (6586 ، 6587، 6593) ؛ وذكره الحافظ في "فتح الباري" ج12/ ص 361.

(٨) ينظر فتح الباري: ج1/ ص 239.

وأما كونها جزءاً من ستةً وأربعين جزءاً من النبوة ، فذكر الحافظ بن حجر أنه قد إستشكل مع أنَّ النبوة إنقطعت بموت النبي ﷺ، ثم نقل في هذا الاستشكال أقوالاً كثيرة جداً في بعضها من الغرابة ما يضحك وشر البلية ما أضحك. ولكن بين (رحمه الله) أنه قصد جمع كل ما علمه مما قيل في الجواب عن ذلك [١] ،وإن كان هذا عذراً مرفوضاً؛ لأن التحقيق أولى من التجميع , وبخاصة مما تكلم به الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى [٢].

وخلاصة القول في هذه المسألة – مسألة الرؤيا – ما نقله ابن حجر عن المهلب أن الناس في الرؤيا ثلاث درجات[٣].

الأنبياء: ورؤياهم كلها صدق وحقّ، وقد يقع فيها ما يحتاج إلى تعبير.

والصالحون: والأغلب على رؤياهم الصدق، وقد يقع فيها ما لا يحتاج إلى تعبير.

ومن عداهم: وهم العوام يقع في رؤياهم الصدق والاضغاث، وهي على ثلاثة أقسام:

1. مستورون: فالغالب استواء الحال في حقهم.
2. وفسقة: والغالب على رؤياهم الاضغاث، ويقل فيها الصدق
3. وكفار ويندر في رؤياهم الصدق جداً، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ: " وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً"[٤].

هذا هو خلاصة الكلام الذي ذكره الحافظ في كتابه (فتح الباري) المتعلق (بالرؤيا)، وهذا هو المناسب ذكره في هذا المقام.

ثانياً: الإلهام:-

يقول ابن حجر (رحمه الله) في هذه المسألة:

"والالهام من جملة أصناف الوحي إلى الأنبياء، ولكن لم أر في شيء من الأحاديث وصفهُ بما وصفت به الرؤيا أنه جزء من النبوة.

---

(١) ينظر هذه الاقوال لابن حجر في كتابه " فتح الباري" ج12/ ص 363- 368.

(٢) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة / ص 1204.

(٣) ينظر فتح الباري: ج12/ ص 362 وما بعدها.

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ج 4/ ص 1773 ، رقم الحديث (2263) ، ينظر فتح الباري ذكر حديث (وأصدقهم رؤياً أصدقهم حديثاً).

وقد قيل في – الفرق بينهما – : إن المنام يرجع إلى قواعد مقررة، وله تأويلات مختلفة، ويقع لكل أحد، بخلاف الالهام فإنه لا يقع إلا للخواص، ولا يرجع إلى قاعدة يميز بها بينه وبين لمة الشيطان.

وتُعقّب بأن أهل المعرفة بذلك ذكروا أن الخاطر الذي يكون من الحق يستقرّ ولا يضطرب، والذي يكون من الشيطان يضطرب ولا يستقر، فهذا إن ثبت كان فارقاً واضحاً، ومع ذلك فقد صرح الأئمة بأن الأحكام الشرعية لا تثبت بذلك"(١).

ونقل الحافظ (رحمه الله) عن أبي المظفر بن السمعاني أنه قال – في " القواطع" : " والذي عليه الجمهور أنه لا يجوز العمل به إلا عند فقد الحجج كلها في باب المباح، وعن بعض المبتدعة أنه حجة" وذكر ما احتجوا به في ذلك .

مع الرّدّ له ... إلى أنه قال: " وإنكار الالهام مردود، ويجوز أن يفعل الله بعبده ما يكرمه به، ولكن التمييز بين الحق والباطل في ذلك أن كلّ ما إستقام على الشريعة المحمدية ولم يكن في الكتاب والسنة ما يردّه فهو مقبول، وإلاّ فمردود ويقع من حديث النفس ووسوسة الشيطان.

ثم قال: ونحن لا ننكر أنّ الله يكرم عبده بزيادة نور منه يزداد به نظره، ويقوى رأيه، وإنما ننكر أن يرجع إلى قلبه بقول لا يعرف أصله.

ولا نزعم أنه حجة شرعية ، وإنما هو نور يختصّ الله به من يشاء من عباده، فإن وافق الشرع كان الشرع هو الحجة" (٢). وهذا أحسن ما ذكره ابن حجر رحمه الله في مسألة الإلهام نقلاً عن أبي المظفر ابن السمعاني، وبه يعرف الفرق بين الإلهام الذي بواسطة الملك ، وبين الهام الوسوسة الذي بواسطة الشيطان: " فإن كان ما أُلقي في النفس مما دلّ الكتاب والسنة على أنّه تقوى الله فهو الالهام المحمود ، وإن كان مما دلَّ على أنه فجور فهو من الوسواس المذموم ، وهذا الفرق مطرد لا ينتقض"(٣) والله تعالى أعلم.

---

(١) ينظر فتح الباري:ج388/12.

(٢) ينظر فتح الباري: ج12/ ص 388 – 389, وج11/ ص 345,و ج12/ ص 376.

(٣) ينظر مجموع الفتاوى :ج17/ ص 529.

الباب الثاني

السمعيات

تمهيد في السمعيات

اصطلح علماء الكلام على أن يذكروا في هذا القسم [١] الأمور التي تتوقف على السمع، والمراد بالسمع هي الأدلة النقلية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، فأما الأمور التي يتوقف عليها ثبوت الكتاب والسنة فهي في مباحث النبوات وما يتعلق بها، إذ لا يمكن التصديق بالكتاب والسنة إلا بعد التصديق برسالة من جاء بهما، وأما الأمور التي تتوقف على الكتاب والسنة فهي الأمور الغيبية التي لا يمكن لعقل أن يستقل بإدراكها ، كالصراط ، والميزان، والحشر، وعذاب القبر ونعيمه والجنة، والنار ، ونحو ذلك....

فالسمعيات إذن هي الإعتقادات التي لا يستقل العقل بإثباتها، وإنما يتوقف إثباتها على الأدلة السمعية.

يقول ابن حجر " ونحن لا ننكر أن العقل يرشد إلى التوحيد، وإنما ننكر أنه يستقل بإيجاب ذلك حتى لا يصح إسلامٌ إلا بطريقة مع قطع النظر عن السمعيات لكون ذلك خلاف ما دلت عليه آيات الكتاب والأحاديث الصحيحة التي تواترت ولو بالطريق المعنوي ، ولو كان كما يقول أولئك يحكمون العقل ويجعلونه الأساس في كل شيء لبطلت السمعيات التي لا مجال للعقل فيها أو أكثرها، بل يجب الإيمان بما ثبت من السمعيات فإن عقلناه فبتوفيق الله وإلا إكتفينا بإعتقاد حقيقته على وفق مراد الله سبحانه وتعالى ويؤيده في قصة الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال الرجل للنبي ﷺ : إني سائلك فمشدد عليك في المسألة فلا تجد علي في نفسك.

فقال (سل عما بدالك) . فقال: أسألك بربك وربِّ من قبلك الله أرسلك الى الناس كلهم؟ فقال (اللهم نعم) ، ...) [٢] [٣] .

---

(١) كانت طريقة علماء الكلام أن يقسموا علم العقائد إلى ثلاثة أقسام : الالهيات، النبوات ، السمعيات (الغيبيات). واما تسميتها بالغيبيات، فلأنها أمور غائبة عنا ولا أثر لها في حياتنا يدلنا عليها دلالة قطعية.

(٢) صحيح البخاي، باب ما جاء في العلم ج 1/ ص 35، حديث رقم (63) ؛ ومسلم، باب السؤال عن أركان الإسلام :ج1/ ص 41، حديث رقم (12) .

(٣) فتح الباري:ج13 / ص 353 بتصرف .

فمثلاً من مسائل هذا الباب مسألة الحشر:-

لقد أجمع الرسل في كل زمان ومكان على الإخبار بإن للإنسان حياة أخرى، وأنه لابد أن يبعث ثانياً بعد الموت، وتستمر حياته بعد ذلك بلا انقطاع ، وهو مع تلك الحياة المستمرة إما سعيد في نعيم خالد وملك دائم، وإما شقي في عذاب أليم، ذلك ما أخبر به الرسل جميعاً ،و قد قامت البراهين القاطعة على صدقهم، فواجب على من يؤمن بهم أن يجزم بما جاءوا به من ذلك، ومن لم يجزم به كان كافراً بهم قطعاً، فمن ينكر الحشر بعد ما أخبر به الصادق الأمين، وجاء به كتاب الله المتواتر فليس بمسلم؛ لأن جميع الاديان قررت أو أقرت الحياة الأخرى، وإن اختلفت في كيفيتها[١] .

ومن أجل ذلك كانت عقيدة حشر الناس بعد موتهم غالبة على كل الأمم، وجاءت به جميع الشرائع.

والقائلون بالحشر قد إختلفوا في كيفيته، فمنهم من يقول: إنه لا يحشر سوى الأجسام؛ لأن الإنسان هو الهيكل المادي المخصوص المشتمل على شكل وروح، فالروح مادة أيضاً، وهؤلاء جمهور المتكلمين، فهم يقولون: الروح جسم سار في البدن ، سريان النار في الفحم، والماء في الورد.

ومنهم من يقول: إنه لا يحشر سوى الأرواح فقط؛ لأن الارواح هي الجواهر المجردة عن المادة، وهي التي تدرك اللذة والألم والنعيم والشقاء ، وهؤلاء هم الفلاسفة ومنهم من يقول : إن الذي يحشر هو الأجساد والارواح معاً، وهؤلاء هم

(١) مقدمة الفرق الإسلامية ، الفيومي, للدكتور محمد إبراهيم ،القاهرة ، ط (1426هـ - 2005م) / ص 287.

المحققون من علماء المسلمين،كالغزالي[١]والحليمي[٢]،وهو رأي كثير من الصوفية وبعض علماء المعتزلة [٣] والشيعة [٤]

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي ابو حامد الامام المجتهد، حجة الإسلام الفيلسوف الصوفي، ولد سنة (450 هـ – 1058م) وتوفي (505 هـ – 1111م) له أكثر من مائتي مصنف منها: إحياء علوم الدين تهافت الفلاسفة ، المستصفى ، الاقتصاد في الاعتقاد، ينظر السبكي ، طبقات الشافعية :ج 1/ ص 293.

(٢) هو الحسين بن الحسن بن محمد الشافعي أبو عبد الله القاضي ، أحد فقهاء الشافعية كان رئيس أهل الحديث في بلاد ما وراء النهر توفي سنة (1403هـ – 1012م) في بخارى، من تصانيفه المنهاج في شعب الايمان ينظر السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى لعبد الوهاب بن علي بن عبدالكافي في السبكي (ت 771هـ)تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي ، ط1 ، القاهرة (1384هـ – 1964م): ج1/ ص178.

(٣) المعتزلة: هي فرقة ظهرت في الاسلام في أوائل القرن الثاني وسلكت منهجاً عقلياً متطرفاً في بحث العقائد الإسلامية، ورأسها واصل بن عطاء، وعمر بن عبيد، وجملة أصولهم خمسة هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ستروا تحت كل منها معنى باطلاً يخالف المتبادر منه، ينظر مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين أبو الحسن علي بن إسماعيل الاشعري، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط 2 ، سنة 1398هـ ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة/ ج1/ ص 235، والملل والنحل الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أحمد تحقيق محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة بيوت ج 1/ ص43، والفصل في الملل والاهواء والنحل ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد ، ط 2 ، 1395هـ، دار المعرفة ، بيروت، ج5/ ص 57، الفرق بين الفرق، البغدادي عبد القاهر بن طاهر تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة بيروت/ 114.

(٤) هم الذي شايعوا علياً ﷺ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من اولاده، وقالوا إن الإمامة ركن في الدين وأن الائمة معصومون من الكبائر والصغائر. ينظر مقالات الاسلاميين / ج 1/ ص 65؛ والملل والنحل للشهرستاني : ج1/ ص 146– 147.

والكرامية [١] وجمهور النصاري والتناسخية[٢]
فجوزت المعتزلة إعادةالجواهرإذاعدمت، وقسموا الاعراض الى مايبقى والى مالايبقى،وقالوا:مالايبقى منها كالاصوات والارادات فلايجوز إعادتها،وكل عرض يستحيل بقاؤه مختص عندهم بوقت لايجوز تقديرتقدمه عليه ولاتقدير استيخاره عنه.ومابقي من الاعراض فمنقسم الى ماكان مقدوراً للعبد،والى مالم يكن مقدوراً له ؛فامأما كان مقدوراً للعبد فلايجوز للعبد اعادته ولايصح من القديم أيضاً اعادته عندهم، وأما مالم تتعلق به قدرة العبد وهو باق من الاعراضفتجوز اعادته(٣).
يقول الجويني:فأما وقوعها فمستدرك بالادلة السمعية وقد شهدت القواطع منها على الحشر والنشر....... فإن قيل :هل تعدم الجواهر،ثم تعاد، ام تبقى وتزول أعراضها المعهودة،ثم تعاد بعينها ؟ قلنا يجوز كلا الامرين عقلاً ولم يدل قاطع سمعي على تعين احدهما، فلا يبعد يبعد ان تصير أجسام العباد على صفة أجسام التراب، ثم يعاد تركيبها الى ماعهد قبل ولانحيل ان يعدم منها شيء،ثم يعاد،والله أعلم بعواقبها ومآلها.[٤]

لقد سجل القرآن الكريم على المعاندين مثل الذي جاء يحاج الرسول ﷺ في البعث ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة يس/ الآيتان: 78 – 79] .

فإن المفسرين قد ذكروا أن أحد المعاندين من كفار قريش جاء إلى النبي ﷺ ومعه قطعة عظام ميت بالية، ففركها بين يديه حتى صارت تراباً، ونفخها في الهواء ثم قال له : أتزعم يا محمد إنَّ ربك يحيي هذه بعد موتها؟ فنزلت هذه الآية

---

(١) هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاتي (ت 255هـ) لهم بدع كثيرة منها القول بالتجسيم والارجاء حيث يزعمون أن الإيمان مجرد الاقرار باللسان فقط ، ينظر مقالات الاسلاميين : ج1/ ص 223؛ الفرق بين الفرق / 215.

(٢) شرح المقاصد ، التفتازاني مسعود بن عمر بن عبد الله سعد الدين، تقديم إبراهيم شمس الدين ط1 ، ، 1422هـ – 2001م بيروت ، لبنان : ج3/ ص 343.

(٣) الإرشاد الى قواطع الأدلة في أصول الإعتقاد للإمام الجويني / ص 372.

(٤) المصدر نفسه / ص 374.

، وهذه الآية تقتضي أن الذي يعاد هي الاجسام الدنيوية بعينها [١] والجواب عن هذا إن آخر الآية صريح في إعادة المثل؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [سورة يس / الآية: 81] ، (ذلك كان الغرض الظاهر من الحشر إثابة المطيع، وعقاب العاصي[٢] .

ومن المسائل التي تناقش في باب السمعيات هي عقيدة عذاب القبر وسؤال الملكين والحشر، وقد وردت الأحاديث الصحيحة بأن الموتى يعذبون في قبورهم وينعمون بحسب أعمالهم، كما ورد أنهم يسألون من ملكين يقال لأحدهما منكر وللاخر نكير، عما عليه من عقيدة، ولا ريب أن ذلك ممكن لا وجه لاستبعاده ، وقد دلَّ عليه ظاهر كتاب الله عزوجل وأكدته السنة الصحيحة بنقل الأحاديث المتواترة في ذلك ، فإنكاره لا يصح، وكذلك كل ما ورد به الشرع من الغيبيات أو السمعيات التي وصلتنا عن هذين المصدرين العظيمين من الحوض والصراط والميزان، وكذلك الإيمان بأشراط الساعة التي بينتها السنة المظهرة ، وعن قيام الساعة واليوم الآخر والحساب، وأهوال يوم القيامة، والنفخ في الصور ، والصعق، والحشر، والبعث والنشور، والشفاعة، والإيمان بالجنة والنار، وغير ذلك من الأمور السمعية.

وسنتكلم في هذا الموضع أو نبتدىءالحديث عن الإيمان بيوم المعاد أو اليوم الآخر الذي يعتبر الركن الخامس من أركان الإيمان التي يجب علينا الإيمان بها .

---

(١) تفسير القرآن العظيم , ابن كثير : ج6/ ص 593.

(٢) ينظر مقدمة الفرق الاسلامية الفيومي / ص 289.

الفصل الأول
الإيمان باليوم الآخر

المبحث الأول: الإيمان باليوم الآخر

المطلب الأول : الإيمان باليوم الآخر وثمرته :

المطلب الثاني : مقتضى الإيمان باليوم الآخر وفائدته :

الفصل الأول:

الإيمان باليوم الأخر

إن حياة الأنسان مرتبطة بأمرين أحدهما (المبدأ)، و الآخر (المعاد).

أما المبدأ: فهو إخراجه من العدم إلى الوجود[١].

وأما المعاد: فهو رجوعه إلى الوجو د بعد الفناء، أو إلى الحياة بعد الموت.

والى هذين الأمرين يشير الباري عزوجل بقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣٤﴾ [سورة يونس/ الآية 34] ، قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾ [سورة الأعراف/ الآية: 29].

وكما أنه لا مجال لإنكار المبدأ بعد الوجود، فكذلك لا مجال لإنكار المعاد بعد الموت، فإن الذي قدر على الإبداء قادرٌ على الاعادة من باب أولى كما قال عزوجل:﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٧﴾ [سورة الروم/ الآية: 27].

ولقد أخبرت رسل الله تعالى بهذا المعاد، وتواطأت على إثباته الكتب السّماوية، وعُدَّ الإيمان به رُكناً من أركان الإيمان التي لا يكون العبد مؤمناً إلا إذا آمن به جميعاً[٢].

والإيمان باليوم الآخر ركن أساس من أركان العقيدة الإسلامية بدلالة النصوص القرآنية والاحاديث النبوية الواردة في ذلك. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [سورة البقرة / الآية : 285] .

---

(١) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة لمحمد إسحاق كندو / ص 1279 – 1280.

(٢) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة لمحمد إسحاق كندو/ ص 1280.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء/ الآية: 136]، وكذلك حديث جبريل حين سأل النبي ﷺ عن أركان الدين ومنه سؤاله عن الإيمان فأجابه ﷺ بقوله : " والإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"(١).

ووقع التعبير عن المعاد في الكتاب والسنة بعدة عبارات، فعبر عنه تارة باليوم الآخر وتارة بيوم القيامة، وبالبعث بعد الموت، وبالنشور، وبلقاء الله تعالى، والنصوص الواردة في ذلك لا تكاد تحصر.

وكان الإيمان بالمعاد أحد الموضوعات المهمة التي تناولها الحافظ بالشرح والبيان في كتابه "فتح الباري" ففصّل في مسائله، وبسط الكلام على أجزائه، حتى إنّ تفاريق كلامه في ذلك لو جمع لجاء في مجلد، وفيما يأتي من الفصول سأعرض أهم المسائل التي تناولها في هذا الباب ومن الله التوفيق.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان ،باب سؤال جبريل ج 1/ ص 27، حديث رقم (50) ، وينظر باب سورة الم غلبت الروم بلفظ (أن تؤمن بالله ملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الاخر) :ج4/ ص 1793، حديث رقم (4499) .

المبحث الأول

الإيمان باليوم الآخر وثمرته

هو الإعتقاد الجازم بأن هناك يوماً آخر يجازى به الإنسان على ما قدمت يداه في دار الدنيا الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف كثيرة، أما السيئة بمثلها قال تعالى﴿ **مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠** ﴾[سورة الأنعام/ الآية:60].

وفي هذا اليوم يكون العرض والحساب وقراءة الكتاب، والثواب، ففيه حياة غير هذهِ الحياة ينعم فيه الإنسان أو يعذب على حساب عمله، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

ذكر الشيخ حافظ الحكمي صاحب سلم الوصول شعراً على ذلك فيقول[١] :

وبالمعاد أيقن بلا تـــــردد ولا أدعى علم بوقت الموعـــــد

لكننا نؤمن من غير إمترا بكل ما قد صح عن خير الورى

من ذكر آيات تكون قبلها وهي علامات واشراط لــــــها

والمقصود (بالمعاد) هو المرد إلى الله عزوجل والإياب إليه (أيقن) إستيقن بذلك يقيناً جازماً (بلا تردد) [٢].

جاء في حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"[٣].

يقول ابن حجر في شرحه الحديث: (قوله: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر" المراد بقوله: (يؤمن): الإيمان الكامل، وخصه بالله واليوم الآخر، إشارة

---

(١) مختصر معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الاصول، القحطاني، سعد بن محمد، تقديم ناصر بن عبد الكريم العقل، دار اشبيليا، ط2 ، سنة 1419هـــ / ص 197.

(٢) مختصر معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الاصول، القحطاني/ص 197 .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الايمان ج5/ 2240 ، حديث رقم (5672) .

إلى المبدأ والمعاد، أي من آمن بالله الذي خلقه، وآمن بأنّه سيجازيه بعمله، فليفعل الخصال المذكورات) [١].

وجاء في حديث جبريل بلفظ (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر) [٢].

يقول ابن حجر في معنى قوله (ولقائه) :- (وقد قيل: إنها مكررة ؛لإنها داخلة في الإيمان بالبعث، والحق أنها غير مكررة. فقيل: المراد بالبعث : القيام من القبور. والمراد باللقاء: ما بعد ذلك.

وقيل: يحصل بالانتقال من دار الدنيا، والبعث بعد ذلك... وقيل: المراد باللقاء : رؤية الله)[٣].

وقال في معنى قوله: (وتؤمن بالبعث الآخر): "فأما البعث الآخر، فقيل: ذكر الآخر تأكيداً، كقولهم : أمس الذاهب؛ وقيل لأنَّ البعث وقع مرتين:-

الأولى: الإخراج من العدم إلى الوجود، أو من بطون الأمهات بعد النطفة والعلقة إلى الحياة الدنيا.

الثانية: البعث من بطون القبور الى محلّ الاستقرار".

قال: (وأما اليوم الآخر فقيل له ذلك؛ لأنه آخرأيّام الدنيا، أو آخر الأزمنة المحدودة) [٤].

وقال ابن حجر رحمه الله في بيان ما يشمله الإيمان بالمعاد:

"الإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه: المساءلة في القبر، والبعث ، والنشور، والحساب ، والميزان، والصراط، والجنة والنار"[٥] .

---

(١) فتح الباري:ج10/ ص 446.

(٢) صحيح البخاري، باب سورة (الم غلبت الروم) ج 4/ 1793، حديث رقم (4499)، وصحيح مسلم، باب بيان الايمان والاسلام ج1/ ص40، حديث رقم (10) .

(٣) فتح الباري:ج 1/ ص 118.

(٤) المصدر نفسه :ج1/ 118 _ 119.

(٥) فتح الباري :ج1/ ص 52.

وخلاصة ما سبق: أن الإيمان بالمعاد (اليوم الآخر) معناه التصديق باليوم الذي يرجع فيه العباد إلى الله فيحاسبهم ويجازيهم، والتصديق بما يقع في ذلك من الأمور العظام، وما يقع قبله من الموت ومسألة القبر وهو البرزخ بين هذه الحياة الفانية وتلك الحياة الدائمة، ولذلك سُمَّي بالحياة البرزخية.

المطلب الثاني

مقتضى الإيمان باليوم الآخر وفائدته

يقول الحافظ ابن حجر: " ويقتضي الإيمان بأمور الآخرة أن ليس للعقل فيها مجال، ولا يعترض عليها بالعقل ولا قياس ولا عادة ، وإنما يؤخذ بالقبول، ويدخل تحت الإيمان بالغيب، ومن توقف في ذلك دلَّ على خسرانه وحرمانه.

الإخبار بذلك أنه يتنبه السامع،فيأخذ في الأسباب التي تخلصه من تلك الاهوال، ويبادر إلى التوبة من التبعات، ويلجأ إلى الكريم الوهاب في عونه على أسباب السلامة، ويتضرع إليه في سلامته من دار الهوان وإدخاله دار الكرامة بمنّه وكرمه"(١).

وهكذا بين الحافظ معنى الإيمان بالمعاد ، وما يجب أن يكون عليه هذا الإيمان من التصديق والتسليم بكل أموره التي أخبر عنها الله عزوجل في كتابه ومحمد ﷺ في سنته؛ لأنه من الغيب الذي لا يدركه العبد بحواسه ولا بعقله "ولذا كان أكثر ما وقع الغلط لمن قاس أحوال الآخرة على أحوال الدنيا" (٢) فما على العبد إلا أن يؤمن بالمعاد إيماناً يثمر في قلبه فيما عند الله تعالى من النعيم ، والرهبة مما لديه من العذاب، فيتخذ الاسباب الموصلة إلى المرغوب ، المبعدة عن المرهوب بعون وتوفيق من الله تعالى الذي بيده الأمر ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [سورة القصص/ الآية 70].

---

(١) فتح الباري:ج11/ ص395.

(٢) المصدر نفسه :ج 11/ ص 505.

الفصل الثاني

آراؤه في الحياة البرزخية

المبحث الأول : عذاب القبر :

المطلب الأول : مسألة الروح والموت .

المسألة الأولى : الروح .

المسألة الثانية : الموت .

المطلب الثاني: فتنة القبر .

المطلب الثالث : عذاب القبر ونعيمه .

المسألة الأولى: الخلاف في ثبوت عذاب القبر ونعيمه .

المسألة الثانية: أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه .

المسألة الثالثة: الخلاف في وقوع عذاب القبر على المؤمنين .

المسألة الرابعة: الخلاف في عذاب القبر هل يقع على الروح والبدن معاً، أو على أحدهما ؟

المطلب الرابع: حياة الأنبياء في قبورهم .

الفصل الثاني

آراؤهُ في الحياة البرزخية

المبحث الاول : عذاب القبر

إن بين الموت الذي تنتهي به حياة الإنسان الأولى وبين البعث الذي تبتدئ فيه الحياة الثانية فترة جاءت تسميتها في القرآن الكريم بـــ(البرزخ) قال تعالى: " ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ " [سورة المؤمنون/ الآية 100]، وفي هذه الفترة مرحلة من مراحل الجزاء الرباني بالثواب أو بالعقاب [١] ، وقد جاءت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية التي تثبت عذاب القبر ونعيمه فأثبت ابن حجر العسقلاني عذاب القبر ونعيمه في كتابه (فتح الباري) وكما سنبينه في هذا الفصل.

كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يدل على أنَّ الميت يسأل في قبره عن ربه ودينه ونبيه، وبناء على ذلك يتحول قبره إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

وفيما تقدم بينا الأمور التي تدخل في الإيمان باليوم الآخر ومنها مسألة القبر فقال: "فإن القبرأول منازل الآخرة، وفيه الإبتلاء والفتنة بالسؤال وغيره"[٢].

ويدخل في هذا المبحث الكلام على الروح والموت، وكل ما يتعلق بالحياة البرزخية. وقد تكلم الحافظ ابن حجر على كثير من ذلك في كتابه (فتح الباري) ، كما أنّ له فتاوى مطبوعة جلّها في هذا الموضوع[٣].

---

(١) ينظرمسائل العقيدة في شرح النووي لصحيح مسلم رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم الاسلامية –جامعة بغداد 1998م للطالب أحمد عبد الرزاق جبير / ص 176.

(٢) فتح الباري:ج11/ ص 451 .

(٣) بإسم (فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني / قسم العقيدة)، أجاب فيها عن (32) سؤالاً مما يتعلق بالحياة البرزخية، قام بتحقيقها محمد تامر، دار الصحابة للتراث بطنطا، بمصر.

المطلب الأول : مسألة الروح والموت

المسألة الأولى/ الروح:

أ. معنى الروح:

يطلق لفظ الروح على عدّة معان ذكرمنها ابن حجر رحمه الله عشرة معانٍ وقال: " وهذا إنما اجتمع من كلام أهل التفسير في معنى لفظ الروح الوارد في القرآن" والمعاني العشرة التي ذكرها هي:

(الأول): روح الإنسان، (الثاني): روح الحيوان، (الثالث):جبريل، (الرابع): عيسى، (الخامس): القرآن، (السادس):الوحي، (السابع): ملك يقوم وحده صفاً يوم القيامة، (الثامن): ملك له أحد عشر ألف جناح ووجه... ، (التاسع) : خلق كخلق بني آدم، يقال لهم : الروح، يأكلون ويشربون، لا ينزل ملك من السماء إلا نزل معه، (العاشر): صنف من الملائكة يأكلون ويشربون[١].

وقد أشار ابن حجر إلى الآيات الواردة في بعض هذهِ المعاني، ولا شك أن بعضه الآخر يحتاج إثباته إلى دليل، ولكنه لم يشر إلى ذلك.

ووقع الخلاف بين العلماء في الروح المسؤول عنها في قوله تعالى: " ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ " [سورة الإسراء/ الآية: 85].

وذكر ابن حجر رحمه الله في ذلك أقوالاً عديدة ، وبين أن أكثر العلماء قالوا: ((سألوه عن الروح التي تكون بها الحياة في الجسد)) [٢] ،وهي الروح الحيوانيّ.

وذهب الحافظ إلى أن حقيقة هذه الروح مما استأثر الله تعالى بعلمه لقوله تعالى :﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء/ الآية: 85].

يقول ابن حجر فيما نقله من كلام الفخر الرازي في تفسير هذهِ الآية (كأنه قال: هي موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه، ولها تأثير في إفادة الحياة للجسد، ولا

---

(١) ينظر فتح الباري:ج 8/ ص 402.

(٢) ينظر المصدر نفسه : 402/8.

يلزم من عدة العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه... إلى أن قال ... وقد سكت السّلف عن البحث في هذه الأشياء، والتعمق فيها، وقد تنطع قوم فتباينت أقوالهم) [١].

وذكر ابن حجر رحمه الله : أنَّ ابن القيم جنح في كتابه "الروح" إلى ترجيح أن المراد بالروح المسؤول عنها في الآية ما وقع في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة النبأ/ الآية: 38] ، قال: وأما أرواح بني آدم فلم يقع تسميتها في القرآن إلا نفساً .

قال الحافظ ابن حجر: (كذا قال ، ولا دلالة في ذلك لما رجّحه، بل الراجح الأول، فقد أخرج الطبري من طريق العوفي [٢] ، عن ابن عباس (رضي الله عنه) في هذه القصة أنهم قالوا: وكيف يعذب الله الروح التي في الجسد، وإنما الروح من الله؟ فنزلت الآية) [٣].

ونقل ابن حجر أقوالاً عديدة في بيان المراد بالروح المسؤول عنها هي روح الإنسان، وأن الأولى الإمساك عن الخوض فيها، لختم الآية بقوله تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [سورة الإسراء/ الآية: 85] ، أي إجعلوا حكم الرّوح من الكثير الذي لم تُؤتَوهُ فلا تسألوا عنه، فإنه من الأسرار [٤].

---

(١) ينظر فتح الباري:ج 1/ ص 224، ج 8/ ص 402- 403 ؛ مفاتيح الغيب للرازي: ج10 / 116.

(٢) هو عطية بن سعد بن جنادة العوفي الجدلي ، أبو الحسن الكوفي ، صدوق يخطئ كثيراً، وكان شيعياً مدلساً، توفي سنة (111هـ) ، ينظر تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، ط 2، سنة 1385هـ، دار الكتب الحديثة، بيروت / ج2/ ص 24؛ تهذيب التهذيب , لابن حجر العسقلاني ، ط1 ، سنة 1325هـ، مجلس دائرة المعارف النظامية بالهند :ج7/ 224- 226 .

(٣) ينظر الروح للامام ابن القيم الجوزية تحقيق عبد الفتاح محمود عمر ، ط 2 ، سنة 1986م، دار الفكر عمان، الاردن / ص 211- 212؛ فتح الباري :ج 8/ ص 403- 404) ؛ تفسير الطبري : ج8/ ص 142.

(٤) ينظر فتح الباري:ج8/ ص404.

ب. هل الروح هي النفس؟

ذكر الحافظ أن مسألة الروح والنفس، وهل هما شيء واحد أو لا؟ مسألة مشهورة فيها أقوال كثيرة.

وذكر الحافظ في هذه المسألة أن بعضهم استدلوا بقول الله عزوجل ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴿٩٣﴾ ﴾ [سورة الأنعام/ الآية: 93] على أنَّ النّفس والروح شيء واحد لقوله تعالى: ﴿ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ﴿٩٣﴾ ﴾والمراد الأرواح[١].

ونقل عن ابن العربي أنه قال: "إختلفوا في الروح والنفس، فقيل : متغايران ، وهو الحق، وقيل هما شيء واحد.

قال : وقد يعبر بالروح عن النفس، وبالعكس، كما يعبر عن الروح وعن النفس بالقلب، وبالعكس، وقد يعبر عن الروح بالحياة حتى يتعدى ذلك إلى غير العقلاء، بل إلى الجماد مجازاً" .

وعن السهيلي[٢] أنه قال: ((يدل على مغايرة الروح والنفس قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الحجر/ الآية: 29]، وقوله تعالى: ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [سورة المائدة/ الآية: 116]، فإنه لا يصح جعل أحدهما موضع الآخر، ولولا التغاير لساغ ذلك)) [٣].

قلت: وقد ذكر الامام ابن أبي العز الحنفي أن التحقيق في هذهِ المسألة: " أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح ، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة.

---

(١) ينظر فتح الباري :ج 3/ ص 233.

(٢) هو أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي، الاندلسي المالقي، صاحب التصانيف المؤنقة، توفي سنة (581هـ)، ينظر تذكرة الحفاظ ج 4/ ص 1348 – 1350.

(٣) ينظر فتح الباري:ج 8/ ص403.

فالنفس تُطْلَق على الروح ، ولكن غالب ما تسمى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجرّدة، فتسمية الروح أغلب عليها"[١].

قال:" وأما الروح، فلا تطلق على البدن، لا بانفراده، ولا مع النفس"[٢] .

وأشار إلى المعاني الأخرى التي يطلق عليها لفظ الروح والنفس[٣]، والله تعالى أعلم.

ج. بقاء الأرواح ومستقرها بعد فراق الاجساد:-

أشار الحافظ إلى الخلاف في بقاء الأرواح حيث قال:" واختلف: هل تفنى عند فناء العالم قبل البعث، أو تستمر باقية؟ على قولين"[٤].

وأشار في موضع آخر إلى أن مذهب أهل السنة هو القول ببقاء الأرواح بعد فراق الاجساد[٥].

ويؤيد ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني بما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ، قال: ((والأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها مفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الارواح إلى الأبدان))[٦].

وأما مستقر الأرواح بعد فراق الأجساد، فنقل الحافظ عن ابن عبد البر أن الأرواح تكون على أفنية القبور، وقد تفارقها ، قال: ((بل هي كما قال مالك : إنّه بلغه أن الأرواح تسرح حيث شاء ت))[٧].

وهو القول الذي نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني عن ابن عبد البر ونقله هو عن مالك، هو أحد الاقوال في المسألة، فقد اختلف فيه اختلافاً كثيراً، كما ذكره

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي / (ج2/ ص 567).

(٢) المصدر نفسه: ج2/ ص568.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية : ج2 / ص 567- 569.

(٤) فتح الباري:ج8/ ص 404.

(٥) المصدر نفسه : ج3/ ص 233 .

(٦) مجموع فتاوى شيخ الأسلام ابن تيمية : ج4/ ص 279.

(٧) فتح الباري: ج3/ ص 243.

الإمام ابن القيم في كتابه "الروح" [١] وكذا ابن أبي العز في "شرح العقيدة الطحاوية"[٢] .

والصواب من القول ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة الصحيحة فقد دلَّ ظاهر القرآن على أنَّ الأرواح ممسكة عند الله تعالى بعد فراق الأجساد، والدليل قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴿٤٢﴾ ﴾ [سورة الزمر/ الآية : 42].

ودلت السنة الصحيحة على أن أرواح الشهداء "في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل"[٣] .

كما دلت السنة على أن "نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه"[٤].

قال النووي: " والنسمة تطلق على ذات الإنسان جسماً وروحاً وتطلق على الروح مفردة وهو المراد بها في هذا التفسير في الحديث"[٥].

ومع كون الروح في مستقرها فإن لها تعلقاً بالبدن في أوقات ، وعلى كيفيات الله أعلم بحقيقتها[٦].

وقد بين العلماء أن للروح بالبدن خمسة أنواع من التعلّق، متغايرة الأحكام[٧]:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

---

(١) الروح لابن القيم الجوزية : ينظر من ص133- 166.

(٢) ينظر شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي : ج2/ ص 582 -588.

(٣) أخرجه مسلم، باب بيان أرواح الشهداء، ج3/ ص 1502، حديث رقم (1887) .

(٤) سنن النسائي، باب ارواح المؤمنين ج 4/ ص 414 ، رقم (2072) ؛ وابن ماجه في سننه: ج2/ ص 1428 رقم (4271)؛ وصححه الالباني في سلسلة الاحاديث الصحيحة رقم (995) .

(٥) ينظرشرح النووي لصحيح مسلم: ج13/ ص 31.

(٦) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة / ص 1290- 1291 .

(٧) شرح العقيدة الطحاوية : ج2/ ص 578- 579.

الثالث: تعلقها به في حال النوم ، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه .

الرابع: تعلقها به في البرزخ ، فإنها وإن فارقته ، وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه رَدَها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، وهذا الرّدُ إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الإجساد ، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلّق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتاً ولا نوماً ،ولا فساداً، فالنوم أخو الموت، فتأمل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة .

المسألة الثانية /الموت :-

قال الحافظ ابن حجر: " الموت : إنقطاع تعلق الروح بالبدن ظاهراً وباطنا"[١]

ونقل ابن حجر عن القرطبي أنه قال في كتابه "المفهم" : " النوم والموت يجمعهما انقطاع تعلق الروح بالبدن، وذلك يكون ظاهراً وهو النوم، ولذا قيل : النوم أخو الموت، وباطناً وهو الموت، فإطلاق الموت على النوم يكون مجازاً لإشتراكهما في إنقطاع تعلّق الروح بالبدن.

وعن الزجاج[٢] أنه قال: " والنفس التي تفارق الانسان عند النوم هي التي للتمييز، والتي تفارقه عند الموت هي التي للحياة، وهي التي يزول معها التنفس، وسمي النوم موتاً؛ لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً"[٣].

---

(١) فتح الباري: ج 2/ ص 67.

(٢) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، وهو الامام نحوي زمانه مصنف كتاب معاني القرآن، وكان فاضلاً ديناً حسن الاعتقاد توفي سنة (311هـ) ، ينظر البداية والنهاية لابن كثير: ج11/ ص 159 – 160؛ وسير أعلام النبلاء ج14/ ص 360.

(٣) فتح الباري: ج 11/ ص 114.

والموت مرحلة بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة، ولهذا سمي برزخاً اي حاجزاً[١]كما قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٠٠﴾ [سورة المؤمنون / الآية: 10] .

"فالحاصل أن الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكاماً تخصها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبع لها ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والابدان تبع لها ، فإذا كان يوم حشر الاجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعاً"[٢].

مسألة سماع الأموات تعرّض لها الحافظ في موضعين:

أحدها: في شرح (باب ما جاء في عذاب القبر) من كتاب الجنائز.

والآخر: في شرح (باب قتل أبي جهل) من كتاب المغازي.

وفي كلا الموضعين دار الكلام على حديثين في المسألة بينهما تعارض.

الحديث الأول: حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قالت: "إطلع النبي ﷺ على أهل القليب (قليب بدر)، فقال : هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فقيل له : تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم، ولكن لا يجيبون"[٣].

فهذا الحديث فيه إثبات لسماع الأموات، غير أنهم لا يجيبون.

الحديث الثاني: حديث عائشة (رضي الله عنها) قالت:" إنما قال النبي ﷺ : إنهم ليعلمون الآن أنّ ما كنت أقول حق، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ٨٠﴾ [سورة النمل/ الآية :80]" [٤].

وفي هذا الحديث إنكار لسماع الأموات، ,إثبات العلم لهم.

---

(١) البرزخ: (هو الحاجز بين الشيئين ومن وقت الموت الى يوم القيامة، ومن مات دخله) ، ينظر القاموس المحيط/ ص 318.

(٢) ينظر شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العز الحنفي ج2/ ص 580.

(٣) صحيح البخاري، باب ما جاء في عذاب القبر، ج 1/ ص 462، حديث رقم (1304)

(٤) صحيح البخاري، باب ما جاء في عذاب القبر، ج 1/ ص 462، حديث رقم (1305)

قال الحافظ : ((وهذا مصير من عائشة إلى ردّ رواية ابن عمر المذكورة، وقد خالفها الجمهور في ذلك، وقبلوا حديث ابن عمر لموافقة من رواه غيره عليه(١)، وأما إستدلالها بقوله تعالى " إنك لا تسمع الموتى" ، فقالوا: معناها لا تسمعهم سماعاً ينفعهم، أو لا تسمعهم إلا أن يشاء الله)) (٢).

ونقل عن البيهقي أنه قال: ((العلم لا يمنع من السماع، والجواب عن الآية أنه لا يسمعهم وهم موتى ولكنّ الله أحياهم حتى سمعوا، كما قال قتادة))(٣).

وعن ابن التين (٤) : أنه قال: لا معارضة بين حديث ابن عمر والآية؛ لأنَّ الموتى لا يسمعون بلا شكّ، لكن إذا أراد الله إسماع ما ليس من شأنه السّماع لم يمتنع(٥).

وعن الاسماعيلي (٦) أنه قال: " كان عند عائشة من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه، لكن لا سبيل إلى رد رواية الثقة إلا بنص مثله يدل على نسخه أو تخصيصه أو استحالته، فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبته غيرها ممكن؛ لأن قوله تعالى: " إنك لا تسمع الموتى" لا ينافي قوله ﷺ : "إنهم الآن يسمعون" ، لإن الإسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في أذن السامع، فالله تعالى هو الذي أسمعهم بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ بذلك. أما

---

(١) ذكر الحافظ من وافق ابن عمر على روايته في "الفتح" : ج 7/ ص 303، ومنهم أبوه عمر وابن مسعود، وأبو طلحة، وعبد الله بن سيدان (رضي الله عنهم جميعاً) .

(٢) فتح الباري: ج 3/ ص 234.

(٣) فتح الباري: ج7/ ص 303.

(٤) هو أبو محمد عبد الواحد بن التين السفاقسّي (ت سنة 611هـ) ,ينظر كشف الظنون: ج1/ ص 465.

(٥) فتح الباري: ج3/ ص 235.

(٦) هو أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الجرجاني، أبو بكر الاسماعيلي، الامام الحافظ ، توفي سنة (371هـ) ، ينظر تذكر الحفاظ : ج3/ 947 – 950.

جوابها بأنه إنما قال :" إنهم ليعلمون" فإن كانت سمعت ذلك فلا ينافي رواية يسمعون، بل يؤيدها"(١).

وعن السهيلي أنه قال: "إذا جاز أن يكونوا في تلك الحال عالمين جاز أن يكونوا سامعين، إما بـآذان رؤوسهم كما هو قول الجمهور، أو بأذان الروح على رأي من يوجه السؤال إلى الروح من غير رجوع إلى الجسد"(٢).

فهذهِ عدة أقوال ذكرها الحافظ مما أجاب به بعض أهل العلم عن التعارض الحاصل بين حديث ابن عمر وحديث عائشة (رضي الله عنهما).

ولكن الحافظ أشار إلى أن في (مغازي ابن إسحاق) رواية بإسناد جيد عن عائشة، وفيها: " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم" . قال الحافظ: " وأخرجه أحمد بأسناد حسن، فإن كان محفوظاً، فكأنها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة، لكونها لم تشهد القصة"(٣).

وهذهِ المسألة قد تعرض لها شيخ الإسلام ابن تيمية أيضاً، وبين أن عائشة (رضي الله عنها) كانت متأولة في حديثها الذي عارضت به حديث ابن عمر (رضي الله عنهما)، قال: " والنص الصحيح عن النبي ﷺ مقدم على تأويل من تأوله من أصحابه وغيرهم.

وليس في القرآن ما ينفي ذلك، فإن قوله : ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ [سورة النمل/ الآية: 80] إنما أراد به السماع المعتاد الذي ينفع صاحبه، فإن هذا مثل ضرب للكفار، والكفار تسمع الصوت، لكن لا تسمع سماع قبول بفقه واتِّباع ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴿١٧١﴾ ﴾ [سورة البقرة/ الآية: 171] ، فهكذا الموتى الذين ضرب لهم المثل، لا يجب أن ينفى عنهم جميع السماع المعتاد أنواع السماع، كما لم ينفِ ذلك عن

---

(١) فتح الباري: ج7/ ص 304.
(٢) المصدر نفسه : ج3/ 234 و 7/ 304.
(٣) المصدر نفسه : ج7/ ص 304.

الكفار، بل قد انتفى عنهم السماع المعتاد الذي ينتفعون به، وأما سماع آخر فلا ينفى عنهم.

وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن الميت يسمع خفق نعالهم إذا ولوا مدبرين، فهذا موافق لهذا، فكيف ذلك؟..."(١).

وخلاصة القول : إن الميت قد يسمع كلام الحي في بعض الحالات، ولا يلزم أن يكون في جميع الحالات، وأنه وإن سمع الكلام فسماعه ليس كالسماع المعهود في الحياة الدنيا؛ لأن الأحوال البرزخية تختلف عن الاحوال الدنيوية.

فإن دلَّ النص الصحيح على سماع الميت في بعض الحالات، وجب الإيمان بذلك وتصديقه وإثباته، ولكن لا يقاس بالسماع المعتاد في الحياة الدنيا.

وللشيخ محمد الأمين الشنقيطي بحث طويل مفيد في هذه المسألة ، في تفسيره : أضواء البيان، فليطلع عليه من أراد الزيادة والفائدة(٢) ، والله ولي التوفيق .

المطلب الثاني: فتنة القبر

المقصود بفتنة القبر السؤال في القبر (٣) ، والأصل فيه ما أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: (**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع قرع نعالهم – أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ . فأما المؤمن فيقول: اشهد أنّه عبد الله ورسوله، فيقال له : ينظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً، وأما المنافق والكافر، فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري أقول ما يقول الناس. فيقال: لا دريت، ولا**

---

(١) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية: ج4/ 298– 299.

(٢) أضواء البيان : ج6/ 416 – 439.

(٣) ينظر مجموع الفتاوى ابن تيمية : ج4/ ص 257.

تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)[١].

قد استدل الحافظ ابن حجر على أن هذا الحديث فيه إثبات المساءلة في القبر، ولكن إختلف هل هي واقعة على كل واحد؟ وهل تختص بهذه الأمة أم وقعت على الأمم قبلها؟ [٢]

أما هل هي واقعة على كل واحد؟ فالخلاف فيه منحصر في الكافر، والطفل غير المميز، والنبي[٣].

أ. الخلاف في الكافر:

وذكر ابن حجر أن هناك" من زعم أن السؤال إنما يقع على من يدّعي الإيمان، إن محقاً وإن مبطلاً، ومستندهم في ذلك ما رواه عبد الرزاق من طريق عبيد بن عمير [٤] أحد كبار التابعين قال (إنما يفتن رجلان مؤمن ومنافق، وأما الكافر فلا يسأل عن محمد ولا يعرفه) إلى أن قال (وهذا موقوف ، والأحاديث النّاصّة على أنَّ الكافر يُسأل مرفوعة مع كثرة طرقها الصحيحة، فهي أولى بالقبول) [٥].

وذكر ابن حجر رحمه الله أن (ابن عبد البر) مال إلى هذا القول، وأنه قال: (الآثار تدل على أنَّ الفتنة لمن كان منسوباً إلى أهل القبلة، وأما الكافر الجاحد فلا يسأل عن دينه) .

---

(١) اخرجه البخاري في صحيحه ، باب الميت يسمع خفق النعال ج 1/ ص 448 ، رقم (1273) .

(٢) فتح الباري: ج 3/ ص 240.

(٣) المصدر نفسه : ج 3/ ص 239 – 240 .

(٤) هو عبيد بن عمير بن قتادة الليثي، أبو عاصم المكي ، ولد على عهد النبي ﷺ ، قاله مسلم، وعده غيره في كتاب التابعين ، وكان قاصّ اهل مكة، مجمع على ثقته ، مات قبل ابن عمر. ينظر تقريب التهذيب (ج1/ ص 544) .

(٥) فتح الباري: ج 3/ ص 238- 239 .

ويقول الحافظ : ((وتعقبه ابن القيم في كتابه (الروح) ، وقال: في الكتاب والسنة دليل على أنَّ السؤال للكافر والمسلم، قال تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة إبراهيم/ الآية: 27]، وفي صحيح البخاري من حديث أنس (وأما المنافق والكافر...) الحديث[١] بواو العطف... " [٢].

ب. الخلاف في الطفل غير المميّز:

قال الحافظ : "واختلف في الطفل غير المميز، فجزم القرطبي في (التذكرة) بأنه يسأل، وهو منقول عن الحنفية ، وجزم غير واحد من الشافعية بأنه لا يسأل، ومن ثم قالوا: لا يستحب أن يلقّن" [٣].

قلت: حكى شيخ الإسلام ابن تيمية الخلاف في فتنة الصبيان، وكذا المجانين في قبورهم، وذكر ان القول بأنهم يفتنون في قبورهم مطابق لقول من يقول: إنهم يكلّفون يوم القيامة. وكما هو قول أكثر أهل العلم، وأهل السنة من أهل الحديث عن أهل السنة ، `والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الاشعريّ رضي الله عنه وإختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد" [4].

واختلف في غير المكلفين من الصبيان والمجانين ، فذهب جمع من العلماء إلى أنهم لا يفتنون منهم : القاضي أبو يعلى وابن عقيل، ووجهة نظر هؤلاء أن المحنة تكون لمن كلف ، أما من رفع عنه القلم فلا يدخل في المحنة ، إذ لا معنى لسؤاله عن شيء لم يكلف به [٥].

---

(١) أخرجه البخاري ، صحيح البخاري، باب ما جاء في عذاب القبر ج1/ ص 462، رقم (1308).

(٢) فتح الباري: ج 3/ ص 239.

(٣) المصدر نفسه : 239/3.

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ج4/ ص257.

(٥) الفصل في الملل والاهواء والنحل،ابن حزم الظاهري علي بن احمد بن سعيد مكتبة الخانجي القاهرة ج4 / ص65؛ القيامة الصغرى،محمد سليمان الاشقر/32.

ج. الخلاف في النبيّ:

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني: "واختلف أيضاً في النبي هل يسأل؟" [١]، هكذا ذكر الخلاف مجملاً بدون تفصيل، وكذلك ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية[٢]، ففتنة القبر وسؤال الملكين عام لكل الخلق ، ولا يخرج عن هذا العموم إلا بعض الخلق ممن جاءت النصوص بإثبات خروجهم عن هذا العموم ومنهم:

الأنبياء :فهم لا يسألون في قبورهم لوجهين:

الوجه الأول:إن الأنبياء أفضل من الشهداء ، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الشهيد يوقى فتنة القبر ،وقال : (كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة)[٣]

الوجه الثاني: إن الأنبياء يسأل عنهم ، فيقال للميت : من نبيك ؟ فهم مسؤولون عنهم ، وليسوا مسؤولين ، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (فأوحى إلي أنكم تفتنون في قبوركم) [٤] والخطاب للأمة المرسل إليهم ، فلا يكون داخلا فيهم[٥]

د. هل يفتن الملَك؟

قال الحافظ: " وأما الملك فلا أعرف أحداً ذكره، والذي يظهر أنه لا يسأل ؛ لأنَّ السؤال يختص بمن شأنه أن يفتن"[٦].

قلت : كان الأولى السكوت، إذ لم يرد فيه نصّ، ولم يتكلم فيه أحد كما ذكر.

هـ. السؤال في القبر هل يتوجه على الروح والبدن، أم على الروح فقط؟

أشار الحافظ ابن حجر (رحمه الله) إلى الخلاف في ذلك [٧]، ولكنه لم يُشِرْ إلى ما يترجح في ذلك .

---

(١) ينظر فتح الباري: ج 3/ ص 239.

(٢) ينظر مجموع الفتاوى : ج4/ ص 257.

(٣) سنن النسائي، باب الشهيد ،ج4/ص99،رقم الحديث2053، قال الألباني:حديث صحيح.

(٤) سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي مكتبة دار الباز مكة المكرمة ، تحقيق :محمد عبد القادر عطاج3/ص338،رقم الحديث6153.

(٥) شرح العقيدة الواسطية لأبن عثيمين:ص110ومابعدها.

(٦) فتح الباري: ج 3/ ص 239.

(٧) ينظر فتح الباري : ج7/ ص 304.

والراجح أن السؤال يتوجه على الروح والبدن، كما هو ظاهر الأدلة، حيث جاء في حديث أنس المتقدم:" اتاه الملكان فيقعدانه" ، وسيأتي الكلام على هذه المسألة في المطلب التالي.

و –وأمّا هل تختصّ الفتنة في القبر بهذهِ الأمة، أم وقعت على الامم قبلها؟

فقال الحافظ ابن حجر : "ظاهر الاحاديث الأول" – يعني أنها تختص بهذهِ الأمة – ، وذكر من الاحاديث المؤيّدة لذلك:

حديث زيد بن ثابت(١) مرفوعاً: " إن هذه الأمة تبتلى في قبورها"(٢).

وفي حديث عائشة (رضي الله عنها) في مسند أحمد بلفظ (فأما فتنة القبر فبي تفتنون وعني تسألون) (٣).

قال: " ويؤيده قول الملكين: (ما تقول في هذا الرجل محمد؟) (٤)،وذكر الحافظ أنّ ابن القيم جنح الى الحديث الثاني – يعني أن الفتنة في القبر لا تختص بهذهِ الأمة، وأنه قال: " ليس في الأحاديث ما ينفي عمن تقدم من الأمم، وإنما أخبر النبي ﷺ أمته بكيفية امتحانهم في القبور، لا أنه نفى ذلك عن غيرهم. قال ابن حجر: والذي يظهر أن كل نبي مع أمته كذلك، فتعذب كفارهم في قبورهم بعد سؤالهم وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون في الآخرة، بعد السؤال وإقامة الحجة"(٥).

الحجة"(٥).

وما قاله الامام ابن القيم رحمه الله في هذهِ المسألة هو الذي يظهر لنا رجحانه؛ لأنّ من النصوص الواردة في هذا الباب ما هو مطلق غير مقيّد بهذهِ

---

(١) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن لوذان الانصاري البخاري، أبو سعيد ، وأبو خارجه ، صحابي مشهور كتب الوحي، وكان من الراسخين في العلم، توفي سنة (45هـ) أو (48هـ) رضي الله عنه، ينظر تقريب التهذيب : ج1/ ص 272.

(٢) صحيح مسلم، باب عرض مقعد الميت : ج4/ 2199، رقم (2867) .

(٣) مسند أحمد ، باب حديث عائشة (رضي الله عنها) ، ج6/ ص 139، رقم (25133) .

(٤) هو جزء من حديث أنس المتقدم.

(٥) فتح الباري : ج3/ ص240.

الأمة ، ولم يأتِ ما ينفي وقوع الفتنة في القبور على الأمم المتقدمة، فيكون القول بالعموم أرجح من القول بالتخصيص ، والله تعالى أعلم الأمم .

المطلب الثالث : عذاب القبر ونعيمه:

تطرق ابن حجر في شرح هذه المسألة واستوفاها إستيفاءً تاماً، كما عقد الإمام البخاري في صحيحه باب أسماه (باب عذاب القبر) وتطرق الحافظ ابن حجر إلى عدة مسائل تتعلق بعذاب القبر ونعيمه، كما تطرق إلى بعض هذه المسائل في مواضع أخرى من كتابه، وأشير إلى أهم ما ذكره من المسائل في هذا الموضوع وهي كما يأتي:

المسألة الأولى: الخلاف في ثبوت عذاب القبر ونعيمه:-

ذكر الحافظ ابن حجر أن جميع أهل السنة وغيرهم يقولون بإثبات عذاب القبر، وأن أكثر المعتزلة موافقون لأهل السنة في هذا.

قال: " خلافاً لمن نفاه مطلقاً من الخوارج وبعض المعتزلة"[١].

فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم فتأولوا القرآن على آرائهم تأويلا لم ينزل به الله سلطانا ولا أوضح به برهانا ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ولا عن السلف المتقدمين وخالفوا روايات الصحابة رضي الله عنهم عن نبي الله ﷺوجحدوا عذاب القبر وأن الكفار في قبورهم يعذبون وقد أجمع على ذلك الصحابة والتابعون رضي الله عنهم أجمعين[٢]

وقرر الحافظ ثبوت العذاب لمن يستحقه من الموتى سواء أُقبر أو لم يقبر، قال: " وإنما أُضيف العذاب إلى القبر لكون معظمه يقع فيه ، ولكون الغالب على

---

(١) فتح الباري: ج 3 / ص 233.

(٢) **الإبانة عن أصول الديانةالأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل ، القاهرة/**ص14 و247؛ مقالات الاسلاميين للبغدادي/430.

الموتى أن يُقبروا، وإلا فالكافر ومن شاء الله تعذيبه من العُصاة يعذّب بعد موته ولو لم يدفن، ولكن ذلك محجوب عن الخلق إلا من شاء الله"(١).

المسألة الثانية: أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه:-

إستدل البخاري في الباب الذي عقده في صحيحه بثلاث آيات من القرآن، وستة أحاديث من السنة النبوية، ووافقه الحافظ في الشرح على الإستدلال بتلك الأدلة كلها، حيث بين وجه الدلالة من كل دليل.

أما الآيات فأشار ابن حجر إلى أن البخاري قدم ذكرها على الأحاديث لينبه على ثبوت ذكره في القرآن، خلافاً لمن رده وزعم أنه لم يرد ذكره إلا من أخبار الآحاد.

وأولى الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة الانعام/ الآية:93]

بين الحافظ أن ابن عباس (رضي الله عنهما) ، فسر هذه الآية بأن هذا يكون عند الموت، ويشهد له قوله تعالى﴿ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة محمد/ الآية: 27].

يقول الحافظ: ((وهذا وإن كان قبل الدفن فهو من جملة العذاب الواقع قبل يوم القيامة))(٢).

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾[سورة التوبة/ الآية: 101].

---

(١) ينظر فتح الباري : ج3/ص233 .

(٢) ينظر فتح الباري: ج3/ ص 233.

ذكر الحافظ ابن حجر روايات عن ابن عباس (رضي الله عنه) ، وعن قتادة ، والحسن، ومحمد بن إسحاق (رحمهم الله)، أنهم فسروا (المرة الثانية) من العذاب في هذهِ الآية بعذاب القبر.

وقال الحافظ ابن حجر : "وقال الطبري بعد أن ذكر اختلافاً عن غير هؤلاء: إن إحدى المرتين عذاب القبر"(١).

والآية الثالثة قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [سورة غافر/ الآيتان: 45- 46].

قال الحافظ – نقلاً عن القرطبي – : " والجمهور على أنّ هذا العرض يكون في البرزخ ، وهو حجة في تثبيت عذاب القبر"(٢).

وبين أيضاً أن عذاب القبر يؤخذ من هذه الآية بالمنطوق في حق آل فرعون، ويلتحق بهم من كان له حكمهم من الكفار (٣).

وأما الأحاديث : فمن أصرحها حديث عائشة (رضي الله عنها): " أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة (رضي الله عنها) رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: (نعم عذاب القبر حق) قالت عائشة (رضي الله عنها) :" فما رأيت رسول الله ﷺ بعد صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر" (٤).

وقال الحافظ: في آخر شرحه للأحاديث: "وفي أحاديث الباب من الفوائد إثبات عذاب القبر"(٥).

---

(١) المصدر نفسه: ج 3 / ص 233.

(٢)ينظر فتح الباري: ج 3/ ص 233.

(٣)المصدر نفسه: ج 3/ ص 236.

(٤) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، باب ما جاء في عذاب القبر : ج 1/ ص 462، رقم (1306).

(٥) فتح الباري: ج3/ ص 240.

المسألة الثالثة: الخلاف في وقوع عذاب القبر على المؤمنين:-

ورد عذاب للقبرفي الشرع قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ غافر: ٤٦، واشتهر عن رسول الله ﷺ والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر فعن عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَىَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَعِنْدِى امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهْىَ تَقُولُ هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِى الْقُبُورِ قَالَتْ فَارْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَقَالَ « إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ ». قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَبِثْنَا لَيَالِىَ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِى الْقُبُورِ ». قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[١].

وهو ممكن فيجب التصديق به ،ولايمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور :فأن المدرك لألم العذاب من الحيوان اجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى على اعادة الادراك اليها .[٢]

أما المعتزلة فقد نفوا عذاب القبرواستدلوا على نفيه بأن الميت يرى وهو غير معذب،وان الميت ربما تفترسه السباع وتأكله فعلى ماذا يقع العذاب [٣].

وخالف الجبائي من المعتزلة وابنه ، والبلخي فأثبتوا عذاب القبر،ولكنهم نفوه عن المؤمنين ،واثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق[٤].

ورد الاشاعرة على هذه الدعاوى وقالوا: ليس من ضرورة العذاب ظهور حركة في ظاهر البدن ، بل الناظر الى ظاهر النائم لايشاهد مايدركه النائم من الذة من الاحتلام ،ومن الألم عند تخيل الضرب وغيره،ولو انتبه النائم وأخبر عن

---

(١) رواه مسلم،باب استحباب التعوذ من عذاب القبر، ج2 /ص92 حديث رقم (1347).

(٢) ينظر الاقتصاد في الاعتقاد/ص136؛قواعد العقائد،تحقيق موسى محمد،ط2/ص111.

(٣) ينظر التبصير في الدين للاسفراييني/ص67؛معارج القبول: ج2/ص713.

(٤) ينظرالروح ،ابن القيم الجوزية/ص58.

مشاهداته والامه ولذاته من لم يجر لهعهد بالنوم لبادر الى الإنكار بسكون ظاهر جسمه،كمشاهدة انكار المعتزلة لعذاب القبر[١].

اما الجواب عن شبهة اكل السباع للميت فغاية مافي الباب أن يكون بطن السبع قبراً، فإعادة الحياة الى جزء يدرك العذاب ممكن،فما كل متألم يدرك الألم من جميع بدنه[٢].

---

(١) ينظر الاقتصاد في الاعتقاد/ص136.

(٢) المصدرنفسه/ص136.

ذكر الحافظ أن بعض المعتزلة ذهب إلى أن عذاب القبر يقع على الكفار دون المؤمنين. قال ابن حجر: " وبعض الأحاديث الآتية تردّ الإحتجاج له" (١).

قلت: ومن الأحاديث التي ترد هذا القول حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: ("مر النبي ﷺ على قبرين فقال: " إنهما ليعذبان وما يعذبان من كبير" ثم قال (بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، قال: ثم أخذ عوداً رطباً فكسره بأثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبره. ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) (٢)، فلا شك أن هذين المقبورين مُسْلِمان، ومع هذا صرح بأنهما يُعذَبان. وكذلك الأحاديث التي فيها الأمر بالإستعاذة من عذاب القبر دليل على أن عذاب القبر لا يختصّ بالكفّار.

المسألة الرابعة: الخلاف في عذاب القبر هل يقع على الروح والبدن معاً، أو على أحدهما؟:-

ذكر الحافظ أن هذهِ المسألة فيها خلاف شهير بين المتكلمين (٣)، ثم حكى الخلاف فيها على ثلاثة أقوال:-

أحدها: أنه يقع على البدن فقط، وأن الله يخلق فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم، ويلذّ ويألم . وإلى هذا ذهب ابن جرير وجماعة من الكرامية.

وثانيها: أنه يقع على الروح فقط، من غير عود إلى هذا الجسد، وإلى هذا ذهب ابن حزم وغيره.

ثالثها: أنه يقع على الروح والبدن جميعاً، وإلى هذا ذهب الجمهور.

وبين الحافظ أن القائلين بوقوعه على البدن فقط احتجوا بما ورد في بعض الآيات من نفي سماع الاموات كقوله تعالى:" ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٨٠﴾ ﴾ " [سورة النمل/ الآية: 80]، وسيأتي الكلام على هذهِ المسألة قريباً.

---

(١) فتح الباري: ج3/ ص 233.

(٢) صحيح البخاري، باب عذاب القبر من الغيبة ج1/ 464، رقم (1312) .

(٣) فتح الباري: ج 3/ ص 233.

وأما القائلون بوقوعه على الروح فقط، فالحامل على ذلك هو أن الميت قد يشاهد. في قبره حال المسألة لا أثر فيه من إقعاد ولا غيره، ولا ضيق في قبره ولا سعة ،وكذلك غير المقبور كالمصلوب[١].

قال الحافظ: " وجوابهم أن ذلك غير ممتنع في القدرة، بل له نظير في العادة ، وهو النائم، فإنه يجد لذة وألماً لا يدركه جليسه، بل اليقظان قد يدرك ألماً أو لذة لما يسمعه أو يفكر فيه، ولا يدرك ذلك جليسه، وإنما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله، والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم إبقاء عليهم لئلا يتدافنوا، وليست للجوارح الدنيويّة قدرة على إدراك أمور الملكوت إلا من شاء الله.

وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب إليه الجمهور، كقوله: " إنه ليسمع خفق نعالهم" ، وقوله: " تختلف أضلاعه لضمة القبر"، وقوله:" يسمع صوته إذا ضربه بالمطراق" ، وقوله:" يضرب بين أذنيه" ، وقوله: " فيقعدانه" ، وكل ذلك من صفات الأجساد"[٢].

وما نسبه الحافظ إلى الجمهورفي هذه المسألة هو مذهب أهل السنة والجماعة بالإتفاق، كما حكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال – في جواب سؤاله عن هذه المسألة – : " بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً بأتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن"[٣].

---

(١) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة/ ص1302.

(٢) ينظر فتح الباري: ج3/ ص 235؛ وينظر أيضاً :ج11/ 366.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ج 4/ ص 282، وقد تكلم شيخ الاسلام على هذهِ المسالة بأدق وأشمل مما ذكر الحافظ . ينظر مجموع الفتاوى (ج 4/ 262 – 270، 282 – 299) .

المطلب الرابع: حياة الأنبياء في قبورهم

إن مسألة حياة الأنبياء في قبورهم من المسائل التي تعرض ابن حجر لهذه المسالة في عدة مواضع في كتابه " فتح الباري" وأطال الكلام عليها في بعض هذهِ المواضع، ونقل فيه أقوالاً كثيرة أغلبها بعيدة عن الصواب إذ لم تستند إلى أدلة مقبولة؛ فقد ثبت نقلاً وعقلاً أن الأنبياء من الأموات قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة الزمر/ الآية:30] وقال تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية:144]، وإن ورد في أخبار صحيحة أن الأنبياء في قبورهم أحياء، فتلك حياة برزخية لا تماثل الحياة الدنيوية، ولا تثبت لها حكمها، وقد ذكر الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في بعض المواضع ستأتي الاشارة إليها.

ولكنه مع ذلك أطلق عبارات في هذا الشأن ، ونقل نقولات يفهم منها أن حياة الأنبياء في قبورهم حياة حقيقية كالحياة الدنيوية.

ولاشك أن هذا يؤدي إلى اعتقاد باطل، ويفتح الطريق للضالين الذين يلوذون ويعوذون بأصحاب القبور.

ولبيان موقف الحافظ ابن حجر في هذهِ المسألة أشير أولاً إلى بعض كلامه الذي أطلق فيه حياة الأنبياء في قبورهم بلا قيد:

- جاء في حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "لاتخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله"(١).

يقول الحافظ ابن حجر (وقد استشكل كون جميع الخلق يصعقون مع إن الموتى لا إحساس لهم ، فقيل: المراد أن الذين يصعقون هم الأحياء) وأما الموتى فهم في الإستثناء في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورةالزمر/الآية: 68]،

---

(١) أخرجه البخاري، صحيح البخاري، باب وفاة موسى وذكره : ج 3/ 1251، رقم (3227).

أي إلا من سبق له الموت قبل ذلك، فإنه لا يصعق، وإلى هذا جنح القرطبي، ولا يعارضه ما ورد في هذا الحديث أن موسى ممن استثنى الله؛ ولأن الأنبياء أحياء عند الله، وإن كانوا في صورة الأموات بالنسبة إلى أهل الدنيا ، وقد ثبت ذلك الشهداء، ولاشك أن الأنبياء أرفع رتبة من الشهداء"[١].

جاء في حديث الإسراء أن النبي ﷺ لقي عدداً من الأنبياء في السماء، وذكر أوصافهم التي رآهم عليها[٢].

قال الحافظ نقلاً عن القاضي عياض: ((رؤيا النبي ﷺ للأنبياء على ما ذكر في هذه الأحاديث إن كان مناماً فلا إشكال فيه، وإن كان في اليقظة ففيه إشكال ...)) قال ابن حجر : ((وقد قيل عن ذلك أجوبة : أحدها: أن الأنبياء أفضل من الشهداء، والشهداء أحياء عند ربهم فكذلك الأنبياء، فلا يبعد أن يُصلّوا، ويَحُجّوا، ويتقربوا إلى الله بما استطاعوا ما دامت الدنيا – وهي دار تكليف – باقية ، وذكر جوابين آخرين، إلى أن قال : وقد جمع البيهقي كتاباً لطيفاً في "حياة الأنبياء في قبورهم"[٣]، أورد فيه حديث أنس " الأنبياء احياء في قبورهم يصلون" وذكر طرقه عند البيهقي وعند غيره، قال "وصححه البيهقي" [٤] ثم أشار إلى روايات أخرى، ومنها ما ورد أن النبي ﷺ لقي الأنبياء في بيت المقدس، فحضرت الصلاة فأمّهم ، وأنه لقيهم بالسموات. قال: فَيُحمل على أنه رآهم واجتمع بهم، ثم عرج بهم إلى

---

(١) فتح الباري: ج6/ 444.

(٢) حديث الاسراء أخرجه البخاري بعدة الفاظ في عدة مواضع من صحيحه، والموضع الذي جرى عليه الكلام هنا هو في فتح الباري ج6/ 476- 477 رقم (3437) .

(٣) هذا الكتاب مطبوع بتحقيق فضيلة الشيخ الدكتور أحمد عطية الغامدي، نقلاً عن: منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة : ص 1310.

(٤) ينظر فتح الباري: ج 6/ ص 487؛ وينظر حياة الأنبياء في قبورهم ، البيهقي ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، ط 1، سنة 1414هـ ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة :ص 69- 74.

السموات فلقيهم[١]، ونقل من كلام البيهقي قال: ((وصلاتهم في أوقات مختلفة ، وفي أماكن مختلفة، لا يردّه العقل، وقد ثبت به النقل ، فدلّ ذلك على حياتهم))[٢].

"وإذا ثبت أنهم أحياء من حيث النقل، فإنه يقويه من حيث النظر كون الشهداء أحياء بنص القرآن، والأنبياء أفضل من الشهداء. ومن شواهد الحديث ما أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: (... وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) [٣].

قال الحافظ: " ومما يشكل على ما تقدم ما أخرجه أبو داود من وجه آخر عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : " ما من أحد يسلم عليَّ إلا ردَّ الله عليَّ روحي حتى أرد عليه السلام"[٤].

ووجه الإشكال فيه أن ظاهرهُ أن عودة الروح إلى الجسد يقتضي انفصالها عنه، وهو الموت. وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة[٥]:

احدها: أن المراد بقوله:" رد الله عليَّ روحي" أن روحه كانت سابقة عقب دفنه، لا أنّها تعاد ثم تنزع ثم تعُاد.

الثاني: سلمنا، لكن ليس هو نزع الموت، بل لا مشقة فيه.

وذكر ثلاثة أجوبة أخرى، وكل تلك التأويلات للحديث الظاهر منها أنها على خلاف ظاهر الحديث وبلا دليل.

---

(١) يفهم منه أنه عرج بأجسادهم أحياء، كما عرج النبي ﷺ.

(٢) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة / ص 1309- 1310.

(٣) سنن ابي داود، باب زيارة القبو: ج 8/ص 622؛ حديث رقم (2042)، قال الشيخ الالباني عنه (حديث صحيح) .

(٤) سنن ابي داود، باب زيارة القبور، ج 1/ ص 62، حديث رقم (2041) قال الشيخ الألباني : (حديث حسن).

(٥) ينظر فتح الباري: ج6/ ص 487- 488.

وجاء في حديث عائشة (رضي الله عنها) في قصة موت رسول الله ﷺ، وفيه أن أبا بكر الصديق (رضي الله عنه) قال: "والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبداً"[١].

يقول الحافظ ابن حجر " قول سيدنا ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) : " لا يذيقك الله الموتتين" قد تمسك به من أنكر الحياة في القبر، - أجيب عن أهل السنة المثبتين لحياة الأنبياء في قبورهم، ولكنهم يعتقدون أنها حياة برزخية تختلف عن الحياة الدنيوية - وأن المراد نفي الموت اللازم من الذي أثبته عمر بقوله (وليبعثن الله في الدنيا ليقطع أيدي القائلين بموته)، وليس فيه تعرّض لما يقع في البرزخ.

وأحسن من هذا الجواب أن يقال: أن حياته ﷺ في القبر لا يعقبها موت، بل يستمر حياً، والأنبياء أحياء في قبورهم.." [٢].

ففي هذه المواضع من الإطلاقات ما لا يصلح، وحكم على حياة الأنبياء في قبورهم وكأنهم في الحياة المعتادة يحجون، ويتقربون إلى الله بما استطاعوا ، ومن ثم نشأت تلك الإشكالات التي ذكرها في بعض النصوص[٣].

ولكن ابن حجر في مواضع أخرى تكلم على حياة الأنبياء وغيرهم في قبورهم بعبارات أدق وأبعد عن الاشكال، ومن ذلك قوله -وهو يتحدث عمن تثبت له لصحبة من الناس: -

" وهذا كله فيمن رآه وهو في قيد الحياة الدنيوية، أما من رآه بعد موته وقبل دفنه, فالراجح أنه ليس بصحابي، وإلا لعدّ من اتفق أن يرى جسده المكرم وهو في قبره المعظم ولو في هذهِ الاعصار، وكذلك من كشف له عنه من الأولياء فرآه كذلك على طريق الكرامة، إذ حجه من أثبت الصحبة لمن رآه قبل دفنه أنه مستمر الحياة، وهذهِ الحياة ليست دنيوية، وإنما هي أخروية لا تتعلق بها أحكام الدّنيا، فإن

---

(١) صحيح البخاري، باب قول النبي ﷺ : " لو كنت متخذاً خليلاً"، ج 3/ ص 1431، حديث رقم (3467) .

(٢) فتح الباري: ج7/ ص 29.

(٣) ينظر منهج العسقلاني في العقيدة / ص 1312.

الشهداء أحياء ، ومع ذلك فإن الأحكام المتعلقة بهم بعد القتل جارية على أحكام غيرهم من الموتى، والله أعلم"(١).

وعن عقبة بن عامر قال (صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد بعد ثماني سنين كالمودع للأحياء والأموات"(٢).

يقول ابن حجر (قوله (كالمودع للاحياء والاموات) .. وتوديع الاحياء ظاهر؛ لأن سياقه يشعر بأن ذلك كان في آخر حياته ﷺ ، وأما توديع الأموات أن يكون الصحابي أراد بذلك إنقطاع زيارته الاموات بجسده؛ لأنه بعد موته وإن كان حياً فهي حياة أخرويّة ، لا تشبه الحياة الدنيا ، والله اعلم"(٣).

- قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث الإسراء في أحد المواضع من كتابه:

"اختلف في حال الأنبياء عند لقي النبي ﷺ إياهم ليلة الإسراء، هل أسري بأجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة، أو أن أرواحهم مستقرة في الأماكن التي لقيهم النبي ﷺ ، وأرواحهم مشكلة باشكال أجسادهم كما جزم به أبو الوفاء بن عقيل، واختار الأول بعض شيوخنا، واحتج بما ثبت في مسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: " مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره"(٤).

فدَلّ على أنه أسري به لما مَرَّ به.

---

(١) فتح الباري: ج7/ ص 4.

(٢) أخرجه البخاري، باب غزوة أحد، ج4/ 1486 ، حديث رقم (3816).

(٣) فتح الباري: ج7/ 349.

(٤) صحيح مسلم، باب من فضائل موسى عليه السلام، ج4/ 1845، حديث رقم (2375) ؛ سنن النسائي، باب ذكر صلاة نبي موسى (عليه السلام) ج 3/ 215، حديث رقم (1631) ، قال عنه الشيخ الالباني (حديث صحيح) ؛ ومسند أحمد بن حنبل، باب مسند أنس بن مالك : ج 3/ ص 120، حديث رقم (12231) تعليق شعيب الارنؤوط قال (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

قلت: أي ابن حجر وليس ذلك بلازم، بل يجوز أن يكون لروحه اتصال بجسده في الأرض، فلذلك يتمكن من الصلاة، وروحه مستقرة في السماء"(١).

وقول الحافظ هو الحق، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذهِ المسألة فأجاب رحمه الله: " الحمدلله رب العالمين، أما الرؤيا لموسى (عليه السلام) في الطواف فهذا كان رؤيا منام، لم يكن ليلة المعراج، كذلك جاء مفسراَ، كما رأى المسيح (عليه السلام) أيضاً، ورأى الدجال.

وأما رؤيته ورؤية غيره من الأنبياء ليلة المعراج في السّماء لما رأى آدم في السماء الدنيا، ورأى يحيى وعيسى في السماء الثانية، ويوسف في الثالثة ، وإدريس في الرابعة، وهارون في الخامسة، وموسى في السادسة، وإبراهيم في السابعة، أو العكس ، فهذا رأى أرواحهم مصورة في صور أبدانهم ، وقد قال بعض الناس: لعله رأى نفس الأجساد المدفونة في قبورهم، وهذا ليس بشيء ، لكن عيسى صعد إلى السماء بروحه وجسده، وكذلك قد قيل في إدريس. وأما إبراهيم وموسى ، وغيرهما فهم مدفونون في الأرض..." (٢).

قال:" وأما كونه رأى موسى قائماً يصلي في قبره، ورآه في السماء أيضاً فهذا لا منافاة بينهما، فإن أمر الارواح من جنس أمر الملائكة في اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك، ليست في ذلك كالبدن"(٣).

---

(١) فتح الباري: ج7/ 212.

(٢) ينظر مجموع الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية ج4/ 328- 329.

(٣) المصدر نفسه : ج4/ 329.

الفصل الثالث
أشراط الساعة

المبحث الأول : تعريف أشراط الساعة :

المسألة الأولى : معنى "أشراط".

المسألة الثانية : معنى "الساعة".

المسألة الثالثة : معنى أشراط الساعة وأقسامها .

المسألة الرابعة : ذكر أشراط الساعة مجملة .

أولاً : علامات الساعة الصغرى .

ثانياً : علامات الساعة الكبرى .

الفصل الثالث
أشراط الساعة

ذكر الحافظ ابن حجر(رحمه الله) في مواضع من كتابه عن الساعة ومعناها وعن معنى أشراط الساعة، وتكلم عن بعض أشراط الساعة، كالمهدي، والدجال، ونزول عيسى (عليه السلام)، وخروج يأجوج ومأجوج وغيرها من المسائل التي سنوضحها في هذا الفصل:-

المبحث الأول
تعريف أشراط الساعة

المسألة الأولى/ معنى "أشراط :-

يقول ابن حجر: أشراط: "وهو جمع شرط بفتحتين، وقيل : هو الردئ من كل شيء[١]، فعلى هذا فالمراد صعاب الأمور وشدائدها قبل قيامها... وقيل جمع شرط بفتحتين كقلم وأقلام والاشراط بمعنى العلامات"[٢].

المسألة الثانية/ معنى "الساعة :-

يقول ابن حجر: "أصل الساعة: القطعة من الزمان" [٣]، "وفي عرف أهل الميقات جزء من أربعة وعشرين جزءاً من اليوم والليلة"[٤].

قال:"واللام للعهد، والمراد يوم القيامة"[٥].

قال: سميَّ يوم القيامة – الساعة ؛ لأنها كلمحة البصر، ولم يكن في كلام العرب في المدد أقصر من الساعة[٦].

---

(١) "هدي الساري" مقدمة فتح الباري / ص 138.
(٢) ينظر فتح الباري: ج 1/ ص 121.
(٣) المصدر نفسه : ج3/ ص 4.
(٤) المصدر نفسه : ج11/ ص 348.
(٥) المصدر نفسه : ج1/ 121.
(٦) هدي الساري : ص 132.

ونقل عن الزجاج قوله: "معنى الساعة الوقت الذي تقوم فيه القيامة، إشارة إلى أنها ساعة خفية يقع فيها أمر عظيم . وقيل: سميت ساعة لوقوعها بغتة، أو لطولها، أو لسرعة الحساب فيها، أو لأنها عند الله خفيفة مع طولها على الناس"(١).

المسألة الثالثة/ معنى أشراط الساعة وأقسامها:

يقول الحافظ ابن حجر : المراد بأشراط الساعة: " العلامات التي يعقبها قيام الساعة"(٢).

وقال ابن حجر نقلاً عن القرطبي : "علامات الساعة على قسمين:-

ما يكون من نوع المعتاد، أو غيره (أي خارقاً للعادة) "

فالذي من نوع المعتاد ما ذكر في حديث جبريل : " أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"(٣).

والذي من نوع الخوارق، مثل : "طلوع الشمس من مغربها"(٤).

وقال: " ما أخبر النبي ﷺ بأنه سيقع قبل أن تقوم الساعة على أقسام(٥):-

أحدهما: ما وقع على وفق ما قال:-

الثاني: ما وقعت مباديه ولم يستحكم.

الثالث: ما لم يقع منه شيء ولكنه سيقع.

وقال أيضاً نقلاً عن البيهقي وغيره:-

"الاشراط منها صغار قد مضى أكثرها. ومنها كبار ستأتي"(٦).

---

(١) فتح الباري: ج11/ 389.

(٢) ينظر فتح الباري: ج13/ 79.

(٣) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، باب بيان الايمان والاسلام ، ج 1/ ص 36، الحديث رقم (8) .

(٤) فتح الباري: ج1/ ص 121 ، 178.

(٥) المصدر نفسه : ج13 / ص 83.

(٦) المصدر نفسه : ج13/ ص 85.

المسألة الرابعة/ ذكر أشراط السّاعة مجملة:

من المعلوم أن النبي ﷺ أخبر عن علامات كثيرة تظهر قبل قيام الساعة، وهذهِ العلامات ، منها أشراط صغار قد ظهر كثير منها، ومنها كبار لم تظهر بعد، وستظهر.

وقد أشار ابن حجر(رحمه الله) إلى الكثير من العلامات من كلا النوعين أخذاً من الأحاديث الواردة في ذلك ، فمن العلامات التي أشار إليها ابن حجر هي كالآتي:-

أولاً: علامات الساعة الصغرى:

1. بعثة النبي ﷺ

نقل الحافظ ابن حجر عن الضحاك أنه قال: "أوّل أشراطهما بعثة محمد ﷺ ، والحكمة في تقدم الأشراط ايقاظ الغافلين، وحثّهم على التوبة والاستعداد"(١).

2. إقتتال فئتين عظيمتين دعوتهما واحدة(٢).
3. قتال الترك(٣).
4. قتال العجم(٤).
5. قتال اليهود(٥).
6. كلام الجماد من شجر وحجر(٦).
7. فتح بيت المقدس(٧).
8. طاعون عمواس(٨).

---

(١) فتح الباري: ج11/ ص 350.
(٢) المصدر نفسه : ج3/ ص 85.
(٣) المصدر نفسه : ج6/ 608.
(٤) المصدر نفسه : ج6/607- 608 .
(٥) المصدر نفسه : ج6/610.
(٦) المصدر نفسه : الصفحة نفسها.
(٧) المصدر نفسه : ج6/ 278.
(٨) المصدر نفسه : ج6/ 277 – 279.

9. استفاضة المال[١].
10. ظهور الفتن[٢].
11. كثرة الهرج (القتل) [٣].
12. تقارب الزمان[٤].
13. التطاول في البنيان[٥].
14. نقص العمل[٦].
15. رفع العلم وظهور الجهل[٧].
16. خروج الدّجالين.
17. خروج رجل من قحطان.
18. كثرة الزلازل[٨].
19. إلقاء الشح[٩].
20. خروج نار بأرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى[١٠].
21. موت الصالحين[١١].

---

(١) فتح الباري: ج 6/ 278.
(٢) المصدر نفسه : ج 13 / 13 – 17.
(٣) المصدر نفسه : ج 13/ 13 .
(٤) المصدر نفسه : ج 13 – 19.
(٥) المصدر نفسه : ج ص 123.
(٦) المصدر نفسه : ج 13/ 13 – 19.
(٧) المصدر نفسه : 13/ 84.
(٨) المصدر نفسه : ج 13/ 82 .
(٩) المصدر نفسه : ج 13/ 13 – 19.
(١٠)المصدر نفسه : ج 13/ 78 ، 79.
(١١) المصدر نفسه : ج 11/ 252.

ثانياً: علامات الساعة الكبرى:

1. ظهور المهدي[١].
2. خروج المسيح الدجال[٢].
3. نزول عيسى عليه السلام[٣].
4. خروج يأجوج ومأجوج[٤].
5. الخسوف الثلاثة (خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب) [٥].
6. الدخان[٦] .
7. الدابة[٧] .
8. طلوع الشمس من المغرب[٨].
9. النار التي تحشر الناس[٩].

---

(١) فتح الباري : ج6/ 494.

(٢) المصدر نفسه : ج 13/ 91- 105.

(٣) المصدر نفسه : ج 3/ 415 ، ج11 / 353 .

(٤) المصدر نفسه : ج 13 / 106 – 110 .

(٥) المصدر نفسه : ج 13 / 82 .

(٦) المصدر نفسه : ج11/ 352.

(٧) المصدر نفسه : ج 11 / 353 .

(٨) المصدر نفسه : ج8/ 573 و ج11 / 352.

(٩) المصدر نفسه : ج11/ 353 و ج13/ 79.

الفصل الرابـع
نـماذج من أشراط الساعة

المبـحث الأول : فـتـنـة المسيـح الدّجال :

المبـحث الثـانـي: نـزول عيـسى بـن مريـم (عليه السلام) :

المبـحث الثـالـث : خروج يـأجوج ومأجوج :

المبـحث الرابـع : خروج المهدي (عليه السلام) :

الفصل الرابـع

نـماذج من أشراط الساعة

ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه " فتح الباري" في الحديث عن الكثير من أشراط الساعة، ومن الصعوبة بمكان الالمام أو إحصاء جميع كلامه في جميع أشراط الساعة، لكن بعض هذه الأشراط كثرت فيها الأقوال ، وتعددت فيها الآراء، فناسب هنا أن نعرف رأي الحافظ ابن حجر فيها حين تعرض لها.

ومن الأشراط التي تعرض لها ابن حجر في كتابه ، وكثر الكلام فيها هي: فتنة المسيح الدجال ، وظهور المهدي، ونزول عيسى بن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج[١]، والحديث عن هذه الأشراط كالآتي:

المبـحث الأول : فتنـة المسيح الدّجال

إن الحديث عن فتنة المسيح الدجال ذكرها ابن حجر في كتابه "فتح الباري" في عدة مواضع، أو سعها في شرح (باب ذكر الدجال) من كتاب الفتن ، حيث عقد الامام البخاري هذا الباب لذكر أخبار الدجال، وأورد فيه أحد عشر حديثاً، وأوضح ابن حجر في شرح هذه الأحاديث إلى بيان كثير من المسائل المتعلقة بفتنة المسيح الدّجال، وأشار في بداية شرحه عن هذهِ الفتنة إلى مواضع الكلام، فقال ابن حجر نقلاً عن القرطبي:-

" ومما يحتاج إليه في أمر الدجال: أصله، وهل هو ابن صياد أو غيره؟ وعلى الثاني : فهل كان موجوداً في عهد رسول الله ﷺ أو لا، ومتى يخرج؟ وما سبب خروجه، ومن أين يخرج؟ ، وما صفته؟ ، وما الذي يدّعيه؟ ، وما الذي يظهر عند خروجه من الخوارق حتى تكثر أتباعه؟، ومتى يهلك؟ ، ومن يقتله؟" [٢].

يقتله؟"[٢].

---

(١) هذه أهم الاشراط التي بين فيها آراءه، ولكنها ليست جميع ما ذكرها.

(٢) فتح الباري: ج13/ ص 91.

وهذه أحد عشر موضعاً مما يحتاج إلى كلام فضلاً عن أمور أخرى أيضاً كتسميته بالمسيح ومعنى ذلك، ومعنى الدجال، والخلاف في صحة وجوده ، وقد اشار الحافظ إلى هذا المسائل، وسأوجز كلامه على كل موضع مما سبق ذكره ؛ لإن المقام لا يسمح بالإطالة ، وهي كالآتي(١):-

أ. معنى "المسيح" ولم سميَّ بذلك:-

قال الحافظ: " المسيح – بفتح الميم، وتخفيف المهملة المكسورة، وآخره جاء مهملة- : يطلق على الدّجال ، وعلى عيسى ابن مريم (عليه السلام)، لكن إذا أريد الدجّال قيد به "(٢)، قال: "وهي صفة مدح لعيسى، وصفة ذم للدجال"(٣).

وقيل: "المسيح – مثقل - : الدجال، ومخفف : عيسى ، والمشهور الأول" .

قال اي (ابن حجر) : " واختلف في تلقيب الدجال بذلك، فقيل: لأنه ممسوح العين. وقيل: لأن أحد شقي وجهه خلق ممسوحاً لا عين فيه ولا حاجب، وقيل: لأنه يمسح الأرض إذا خرج"(٤).

ب. معنى الدجّال:

قال الحافظ ابن حجر: " الدجّال : فَعّال – بفتح أوله والتشديد – من الدجل ، وهو التغطية والتمويه، ويطلق على الكذب أيضاً، وسميَّ الكذاب دجّالاً لأنه يغطي الحق بباطله، ويقال: دجل البعير بالقطران : إذا غطاه، والإناء بالذهب إذا طلاه"(٥).

ت. الخلاف في صحة وجود الدجال:-

قال الحافظ ابن حجر – نقلاً عن القاضي عياض - : " في هذه الأحاديث حجة لأهل السنة في صحة وجود الدجال، وأنّه شخص معين يبتلى الله به العباد ،

---

(١) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة/ص 1323 – 1330 .

(٢) ينظر فتح الباري: ج2/ ص318.

(٣)المصدر نفسه : ج6/ص 486.

(٤) المصدر نفسه : ج2/ص 318؛ وهدي الساري / ص 188.

(٥) المصدر نفسه : ج6/ص 617 ؛ ج13 /ص 91.

ويقدر على أشياء.. وقد خالف في ذلك بعض الخوارج [١]، والمعتزلة ، والجهمية[٢]، وأنكروا وجوده ، وردّوا الأحاديث الصحيحة.

وذهب طوائف منهم إلى أنه صحيح الوجود لكن كل الذي معه مخاريق وخيالات لا حقيقة لها، وألجأهم إلى ذلك أنه لو كان معه بطريق الحقيقة لم يوثق بمعجزات الأنبياء[٣]؛ لأنه لم يدّع النّبوة فتكون الخوارق تدلّ على صدقه أيضاً، وإنما ادّعى الإلهية، وصورة حاله تكذبه، لعجزه ونقصه، فلا يغتر به إلاّ رعاع الناس..." [٤].

ث. فتنة الدجال أعظم فتنة في تاريخ البشر:-

قال ابن حجر رحمه الله:

" إن فتنة الدجال أعظم الفتن الكائنة في الدنيا، وقد ورد ذلك صريحا في حديث أبي أمامة قال: خطبنا رسول الله(صلى الله عليه وسلم) فذكر الحديث ، وفيه: "إنه لم تكن فتنة في الارض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال" ، أخرجه أبو داود ، وابن ماجه [٥]"، ومن جملة حديث فتنة الدجال: " وإن الله لم

---

(١) هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي (رضي الله عنهما) ، كما أجمعوا عدا النجدات منهم على تكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار إذا مات مصراً عليها . ينظر مقالات الاسلاميين :ج1/ص 167- 168؛ الملل والنحل ج1/ 114- 115؛ والفرق بين الفرق /ص 72- 74.

(٢) هم أتباع جهم بن صفوان الذي قال إن العبد مجبور على فعله ولا قدرة له ولا اختيار ، ومن ضلالته إنكار الصفات ، والقول بأنّ الجنة والنار تبيدان، وأن الايمان هو المعرفة بالله فقط، والكفر هو الجهل فقط. ينظر مقالات الاسلاميين :ج 1/ص 338؛ والملل والنحل :ج1/ص 86- 88.

(٣) وهؤلاء انما قالوا هذا ؛لانّ آية صدق النبوة عندهم هي المعجزة فحسب، ومن هذا الباب أنكر كرامات الاولياء ن وسائر الخوارق لغير الأنبياء، وهذا المذهب ليس بصحيح ، فإن النبوة يمكن أن تثبت بالمعجزة وغيرها، وكذلك حال النبي وسيرته تدلان على صدقه.

(٤) فتح الباري: ج13/ص 105 .

(٥) فتح الباري: ج13/ ص105.

يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال، وأنا آخر الأنبياء، وأنتم آخر الأمم، وهو خارج فيكم"[١].

ج. خروج الدجال أول الايات العظام:-

يقول ابن حجر في خروج الدجال:" الذي يترجح من مجموع الأخبار أنَّ خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الارض، وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وان طلوع الشمس من المغرب هو اول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة ، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب"[٢].

ح. من أين ومتى يخرج، ,ما سبب خروجه:-

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): " الدجال يخرج من المشرق جزماً، وجاء في رواية أنه يخرج من خراسان ، وفي رواية أخرى أنه يخرج من اصبهان . قال: وفي حديث عند مسلم أنه يخرج عند فتح المسلمين القسطنطينية . قال:" وأما سبب خروجه فأخرج مسلم في حديث ابن عمر عن حفصة (أنه يخرج من غضبة يغضبها) [٣].... " [٤].

خ. الذي يدعيه الدجال عند خروجه:

يقول ابن حجر "وأما الذي يدعيه فإنه يخرج أولاً فيدّعي الإيمان والصلاح، ثم يدّعي النبوة، ثم يدّعي الالهية"[٥].

---

(١) هو جزء من حديث طويل،أخرجه ابن ماجه في سننه؛باب فتنة الدجال، ج2/ص 1359 ، الرقم الحديث (4077) ، و في صحيح الجامع الالباني، رقم (7875) ، ولم أجده في سنن ابن داود كما ذكره ابن حجر رحمه الله.

(٢) فتح الباري: ج 11/ص 353.

(٣) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، باب ذكر ابن صياد، ج4/ 2246، حديث رقم (2932) .

(٤) فتح الباري: ج 13/ص 91 .

(٥) فتح الباري: ج13/ص 91 .

وذكر ابن حجر حديثاً ضعيفاً للطبراني أنه يخرج من قبل المشرق فيدعو الى الدين فيتبع ويظهر ثم يدعي النبوة فيفزع منه كل ذي لب، ويفارقه ، فيمكث بعد ذلك فيقول أنا الله فتغشى عينه وتقطع أذنه ويكتب بين عيينه كافر..." [١].

د. ما الذي يظهر على يده من الخوارق؟[٢]

قال الحافظ: وعند الحاكم من حديث حذيفة: " أنه يخرج – يعني الدجال – في نقص من الدنيا، وخفة من الدين، وسوء ذات بين، فيرد كل منهل ، وتطوى له الأرض" . الحديث.

وأخرج نعيم بن حماد في كتاب "الفتن" من طريق كعب الاحبار قال:" يتوجه الدجال فينزل عند باب دمشق الشرقي، ثم يلتمس فلا يقدر عليه، ثم يرى عند المياه التي عند نهر الكسوة، ثم يطلب فلا يدري أين توجه، ثم يظهربالمشرق، فيعطى الخلافة ، ثم يظهر السحر، ثم يدعي النبوة فتتفرق الناس عنه، فيأتي النهر فيأمره أن يسيل إليه فيسيل، ثم يأمره أن يرجع فيرجع، ثم يأمره أن ييبس فييبس ، ويأمر جبل طور وجبل زيتا أن ينتطحا فينتطحا، ويأمر الريح أن تثير سحاباً من البحر فتمطر الأرض، ويخوض البحر في اليوم ثلاث خوضات فلا يبلغ حقويه، وإحدى يديه أطول من الأخرى، فيمد الطويلة في البحر فتبلغ قعره فيخرج من الحيتان ما يريد..." [٣].

قلت: لم يبين ابن حجر درجة هذهِ الرواية، ولا شك أن الدجال ستظهر على يده خوارق عديدة يفتتن بها الناس، ولكن يجب الاعتماد في بيان ذلك على ما صح من الأخبار.

ز. دخوله كل بلد ما عدا مكة والمدينة:-

أخرج البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " ليس من بلد إلا سيطؤه الدّجّال إلا مكة

---

(١) المصدر نفسه : ج13/ ص91 .

(٢) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة لمحمد إسحاق كندو/ص 1326- 1327.

(٣) فتح الباري: ج13/ص 92.

والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج الله كل كافر ومنافق"[١].

يقول ابن حجر : " قوله: " ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال" هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور، وشذ ابن حزم فقال: المراد: إلا يدخله بعثه وجنوده، وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته ، وغفل عما ثبت في "صحيح مسلم" أن (بعض أيامه يكون قدر السنة) [٢]..." [٣].

ثم ترجف المدينة اي يحصل لها زلزلة بعد أُخرى ثم ثالثة حتى يخرج منها من ليس مخلصاً في إيمانه ويبقى بها المؤمن الخالص فلا يسلط عليه الدجال، ولا يعارض هذا حديث أنه لا يدخل المدينة الرعب أي (رعب الدجال) ؛لأنّ المراد بالرعب ما يحدث من الفزع من ذكره والخوف من عتوه لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لاخراج من ليس بمخلص، وحمل بعض العلماء الحديث الذي فيه أنها تنفي الخبث على هذهِ الحالة دون غيرها... [٤].

ر. مدة مكثه في الأرض بعد خروجه:

يقول الحافظ ابن حجر: " وقع في حديث جابر بن عبد الله "يسيح في الأرض أربعين يوماً يرد كل بلدة غير هاتين: مكة والمدينة، حرمهما الله تعالى عليه، يوم من أيامه كالسنة، ويوم كالشهر، ويوم كالجمعة، وبقية أيام كأيامكم هذهِ" أخرجه الطبراني وهو عند أحمد بإسناد جيد"[٥].

وكما بيناه في صحيح مسلم في الفقرة السابقة وبيانه في الهامش .

---

(١) أخرجه البخاري ، صحيح البخاري، باب لا يدخل الدجال المدينية :ج 2/ص 665، حديث رقم (1782).

(٢) أخرجه مسلم ، صحيح مسلم، باب ذكر الدجال وصفته : ج 4/ص 2250، حديث رقم (2937) ، وفيه (وما لبثه في الأرض قال: أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم...).

(٣) ينظر فتح الباري: ج 4/ص 95- 96.

(٤) المصدر نفسه : ج 4/ص 95- 96.

(٥) فتح الباري: ج 13/ص 104.

ز. الحكمة من عدم ذكر الدجال في القرآن[١]:

إن الحكمة من عدم ذكر الدجال في القرآن ذكره الحافظ في كتابه "فتح الباري" عدة أجوبة عن هذا الاشكال يقول الحافظ ابن حجر: "إشتهر السؤال عن الحكمة في عدم التصريح بذكر الدجال في القرآن مع ما ذكر عنه من الشر وعظم الفتنة به، وتحذير الأنبياء منه، والأمر بالاستعاذة منه حتى في الصلاة.

وأجيب بأجوبة:-

أحدها: أنه ذكر في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [سورة الأنعام/ الآية: 158] فقد أخرج الترمذي – وصححه – عن ابي هريرة رفعه: "ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها"[٢].

الثاني: قد وقعت الاشارة في القرآن إلى نزول عيسى بن مريم في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء/ الآية : 159]، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾ [سورة الزخرف/ الآية:61]، وصح أنه الذي يقتل الدجال، فاكتفى بذكر أحد الضدين عن الآخر، ولكونه يلقب المسيح كعيسى ؛ لكن الدجال مسيح الضلالة، وعيسى مسيح الهدى.

الثالث: أنه ترك ذكره احتقاراً"[٣].

---

(١) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة لمحمد اسحاق كندو/ 1328- 1329.

(٢) سنن الترمذي ، باب سورة الانعام، ج 5/ 264، حديث رقم (3072) ؛ وينظر مسند إسحاق بن راهويه، إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن راهويه الحنظلي ، مكتبة الايمان، المدينة المنورة ، ط 1 ، 1412 هـ - 1991 م، تحقيق د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، ج1/ص 253، حديث رقم (218).

(٣) فتح الباري: ج13/ص 91- 92.

سؤال:هل ابن صياد هو الدّجّال؟

إن مسألة كون ابن صياد هو الدجال او غير الدجال من أشكل المسائل العلمية التي لا يكاد أن يترجّح للباحث فيها قول، وذلك لتعارض الأقوال فيها منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم.

والمسألة تكلم عليها ابن حجر (رحمه الله) وتوسع في نقل الأقوال والروايات مع الحكم عليها في الغالب.

والذي يتلخص في هذهِ المسألة هو أنه لا يوجد دليل يقطع به أنّ ابن صياد هو الدجال، لكن أشكل أمره على بعض الصحابة فظنوه الدجال، وتوقفّ فيه النبي ﷺ حتى ظهر له أنه ليس هو الدجال، والذي يقطع به أنه كان من جنس الكهان أصحاب الأحوال الشيطانية، والله تعالى أعلم[١].

(١) ينظر في الكلام عن ابن صياد: "فتح الباري" : (ج6/ص 173- 175 و ج10/ 358 و ج13/ص 323 – 329 ؛ وينظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام لابن تيمية (ج 11/ 283)

المبحث الثاني: نزول عيسى بن مريم عليه السلام

ذكر ابن حجر (رحمه الله) في كتابه "فتح الباري" أن نزول عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان ثابت بالأدلة الصحيحة الصريحة، وأشار إلى الاختلاف في موته قبل رفعه، وإلى الحكمة من نزوله، ومدة إقامته في الارض بعد النزول، كما ذكر سبب تسميته بالمسيح، وبيان ذلك كما يلي:-

أ. معنى تسميته "المسيح":-

سبق أن ذكرنا أن لقب "المسيح" في حق عيسى (عليه السلام) مدح، وفي حق الدجال ذمّ، وأن عيسى (عليه السلام) هو مسيح الهدى، والدجال مسيح الضلالة. قال الحافظ ابن حجر: "وأما عيسى، فقيل سمي بذلك ؛لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن. وقيل: لأنه كان يمسح الارض بسياحته. وقيل: لأن رجله كانت لا أخمص لها. وقيل: للبسه المسوح. وقيل: هو بالعبرانية ما شيخا، فعرب المسيح. الصديق" قال: " وذكر شيخنا الشيخ مجد الدين الشيرازي في القاموس أنه جمع في سبب تسميته عيسى بذلك خمسين قولاً"(١).

ب. الاختلاف في موته قبل رفعه:-

يقول ابن حجر : " وقد إختلف في موت عيسى (عليه السلام) قبل رفعه، والأصل فيه قوله تعالى: ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [سورة آل عمران/ الآية : 55] ، فقيل على ظاهره، وعلى هذا فإذا نزل إلى الأرض ومضت المدة المقدرة له يموت ثانياً(٢).أي قابضك ورافعك من الدنيا من غير موت(٣).

---

(١) ينظر فتح الباري: ج2/ص 318.

(٢) وهذا ليس بصحيح، لان يترتب عليه إثبات الموت مرتين لعيسى، ولا دليل بدل على ذلك، ويترتب عليه تصحيح عقيدة الرجعة لدي بعض الفرق الضالة، وهذا باطل.

(٣) ينظر تفسير الجلالين: جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي دار الحديث – القاهرة،ط1/ص71.

وقيل: معنى قوله (متوفيك) من الأرض ،فعلى هذا لا يموت إلا في آخر الزمان، واختلف في عمره حين رفع، فقيل: ابن ثلاث وثلاثين ، وقيل: مائة وعشرين"[١].

يقول ابن تيمية(رحمه الله): والصواب أن عيسى رفع حياً، وأنه حي في السماء لم يمت بعد، " ولفظ التوفي لا يقتضي نفي توفي الروح دون البدن، ولا توفيهما إلا بقرينة منفصلة"[٢].

ج. أدلة نزول عيسى (عليه السلام) في آخر الزمان:

إن نزول عيسى (عليه السلام) قد وقعت الاشارة إليه في القرآن كما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء/ الآية :159] وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [سورة الزخرف/ الآية:61].

وجاء التصريح بنزوله (عليه السلام) في السنة النبوية، كما في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها" ثم يقول ابو هريرة: واقرءوا إن شئتم ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء/ الآية:159]" [٣].

أما استدلال أبي هريرة (رضي الله عنه) بهذهِ الآية تأكيد منه انها دالة على نزول عيسى (عليه السلام).

يقول ابن حجر : اي ليقربن اي لا بد من ذلك سريعاً... أن ينزل فيكم أي في هذهِ الأمة... وقوله (حكماً) أي حاكماً، والمعنى أنه ينزل حاكماً بهذه الشريعة ، فإن هذه الشريعة باقية لا تنسخ ، بل يكون عيسى حاكماً من حكام هذه الأمة.

---

(١) فتح الباري: ج 6/ص 493.

(٢) ينظر مجموع الفتاوى لابن تيمية : ج4/ص 223.

(٣) صحيح البخاري، باب نزول عيسى بن مريم، ج3/ص 1273، حديث رقم (3264) .

وقوله " فيكسر الصليب ويقتل الخنزير" أي يبطل دين النصرانية، بأن يكسر الصليب حقيقة ، ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه، وقوله: " ويضع الحرب" المعنى أن الدين يصير واحداً، فلا يبقى أحد من أهل الذمة يؤدي الجزية، وقيل معناه أن المال يكثر حتى لا يبقى من يمكن صرف مال الجزية له فتترك الجزية استغناء عنها...." [١].

د. الحكمة في نزول عيسى (عليه السلام):-

يقول الحافظ ابن حجر: "قال العلماء: الحكمة في نزول عيسى دون غيره من الأنبياء الرَّد على اليهود في زعمهم أنّهم قتلوه، فبين الله تعالى كذبهم،وأنه الذي يقتلهم ،أو نزوله لدنّو أجله ليدفن في الأرض، إذ ليس لمخلوق من التراب أن يموت في غيرها. وقيل: إنه دعا الله لما رأى صفة محمد وأمته أن يجعله منهم، فأستجاب الله دعاءه ، وأبقاه حتى ينزل في آخر الزمان مجدداً لأمر الإسلام، فيوافق خروج الدجال فيقتله، والأول أوجه"[٢].

هـــ. مدة إقامته في الأرض بعد نزوله:-

روى مسلم من حديث ابن عمر في مدة إقامة عيسى بالأرض بعد نزوله أنه يمكث بها سبع سنين"[٣].

قال الحافظ وروى نعيم بن حماد في (كتاب الفتن) من حديث ابن عباس أن عيسى إذ ذاك يتزوج في الأرض ، ويقيم بها تسع عشرة سنة.

---

(١) ينظرفتح الباري: ج6/ص 491- 492.

(٢) المصدر نفسه : ج6/ص 493.

(٣) ينظر صحيح مسلم ، كتاب الفتن، باب خروج الدجال، ج 4/ص 2258 ، حديث رقم (116).

وبإسناد فيه مبهم عن أبي هريرة : "يقيم بها أربعين سنة" ، وروى أحمد [١]، وأبو داود[٢]، وبإسناد صحيح مثله مرفوعاً، وفي هذا الحديث:" ينزل عيسى عليه ثوبان ممصران[٣]، فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، وتقع الأمنة في الأرض، حتى ترتع الاسود مع الإبل، وتلعب الصبيان بالحيات، – وقال في آخره – ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون"[٤].

والرأي الراجح هو أنه يمكث أربعين عاماً لدلالة الأحاديث على مكثه تلك المدة المقررة .

المبحث الثالث : خروج يأجوج ومأجوج

ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه أحاديث الأنبياء عند شرحه (قصة ذي القرنين) وفي شرح (باب يأجوج ومأجوج) في كتاب الفتن، ومما ذكره في شأنهم ما يلي:–

أ. أصلهم :–

ذكر الحافظ ابن حجر بأن يأجوج ومأجوج من بني آدم، وهما قبيلتان من ولد يافث بن نوح، قال:(وبه جزم وهب وغيره)، وأشار إلى أنه وقع في فتاوي الشيخ محي الدين – يعني النووي – أن : " يأجوج ومأجوج من أولاد آدم لا من حواء، عند جماهير العلماء ، فيكونون إخواناً لأب، وذلك " أن آدم نام فأحتلم فأختلط منيّه بالتراب فخلق منها يأجوج ومأجوج" ، قال: " وهو قول منكر جداً لا

---

(١) أخرجه أحمد في مسند أبي هريرة رضي الله عنه ، ج 2/ص 406، حديث رقم (9259) .

علق عليه شعيب الارنؤوط (الحديث صحيح).

(٢) سنن ابي داود ، باب ذكر خروج الدال، ج2/ص 520، حديث رقم (4324) قال عنه الشيخ الالباني (حديث صحيح).

(٣) والممصر من الثياب التي فيها صفرة خفيفة: ينظرعمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني الحنفي:ج23/ص448.

(٤) ينظر فتح الباري: ج6/ص 493.

أصل له" ، قال: " ولم نَرَ هذا عن أحد من السلف إلا عن كعب الاحبار، ويرده الحديث المرفوع أنهم من ذرية نوح، ونوح من ذرية حواء قطعاً"(١) .

وذكر ابن حجر أيضاً الخلاف في لفظي "يأجوج ومأجوج" هل هما أعجميان، أو عربيان ، وعلى الثاني: فما أصل اشتقاقهما؟"

ثم تكلم – رحمه الله – عن الخلاف في اشتقاقهما عند القائلين بأنهما اسمان عربيان، لكنه قال:" هما اسمان أعجميان عند الأكثر ، مُنعا من الصرف للعلمية والعجمة"(٢).

ب. صفتهم:-

أورد ابن حجر في صفتهم آثاراً عديدة أكثرها غير ثابت بحكم الحافظ ابن حجر نفسه ، ومن ذلك ما نقله عن كعب قال: " هم ثلاثة أصناف: صنف أجسادهم كالأرز – بفتح الهمزة وسكون الراء ثم زاي، وهو شجر كبار جداً – ، وصنف أربعة أذرع في أربعة أذرع، وصنف يفترشون آذانهم ويلتحفون الأخرى".

ومنه أيضاً ما نقله عن الحاكم عن ابن عباس: يأجوج ومأجوج شبراً شبراً، وشبرين شبرين، وأطولهم ثلاثة اشبار"(٣).

ج. كثرتهم:-

هناك كثير من الأحاديث التي تدل على كثرة عدد يأجوج ومأجوج، فقد أخرج البخاري في صحيحه كما ذكره الحافظ في كتابه:-

فعن أبي سعيد بن الخدري (رضي الله عنه) في حديث النبي ﷺ عندما ذكر بعث النار قال: (أنه "من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون" وفيه قوله ﷺ :" أبشروا فإن منكم رجلاً، ومن يأجوج ومأجوج ألف" ، وفي آخره قوله: " ما أنتم

---

(١) ينظر فتح الباري: ج 6/ 386و ج13 /ص 106 – 107.

(٢) المصدر نفسه: ج 13/ص 106.

(٣) المصدر نفسه: ج13/ص 106– 107.

في الناس إلا كالشعرة السوداء في جلد ثور أبيض، أو كشعرة بيضاء في جلد ثور أسود"[١]).

يقول ابن حجر معلقاً على الحديث: "والغرض منه هنا ذكر يأجوج ومأجوج والاشارة إلى كثرتهم، وأن هذه الأمة بالنسبة إليهم نحو عشر عشر العشر، وأنهم من ذرية آدم ردّاً على من قال خلاف ذلك"[٢].

وكذلك ذكر آثاراً أخرى في الشرح ، وتدل على كثرتهم، منها ما أخرجه الحاكم من طريق عبد الله بن عمرو(رضي الله عنهما) قال: " يأجوج ومأجوج يمر أولهم بنهر مثل دجلة ويمر آخرهم فيقولون قد كان في هذا النهر مرة ماء ولا يموت رجل إلا ترك ألفاً من ذريته فصاعداً ومن بعده ثلاثة أمم..." [٣].

الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

د. أدلة خروجهم في آخر الزمان:-

قد دل على خروجهم الكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية:96].

وأما السنة فقد وردت في ذلك أحاديث ذكرها ابن حجر في كتابه حيث قال:" وقد جاء في خبر مرفوع: "إن يأجوج ومأجوج يحفرون السد كل يوم" [٤] أخرجه الترمذي وحسنه الحاكم، والامام أحمد بن حنبل.

وكما جاء في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) ما رواه الترمذي في سننه عن النبي ﷺ فالسد قال: " يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذي عليهم إرجعوا فستخرقونه غداً فيعيده الله كأشد ما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله

---

(١) صحيح البخاري ، باب قصة يأجوج ومأجوج، ج3/ص 1221، حديث رقم 3170.

(٢) فتح الباري: ج 6/ص 386.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الفتن والملاحم، ج 4/ص 536، حديث رقم (8505).

(٤) أخرجه الحاكم ج4/ 536، رقم (8501)؛ والترمذي : ج5/ص 313، رقم (3153)؛ وأخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ج2/ 510، رقم (10640)

أن يبعثهم على الناس قال للذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غداً إن شاء الله واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس..."[١].

يقول الحافظ: "وقد ورد في حالهم عند خروجهم ما أخرجه مسلم من حديث النواس بن سمعان[٢] – بعد ذكر الدجال وقتله على يد عيسى – قال: " ثم يأتيه قوم قد عصمهم الله من الدجال، فيمسح وجوههم، ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أنى قد أخرجت عباداً لي لايدان لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذهِ مرة ماء ويحصر عيسى نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار، فيرغب نبي الله وأصحابه الى الله فيرسل عليهم النغف [٣] – في رقابهم فيصبحون فرسى[٤] كموت نفس واحد" [٥]. ... " [٦].

---

(١) سنن الترمذي ، باب سورة الكهف ج5/ 313، حديث رقم (3153) ؛ وأخرجه أحمد في المسند ، باب حديث البراء بن عازب، ج4/ص 294، حديث رقم (18624).

(٢) هو النواس بتشديد الواو ثم مهملة – ابن سمعان بن خالد بن عبد الله الكلابي ، ويقال: الانصاري ، صحابي مشهور، سكن الشام رضي الله عنه، ينظر تقريب التهذيب: ج 2/ 308؛ وتهذيب التهذيب : ج10/ص 480- 481.

(٣) النغف بالتحريك – دود يكون في أنوف الابل والغنم، واحدتها (نغفة) ينظر النهاية في غريب الحديث لمجد الدين ابي السعادات ابن الاثير تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية ، بيروت : 5/ ص78.

(٤) فرسى: أي قتلى ، الواحد: فريس، من فرس الذئب الشاة، وافترسها إذ قتلها، النهاية في غريب الحديث ج3/ص 428.

(٥) أخرجه مسلم ، كتاب الفتن ، ج4/ص 2250، حديث رقم (110) .

(٦) فتح الباري: ج13/ص 109- 110.

المبحث الرابع : خروج المهدي(عليه السلام)

إن مسألة الحديث على خروج المهدي (عليه السلام) من المسائل التي لم يُشر إليها ابن حجر (رحمه الله)، إلا بشكل يسير إشارة عابرة وذلك في موضعين من كتابه وهما كالآتي:-

الأول: عند إشارة البخاري في صحيحه في كتاب الفتن عند شرحه الحديث الذي ذكره الحافظ في باب نزول عيسى بن مريم (عليه السلام) من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ: " كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم"[١].

ثم ذكر حديثاً آخر يوضح معنى هذا الحديث حيث قال:" ولابن ماجه في حديث ابي أمامة الطويل في الدجال، قال:"وكلهم – اي المسلمون – ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم، إذ نزل عيسى فرجع الامام ينكص ليتقدم عيسى، فيقوم عيسى بين كتفيه، ثم يقول: فإنها لك أقيمت [٢]" قال الحافظ:"وقال أبو الحسن النخعي الآبري[٣] في مناقب الشافعي: تواترت الاخبار بأن المهدي من هذهِ الأمة وأن عيسى يصلي خلفه ، ذكر ذلك رداً للحديث الذي أخرجه ابن ماجه في سننه عن أنس، وفيه: " لا مهدي إلاّ عيسى"[٤]..."[٥] .

---

(١) صحيح البخاري، باب نزول عيسى بن مريم ج3/ ص 1273، حديث رقم (3265) .

(٢) ينظر سنن ابن ماجه، باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم، ج 2/ ص1359—1363، حديث رقم (4077).

(٣) في الأصل : الابدي، وهو خطأ. وأبو الحسن هذا هو محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم الآبدي، أبو الحسن السجستاني، الإمام الحافظ ، مصنف كتاب (مناقب الشافعي)، توفي سنة (363هـ)، ينظر تذكرة الحفاظ ج3/ص 954- 955.

(٤) أخرجه ابن حجر في فتح الباري لابن ماجه، إلا أنني لم أجده في سنن ابن ماجه ووجدته في المستدرك على الصحيحين ، كتاب الفتن والملاحم ج 4/ 488، حديث رقم 8363، قال الذهبي في ترجمته: حديثه (لا مهدي إلا عيسى بن مريم) ، وهو خبر منكر ، ميزان الاعتدال ج3/ص 535.

(٥) ينظر فتح الباري : ج 6/ ص492- 494.

والثاني: عندما ذكر الحافظ ابن حجر عن الذين يشبهون رسول الله ﷺ وذكر منهم (المهدي) عليه السلام فقال:" والمهدي الذي يخرج في آخر الزمان، جاء أنه يشبهه، ويواطئ اسمه واسم أبيه اسم النبي ﷺ واسم أبيه"(١).

هذا هو الذي قدرت على جمعه من كلام الحافظ ابن حجر في شأن المهدي، ويظهر قول أهل السنة والجماعة كما قال السفاريني(٢):" قد كثرت الأقوال في المهديّ حتى قيل: لا مهدي إلا عيسى بن مريم، والصواب الذي عليه أهل الحق أن المهدي غير عيسى ، وأنه يخرج قبل نزول عيسى (عليه السلام) . وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حدّ التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُدَّ من معتقداتهم"(٣).

وتقول المحمدية وهي احدى فرق الروافض:وهؤلاء ينتظرون محمد بن عبدالله الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب ولايصدقون بقتله ولا بموته ويزعمون أنه في جبل حاجز من ناحية نجد الى ان يؤمر بالخروج وكان المغيرة بن سعيد العجلي في صلاته في التشبيه يقول لاصحابه:ان المهدي المنتظر محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسين بن علي ولستدل على ذلك ان اسمه يوافق اسم رسول الله واسم ابيه يوافق اسم ابي رسول الله.... (٤).

ذكر القطيعية منهم هؤلاء ساقوا الإمامة من جعفر الصادق الى ابنه موسى وقطعوا بموت موسى وزعموا أن الامام بعده سبط محمد بن الحسن الذى هو سبط على بن موسى الرضا ويقال لهم الاثنا عشرية ايضا لدعواهم أن الامام المنتظر هو الثانى عشر من نسبه الى على بن أبي طالب رضي الله عنه واختلفوا في سن هذا الثانى عشر عند موت ابنه فمنهم من قال كان ابن أربع سنين ومنهم من قال

---

(١) ينظر فتح الباري : ج7 /ص98.

(٢) هو محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، الشيخ العلامة، عالم بالحديث ، والاصول، والأدب، صاحب سنة وإتباع، بعيد عن البدع محارب لأهلها توفي سنة (1188هـ)، ينظر الأعلام: ج6/ص14 .

(٣) لوامع الأنوار البهية: ج2 /ص84؛الارشاد الى صحيح الاعتقاد/ص209

(٤) الفرق بين الفرق للبغدادي: ص42-43.

كان ابن ثمانى سنين واختلفوا في حكمه في ذلك الوقت فمنهم من زعم أنه في ذلك الوقت كان إماما عالما بجميع ما يجب أن يعمله الإمام وكان مفروض الطاعة على الناس ومنهم من قال كان في ذلك الوقت إماما على معنى ان الامام لا يكون غيره وكانت الاحكام يومئذ الى العلماء من اهل مذهبه الى أوان بلوغه فلما بلغ تحققت إمامته ووجبت طاعته وهو الآن الإمام الواجب طاعته وان كان غائبا(١).

ذكر الباقرية منهم هؤلاء قوم ساقوا الإمامة من على ابن ابى طالب رضى الله عنه في اولاده الى محمد بن على المعروف بالباقر وقالوا ان عليا نص على امامة ابنه الحسن ونص الحسن على امامة اخيه الحسين ونص الحسين على امامة ابنه على بن الحسين زين العابدين ونص زين العابدين على إمامة محمد بن على المعروف بالباقر وزعموا انه هو المهدى المنتظر(٢).

وقد اختلفت الروايات في مدة ملك المهدي ففي بعضها يملك خمسا أو سبعا أو ستا – بالترديد – وفي بعضها : تسع عشرة سنة أو شهرا ، وفي بعضها : عشرين ، وفي بعضها : ثلاثين ، وفي بعضها : أربعين منها تسع سنين يهادن الروم فيها(٣).

أما أهل السنة والجماعة، الذين يثبتون خروج المهدي على ما تقضي به النصوص الصحيحة؛ في اسمه، واسم أبيه، ونسبه، وصفاته، ووقت خروجه، لا يتجاوزون ما جاء في الأحاديث في ذلك(٤).

---

(١)الفرق بين الفرق للبغدادي: ص 43؛ التبصير في الدين، الاسفراييني طاهر بن محمد،عالم الكتب بيروت ،ط1سنة 1983م/ص39؛الفصل في الملل والنحل:ج4/ص138 .

(٢)المصدر نفسه: ص 45.

(٣)لومع الانوار البهية: ج2/ص83.

(٤)الارشاد الى صحيح الاعتقاد/ص209.

وقد بين ابن حجر أن القحطاني الذي ورد في الحديث الصحيح أنه يخرج قبل قيام الساعة يسوق الناس بعصاه[1]، أنه يخرج بعد المهديّ ويسير على سيرة المهديّ[2].

---

(١) هذا جزء من حديث أبي هريرة في صحيح البخاري الذي يقول (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه)، باب ذكر قحطان، ج 3/ 1296، حديث رقم(3329).

(٢) ينظر فتح الباري : ج 6/ص 546.

الفصل الخامس

الإيمان بقيام الساعة

المبحث الأول : وقت قيام الساعة :

المبحث الثاني : النفخ في الصّور :

المبحث الثالث : الصعق :

المبحث الرابع : البعث والنشور :

المبحث الخامس : الحشر :

المبحث السادس : الميزان :

المبحث السابع : الشفاعة :

المبحث الثامن : الحوض :

المبحث التاسع : الصراط والقنطرة :

المبحث العاشر : ذبح الموت :

المبحث الحادي عشر : الإيمان بالجنة والنار :

الفصل الخامس

الإيمان بقيام الساعة

إن قيام الساعة من الأحداث العظام التي ستجري على الكون، وبه تكون نهاية الحياة، وقد جاءت الاخبار من الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم على بيان هذه الحقيقة التي يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد صدقها ولأنها جزء من إيماننا باليوم الآخر، والنصوص الواردة في ذلك أكثر من أن تحصر.

وأخبرنا الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ بأحداث قيام الساعة وأهوالها من أجل موعظة المؤمنين وتذكيرهم ليعدوا عدتهم من الايمان والعمل الصالح والمسابقة بالخيرات والقربات التي يقدمها العبد من أجل إرضاء ربه عزوجل حتى ينجيه من العذاب الذي سيكون في الآخرة.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر مسائل كثيرة وطويلة قد أشرنا إليها إشارة بسيطة فيما سبق في كتابه " فتح الباري" وبيان ذلك كالآتي:

المبحث الأول
وقت قيام الساعة

وسنبين في هذا المبحث مسألتين مهمتين تبينان العلم بوقت قيام الساعة وهما كالآتي[١]:

المطلب الأول : بيان استئثار الله تعالى بوقت قيام الساعة

قد دلّ الكتاب والسنة على إن الله تعالى استأثر بعلم وقت قيام الساعة، فلا يعلم أحد متى السّاعة إلا الله تعالى وحده.

قال سبحانه: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ {الأعراف/187}.

وكما جاء في حديث جبريل الطويل المشهور: قال: " متى الساعة ؟ قال: (ما المسؤول عنها بأعلم من السائل)[٢].

يقول ابن حجر في شرحه للحديث" قوله (بأعلم) الباء زائدة لتأكيد النفي ، وهو وإن كان مشعوراً بالتساوي في العلم، لكن المراد التساوي في العلم بأن الله تعالى إستأثر بعلمها... إلى ان قال – :"قوله :"من السائل" عدل عن قوله: لست بأعلم بها منك الى لفظ يشعر بالتعميم تعريضاً للسامعين، أي أن كل مسؤول وكل سائل فهو كذلك...،وقال نقلاً عن القرطبي – : " مقصود هذا السؤال كفّ السامعين عن السؤال عن وقت الساعة؛ لأنهم قد أكثروا السؤال عنها، كما وردت في ذلك كثير من الآيات والأحاديث ، فلما حصل الجواب بما ذكر هنا حصل اليأس من معرفتها، بخلاف الاسئلة الماضية، فإن المراد بها استخراج الاجوبة

---

(١) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني/ص 1341– 1345.

(٢) صحيح البخاري، باب سؤال جبريل النبي ﷺ ج1/ ص27، حديث رقم (50) ، ورقم (4499)، ومسلم باب بيان الايمان والاسلام ج1/ص 39 ، حديث رقم (5).

ليتعلمها السامعون ويعملوا بها، ونّبه بهذهِ الأسئلة على تفصيل ما يمكن معرفته مما لا يمكن"(١).

ولكن قد يشكل على ما سبق ما جاء في حديث أنس (رضي الله عنه) – " أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: متى الساعة قائمة؟ قال (ويلك وما أعددت لها) . قال: ما أعددت لها إلا إني أحب الله ورسوله قال (إنك مع من أحببت) . فقلنا : ونحن كذلك؟ قال (نعم).

ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً فمن غلام للمغيرة وكان من أقراني فقال (إن أخرَّ هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة)" (٢).

فإن ظاهر هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يعلم وقت قيام الساعة، ولكن ابن حجر رحمه الله قد بين – في شرح هذا الحديث – أنه قد روي بلفظ آخر يتضح به المراد ، فعن نعيم بن دجانة أنه قال دل أبو مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فقال علي: (أنت الذي تقول: لا يأتي على الناس مائة سنة وعلى الأرض عين تطرف) (٣) بدل قوله "حتى تقوم الساعة". قال: "وهذا نظير قوله ﷺ أنه قال لأصحابة – في آخر عمره– : "ارأيتكم ليلتكم هذهِ فإن رأس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على الأرض أحد"(٤).

وقال ابن حجر رحمه الله: " وقال الاسماعيلي – بعد أن قرر أن المراد بالساعة ساعة الذين كانوا حاضرين عند النبي ﷺ ، وأن المراد موتهم، وأنه أطلق

---

(١) ينظر فتح الباري : ج1/ص 121.

(٢) صحيح البخاري، باب ما جاء في قول الرجل ويلك، ج 5/ص 2282 ، حديث رقم (5815).

(٣) مسند أحمد بن حنبل، باب مسند علي بن أبي طالب، ج1/ص 93، رقم(714) ، قال شعيب الارنؤوط وطعنه: إسناده قوي، رجاله رجال الصحيح غير نعيم بن دجانة.

(٤) صحيح البخاري، باب السمر في العلم، ج1/ص 55، حديث رقم (116).

على يوم موتهم اسم الساعة(١)، لإفضائه بهم إلى أمور الآخرة. ويؤيد ذلك أن الله استأثر بعلم وقت قيام الساعة العظمى ، كما دلت عليه الآيات والاحاديث الكثيرة"(٢).

المطلب الثاني : الرد على من يشتغل بتحديد عمر الدنّيا:-

إن علم وقت قيام الساعة إذ أثبت أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه فإن الاشتغال بتحديد عمر الدّنيا بطريقة ما من الطرق يعد خوضاً فيما ليس للإنسان به علم، لأنه إذا حدد وقت قيام الساعة وهذا مستحيل لما سبق من الادلة.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن بعض العلماء قد اشتغلوا بتحديد عمر الدنيا إما إستناداً إلى أخبار لا تصح، وإما أخذاً من عدد الحروف المقطعة في أوائل السور بواسطة حساب الجمل، وذكر من هؤلاء العلماء: أبو جعفر بن جرير الطبري، والسهيلي.

أما الطبري فأنه أورد في مقدمة تاريخه بعض الروايات التي تنص على إن الدنيا جمعه من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة، وأنه قد مضى عنه كثير، وبقى مقدار نصف يوم هو خمسمائة سنة، وأشار الحافظ الى هذهِ الروايات وزيّفها (٣)، ونقل إنكار بعض العلماء على الطبري تحديده ما بقي من الدنيا (٤)، وقال: يكفي في

---

(١) نقل ابن حجر كلاماً للراغب ، ذكر فيه أن الساعة أطلقت على ثلاثة أشياء : الساعة الكبرى، وهي بعث الناس للمحاسبة. والوسطى، وهي موت أهل القرن الواحد، والصغرى، وهي موت الإنسان، فساعة كل إنسان موته.

ينظر فتح الباري : ج11/ص364.

(٢)المصدر نفسه: ج10/ص 556.

(٣) المصدر نفسه : ج11/ص 350- 351.

(٤) المصدر نفسه: ج8/ص514.

الرد عليه أنّ الأمر وقع بخلاف ما قال، قد مضت خمسمائة ثم ثلاثمائة وزيادة[١]"[٢].

وأما السهيلي فبين الحافظ ابن حجر العسقلاني أنه أورد كلام الطبري في تحديد عمر الدنيا وأيّده، ثم جوز أن يكون في عدد الحروف التي في أوائل السور مع حذف المكرر ما يوافق بعض الروايات ، ورد عليه الحافظ بأن هذه الطريقة فضلاً عن كونها غير منضبطة للاختلاف في عدّ الحروف بين المشارقة والمغاربة، فإنها طريقة باطلة، ليس لها أصل في الشريعة[٣] .

---

(١) قال الحافظ ذلك بالنسبة لعصره، إذ كان في القرن التاسع ، أما الآن فالزائد على ما حدده الطبري يقارب ألف سنة.

(٢) ينظر فتح الباري : ج8/ص515.

(٣) المصدر نفسه : ج11/ص 351.

المبحث الثاني

النفخ في الصّور

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الزمر/الآية 68].

فالنفخ في الصور هو المؤذن بقيام الساعة، وبعده يكون الصعق والبعث كما جاء في قوله تعالى الذي إستشهدنا به.

وذكر الحافظ ابن حجر مسألة النفخ في الصور وما فيها من الخلافات بين العلماء وهي كما يأتي:

المطلب الاول: تعريف الصور:

يقول ابن حجر: الصور – بضم المهملة وسكون الواو –، ثبت كذلك في القرآن المشهورة والاحاديث. وذكر عن الحسن البصري أنه قرأها بفتح الواو: جمع صورة، وتأولهُ على أن المراد النفخ في الاجساد لتعاد إليها الارواح.

وقال أبو عبيدة في (المجاز): يقال الصور – يعني بسكون الواو– : جمع صورة، كما يقال : سور المدينة جمع سورة قال ابن حجر رحمه الله: " وحكى مثله الطبري عن قوم وزاد: كالصوف، جمع صوفة، قالوا: والمراد النفخ في الصور، وهي الاجساد لتعاد فيها الارواح، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [سورة الحجر/ الآية 29]، [وسورة ص/ الآية 72].

وتعقّب قوله: جمع ، بأن هذه أسماء أجناس لا جموع. وبالغ النحاس وغيره في الرد على هذا التأويل، وقال الأزهري: إنه خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة"(١).

ويقول ابن حجر : " والثابت في الحديث أن الصور قرن ينفخ فيه، وهو واحد لا اسم جمع"(٢).

---

(١) ينظر فتح الباري : ج11/ص 367.

(٢) المصدر نفسه : ج8/ص 289.

قال ابن حجر : " وأخرج أبو داود [١]، والترمذي[٢]، وحسّنه، والنسائي [٣]، وصححه ابن حبان[٤]، والحاكم[٥]، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: (جاء اعرابي إلى النبي ﷺ ، فقال: ما الصور؟ قال : ينفخ فيه) "[٦].

قلت: وإذا صح الحديث عن رسول الله ﷺ في معنى الصور فهو مقدم على كل قول.

وذكر ابن حجر في صفة الصور رواية عزاها إلى (كتاب العظمة):

"أن الله خلق الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة..."

ولم يذكر الحافظ هذه المسألة، ولكن بين أنها من قول وهب بن منبه[٧].

المطلب الثاني: صاحب الصوّر:

يقول الحافظ ابن حجر : " اشتهر أن صاحب الصور إسرافيل (عليه السلام) ونقل فيه الحليمي الإجماع. ووقع التصريح به في حديث وهب بن منبه المذكور"[٨].

---

(١) سنن أبي داود ج5/ص 107، حديث رقم (4742).

(٢) سنن الترمذي، ج4/ص 563، حديث رقم (2430)، وقال: هذا حديث حسن.

(٣) سنن النسائي الكبرى، النسائي أبو عبد الرحمن، أحمد بن شعيب، دار الكتب العلمية، بيروت 1411- 1991، تحقيق د. عبد الغفار سليمان البندري، باب سورة الكهف، ج6/ص 392، رقم(11312).

(٤) الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان، حديث رقم (7312).

(٥) المستدرك، ج2/ص 473- 474، رقم (3631)، قال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٦) يُنظر فتح الباري : ج11/ص 368.

(٧) المصدر نفسه : ج11/ص 367.

(٨) المصدر نفسه: ج 11/ص 368.

قال: "وجاء أن الذي ينفخ في الصور غيره" وذكر الرواية، وفي إسنادها رجل فيه ضعف. قال: " فإن ثبت حمل على أنهما جميعاً ينفخان"[١].

وهناك أخبار أخرى عن الصور وصاحبه ذكرها الحافظ وحكم عليها بالضغف[٢].

المطلب الثالث: عدد النفخات في الصور:

إختلف العلماء في هذه المسألة على ثلاثة أقوال كما بينها الحافظ ابن حجر (رحمه الله) في كتابه "فتح الباري" فقيل ينفخ في الصور (نفختان)، وقيل (ثلاث نفخات)، وقيل (أربع نفخات) ، وبيانها كالآتي:

ورجح ابن حجر في كتابه "فتح الباري" أن النفخ في الصور نفختان فقط.

هما: نفخة الصعق التي يموت فيها كل من كان حياً إلا من شاء الله، ونفخة البعث التي يحيى بها من مات[٣].

ويقول ابن حجر: زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع[٤]:

الأولى: نفخة إماتة يموت فيها من بقي حياً في الأرض.

الثانية: نفخة إحياء يقوم بها كل ميت، وينشرون من القبور، ويجمعون للحساب.

الثالثة: نفخة فزع وصعق يفقون منها كالمغشي عليه لا يموت منها أحد.

الرابعة: نفخة إفاقة من ذلك الغشي.

قال الحافظ: " وهذا الذي ذكره من كون الثنتين أربعاً ليس بواضح؛ بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحدة منها بإعتبار من يستمعها، فالأولى يموت بها كلّ من كان حياً ، ويغشى على من لم يمت ممن استثنى الله ، والثانية يعيش بها من مات، ويفيق بها من غشي عليه، والله أعلم"[٥].

---

(١) ينظر فتح الباري: ج 11/ص 369.
(٢) المصدر نفسه: ج11/ص 367- 369.
(٣) المصدر نفسه: ج6/ص 446، بتصرف.
(٤) المصدر نفسه: ج6/ص 446.
(٥) المصدر نفسه: ج6/ص 446.

قال الحافظ : " رأيت في كلام ابن العربي أنها ثلاث : نفخة الفزع، كما في النمل – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [سورة النمل/الآية87]، ونفخة الصعق كما في الزمر. ونفخة البعث وهي المذكورة في الزمر أيضاً. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [سورة الزمر/الآية 68].

قال الحافظ قال القرطبي: "والصحيح أنهما نفختان فقط، لثبوت الاستثناء بقوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ﴾ [سورة الزمر/ الآية 68]، في كل من الآيتين ،ولا يلزم من مغايرة الصعق للفزع أن لا يحصلا معاً من النفخة الأولى.

ثم وجدت مستند ابن العربي في حديث الصور الطويل، فقال فيه:

(ثم ينفخ في الصور ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين) أخرجه الطبري هكذا مختصراً ، وقد ذكرت أن سنده ضعيف ومضطرب.

وقد ثبت في "صحيح مسلم" من حديث عبد الله بن عمرو أنهما نفختان، ولفظهُ(ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً... ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل، فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون)[١]"[٢].

---

(١) هو جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه (بشرح النووي) ج 16/ص 75-77، وأخرجه مسلم باب في خروج الدجال ومكثه، ج4/ص 2258، رقم (116).

(٢) يُنظر فتح الباري : ج11/ص 369.

المطلب الرابع: المدة التي تكون بين النفختين:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال (بين النفختين أربعون) قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال : أبيت. قال أربعون سنة؟ قال: أبيت. قال أربعون شهراً؟ قال : أبيت..." [١].

قال الحافظ ابن حجر "قوله : (أبيت) بموحدة اي امتنعت عن القول بتعيين ذلك؛ لأنه ليس عندي في ذلك توقيف"[٢].

وذكر ابن حجر بعض الروايات التي تدل على التعيين بأربعين سنة، وفي بعضها التعيين بأربع جمعات، وكلها روايات ضعيفة[٣].

---

(١) صحيح البخاري،باب في سورة الزمر، ج4/ص 1813، رقم (4536) وبلفظ (ما بين النفختين, رقم (4651).

(٢) ينظر فتح الباري : ج8/ 552، وينظر ج11/ص 370.

(٣) المصدر نفسه: ج8/ 552، وج11/ص 370.

المبحث الثالث

الصعق

المطلب الأول: تعريف الصعق

قال الحافظ :" المراد بالصعق: غشي يلحق من سمع صوتاً أو رأى شيئاً يفزع منه"(١).

المطلب الثاني: كم مرة يقع الصعق؟

دلت النصوص على أن الصعق يقع مرتين:

المرّة الأولى: هي صعقة النفخة، كما في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الزمر/الآية68].

المرة الثانية: هي الصعقة العامة التي تقع إذ جمعهم الله تعالى لفصل القضاء، فيصعق الخلق حينئذٍ جميعاً إلا من شاء الله.

وهذه الصعقة الثانية هي المذكورة في قوله ﷺ فيما رواه البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه): "...فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله"(٢).

هكذا قرّره الامام ابن القيم في كتاب (الروح)، ونقله الحافظ في "فتح الباري"(٣).

---

(١) يُنظر فتح الباري : ج6/ص 444.

(٢) صحيح البخاري ، باب وفاة موسى، ج3/ص 1251، حديث رقم (3227).

(٣) يُنظر فتح الباري : ج6/ص 445.

المطلب الثالث: الذين لا يصعقون عند النفخ في الصّور:

إختلف العلماء في تعيين الذين عناهم الله تعالى بالاستثناء في قوله عز وجل:

﴿ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾[سورة الزمر/ الآية68].

قال الحافظ : " وحاصل ما جاء في ذلك عشرة أقوال"[١]:

الأول: أنهم الموتى كلهم، لكونهم لا إحساس لهم، فلا يصعقون.

الثاني: أنهم الشهداء.

الثالث: الأنبياء.

الرابع: جبريل، وميكائيل ، وإسرافيل، وملك الموت.

الخامس: ملك الموت.

السادس: الملائكة الأربعة المذكورون وحملة العرش.

السابع: موسى وحده.

الثامن: الولدان الذين في الجنة، والحور العين.

التاسع: هم وخزائن الجنة والنار وما فيها من الحيات والعقارب.

العاشر: الملائكة كلهم.

ونقل ابن حجر عن البيهقي أنه قال: " استضعف بعض أهل النظر أكثر هذه الأقوال؛ لأن الاستثناء وقع من سكان السموات والأرض، وهؤلاء ليسوا من سكانها؛ لأن العرش فوق السموات فحملته ليسوا من سكانها، وجبريل وميكائيل من الصافين حول العرش؛ ولأن الجنة فوق ، السموات فحملته ليسوا من سكانها، وجبريل وميكائيل من الصافين حول العرش؛ ولأن الجنة فوق السموات ، والجنة والنار عالمان بانفرادهما خلقتا للبقاء"[٢].

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين ، فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم ، ولا يمكن الجزم بكلّ من استثناه الله، فإن الله أطلق في كتابه.

---

(١) ينظرفتح الباري: ج11/ص 370- 371.

(٢)المصدر نفسه: ج11/ص 370- 371.

وتوقف النبي ﷺ في موسى، وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يخبر بكل من استثنى الله، لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة، وأعيان الأنبياء، وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهذا العلم لا يُنال إلا بالخبر، والله أعلم"[١].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية: ج4/ص 261، بتصرف.

المبحث الرابع

البعث والنشور

المطلب الأول : تعريف البعث والنشور:

البعث والنشور لفظان مترادفان:

قال الحافظ :" أصل البعث إثارة الشيء عن جفاء، وتحريكه عن سكون.

والمراد به هناك : إحياء الاموات وخروجهم من قبورهم ونحوها، إلى حكم يوم القيامة"[١].

قال: " وهو عبارة عن مآل الخلق في الدار الآخرة بالنسبة إلى الجزاء على الاعمال"[٢].

وأما النشور، فقال:" اي البعث يوم القيامة، والاحياء بعد الاماتة، يقال:نشر الله الموتى، فنشروا، أي أحياهم فحيوا"[٣].

المطلب الثاني : أدلة صدق البعث والنشور

قد دل على صدق البعث (النقل والعقل) ، أما النقل ففي القرآن والسنة ونصوص كثيرة تثبت البعث بعد الموت، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [سورة الحج / الآيتان 6-7] . وقوله عزوجل ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [سورة التغابن/ الآية 7]، وآيات كثيرة أخرى.

---

(١) ينظر فتح الباري : ج11/ص 393.

(٢) المصدر نفسه: ج3/ص4.

(٣) المصدر نفسه: ج11/ص114.

وكما جاء في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس إذ أتاه رجل يمشي فقال يا رسول ما الايمان؟ قال: " الايمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر..."(١).

قال الحافظ :" الحكمة في إعادة لفظ (تؤمن) عند ذكر البعث الإشارة إلى انه نوع آخر مما يؤمن به؛ لأن البعث سيوجد بعد، وما ذكر قبله موجود الآن، وللتنويه بذكره لكثرة من كان ينكره من الكفار، ولهذا أكثر تكراره في القرآن"(٢).

وأما العقل ، فمنه ما أشار إليه الحافظ في شرح حديث ابن مسعود (رضي الله عنه) في صفة خلق الجنين، وأنه يجمع خلقه في بطن أمه نطفة ، ثم علقة ثم مضغة... الخ(٣). قال:" وفيه التنبيه على صدق البعث بعد الموت؛ لأن من قدر على خلق الشخص من ماء مهين، ثم نقله إلى العلقة ، ثم إلى المضغة، ثم ينفخ الروح فيه قادر على نفخ الروح بعد أن يصير تراباً، ويجمع أجزاءه بعد أن يفرقها"(٤).

المطلب الثالث : صفة البعث والنشور

جاء بيان صفة البعث والنشور عند ابن حجر العسقلاني في كتابه واحاديث البخاري في صحيحه، ومنها الحديث المرفوع الذي أخرجه مسلم في ذكر الدجال والنفخ في الصور، وفيه: " ثم يرسل الله مطراً كأنه الطل فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون"(٥).

وجاء في حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) في بيان المدة بين النفختين: "ويبلى كل شيء من الانسان إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق"(٦).

---

(١) صحيح البخاري،باب سورة (الم غلبت الروم)، ج4/ص 1793، حديث رقم (4499).
(٢) ينظر فتح الباري : ج1/ص118.
(٣) المصدر نفسه: ج11/ص477.
(٤) المصدر نفسه: ج11/ص 488.
(٥) أخرجه مسلم، باب خروج الدجال ومكثه، ج4/ص 2258، حديث رقم (116).
(٦) أخرجه البخاري، باب سورة الزمر، ج4/ص 1813، حديث رقم (4536) .

قال الحافظ في بيان عجب الذنب: "وهو عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع، وفي حديث أبي سعيد الخدري عن ابن أبي الدنيا، وأبي داود ، والحاكم مرفوعاً :" أنه مثل حبة خردل منه ينشؤون"(١) قال الذهبي (حديث صحيح).

يقول الحافظ : قال ابن الجوزي: قال: ابن عقيل: لله في هذا سر لا يعلمه الا الله؛ لأن من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج الى شيء يبني عليه ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على احياء كل إنسان بجوهره، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص، ليعلم أنه إنما أراد بذلك إعادة الارواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها، ولولا إبقاء شيء منها لجوزت الملائكة أن الإعادة إلى أمثال الاجساد لا إلى نفس الاجساد"(٢).

قال: "وقوله في الحديث:" ويبلي كل شيء من الانسان" يحتمل أن يريد به يفنى ، أي تعدم أجزاؤه بالكلية. ويحتمل أن يراد به يستحيل ، فتتزول صورته المعهودة، فيصير على صفة جسم التراب، ثم يعاد إذا ركب إلى ما عهد " .

قال ابن حجر : " قال العلماء: هذا عام يخص منه الانبياء، لأن الأرض لا تأكل أجسادهم، وألحق بن عبد البر بهم الشهداء. والقرطبي المؤذن المحتسب . قال عياض: فـتأويل الخبر، وهو كل ابن آدم يأكله التراب، أي كل ابن آدم مما يأكله التراب، وإن كان التراب لا يأكل أجساداً كثيرة كالانبياء"(٣).

---

(١)أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب الاهوال، ج4/ 651، حديث رقم(8801).

(٢) ينظر فتح الباري : ج8/ص552 .

(٣)المصدر نفسه : ج8/ص 552- 553.

المبحث الخامس

الحشر

المطلب الأول : معنى الحشر وأنواعه:-

يقول ابن حجر نقلاً عن القرطبي: " الحشر : الجمع، وهو أربعة: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة، فالذي في الدنيا[١]:-

- أحدهما: المذكور في سورة الحشر، في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ﴾ [سورة الحشر/ الآية 2].

- الثاني: الحشر المذكور في أشراط الساعة، وفي حديث ابن عمر عند أحمد والترمذي قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تخرج نار قبل يوم القيامة من حضرموت فتسوق الناس" الحديث، وفيه " فماذا تأمرنا؟ قال عليكم بالشام" [٢]، وأشار الحافظ إلى أن الحديث روي بالفاظ مختلفة، وذكر وجه الجمع بينهما.

- قال: "والحشر الثالث: حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعاً إلى الموقف، قال الله عزوجل: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [سورة الكهف/ الآية 47].

- والرابع: حشرهم إلى الجنة أو النار، قال الحافظ:" الأول ليس حشراً مستقلاً، فإن المراد حشر كلّ موجود يومئذ، والأول إنما وقع لفرقة مخصوصة"[٣].

المسألة الثانية: صفة حشر العباد إلى الموقف:-

أخرجه البخاري في صفة الحشر ثلاثة أحاديث:

---

(١) ينظر فتح الباري : ج11/ص 379- 382.

(٢) أخرجه أحمد في (المسند) ج2/ 8، حديث رقم (4536) ؛ والترمذي ج4/ 497، رقم (2217)، قال شعيب الارنؤوط عنه: إسناده صحيح على شرط الشخين.

(٣) ينظر فتح الباري : ج11/ ص379.

أحدها:- حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) : " إنكم محشورون حفاة عراة غرلاً ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [سورة الانبياء/ الآية 104] ، وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم.. (١).

والثاني: حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) : " يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين، وراهبين، واثنين على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتحشر بقيتهم النار....."الحديث (٢).

والثالث: حديث أنس (رضي الله عنه) أن رجلاً قال، يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: " أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ " (٣).

أما حديث ابن عباس فاتفق العلماء على أنه وارد في الحشر يوم القايمة، وروي مثله في حديث عائشة (رضي الله عنها) أخرجه البخاري أيضاً (٤).

وأما حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) فوقع فيه خلاف بين العلماء، حيث حمله بعضهم على الحشر في الدنيا قبل المبعث، وحمله البعض على الحشر في الآخرة.

وقد أطال الحافظ في ذكر أقوالهم في ذلك، ورجح في الأخير أن ذلك إنما يكون قبل المبعث ، والله أعلم(٥).

---

(١) صحيح البخاري ، باب كيف الحشر، ج5/ص 2391، حديث رقم (6161).

(٢) صحيح البخاري ، باب كيف الحشر، ج5/ص 2390، حديث رقم (6175).

(٣) صحيح البخاري، باب سورة الفرقان، ج4/ص 1784، حديث رقم (4482) .

(٤) ينظر فتح الباري : ج11/ص 377- 378، رقم (6527).

(٥) المصدر نفسه: ج11/ص 379- 382.

وذكر الحافظ أنه وقع في حديث أبي سعيد عن أبي داود، وصححه ابن حبان قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها"(١).

وهذا في الظاهر يتعارض مع حديث ابن عباس وعائشة(رضي الله عنهما) الذين تقدم ذكرهما، ونقل الحافظ في الجمع بينهما أربعة أقوال(٢):-

أحدها: أن بعضهم يحشر عارياً وبعضهم كاسياً.

الثاني: أنهم يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر منهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون عراة ، ثم يكون أول من يكسى إبراهيم.

الثالث: حمل حديث أبي سعيد على الشهداء، وحديث ابن عباس وعائشة على من سواهم.

الرابع: أن المراد بالثياب العمل، أي يبعث على عمله الذي عمله في الدنيا.

ويقول ابن حجر : إن ابن عبد البر نقل حمل حديث أبي سعيد على الشهداء عن أكثر العلماء، وهذا الذي مال إليه الحفاظ(٣).

وأما حديث أنس فهو في صفة حشر الكفار يوم القيامة، وأشار الحافظ في موضع آخر إلى حديث نحو – عند البزار – عن أبي هريرة (رضي الله عنه) : " يحشر الناس على ثلاثة أصناف: صنف على الدواب، وصنف على الاقدام، وصنف على وجوههم"(٤).

---

(١) سنن أبي داود، باب ما يستحب من تطهير الميت عند الموت ج 2/ص 207، رقم (3114) ، قال الالباني صحيح؛ وابن حبان بلفظ (الميت يبعث في ثيابه التي قبض فيها) ؛ باب إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم، ج 16/ص 307، رقم (7316) قال شعيب الارنؤوط: إسناده على شرط مسلم.

(٢) ينظر فتح الباري : ج11/ ص383.

(٣) المصدر نفسه: ج11/ص 379- 383.

(٤) لم أجده عند البزار، والحديث أخرجه إسحاق بن راهوية بلفظ (يحشر الناس على ثلاثة أثلاث ثلث على الدواب وثلث ينسلون على أقدامهم سلاً وثلث على وجوههم، باب ما يروى عن خلاس بن عمرو ج1/ص 180، حديث رقم (128) ، وأحمد في مسنده بنحوه ج2/ص 363، رقم (8740) قال شعيب الارنؤوط عنه: حسن لغيره .

يقول الحافظ: " ويؤخذ من هذهِ الاحاديث أن المقربين يحشرون ركباناً، ومن دونهم من المسلمين على أقدامهم، وأما الكفار فيحشرون على وجوههم"(١).

المطلب الثاني : صفة أرض المحشر:

ذكر الحافظ ابن حجر في حديث سهل بن سعد (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي" . قال سهل – أو غيره – : ليس فيها معلم لأحد(٢).

يقول الحافظ (رحمه الله) في شرحه للحديث عن أبي محمد بن أبي جمرة إنه قال: " فيه دليل على عظيم القدرة، والإعلام بجزئيات يوم القيامة ليكون السامع على بصيرة فيخلص نفسه من ذلك الهول؛ لأن في معرفة جزئيات الشيء قبل وقوعه رياضة النفس وحملها على ما فيه خلاصها، بخلاف مجيء الأمر بغتة.

وفيه إشارة إلى أن أرض الموقف أكبر من هذه الأرض الموجودة جداً، والحكمة في الصفة المذكورة أن ذلك اليوم يوم عدل وظهور حق، فاقتضت الحكمة أن يكون المحل الذي يقع فيه ذلك طاهراً عن عمل المعصية والظلم، وليكون تجلّيه سبحانه على عباده المؤمنين على أرض تليق بعظمته ولأن الحكم فيه إنما يكون لله وحده، فناسب أن يكون المحل خالصاً له وحده" (٣).

وقال الحافظ: " فهي إشارة إلى أن أرض الدنيا اضمحلت وأعدمت ، فإن أرض الموقف تجددت، وقد وقع من السلف في ذلك خلاف في المراد بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [سورة إبراهيم/ الآية 48]، هل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها، أو تغيير صفاتها فقط، وحديث الباب يؤيّد الأوّل"(٤).

---

(١) ينظر فتح الباري : ج8/ص 492.

(٢) صحيح البخاري، باب يقب الله الارض يوم القيامة، ج5/ص 2390، رقم (6156) .

(٣) ينظر فتح الباري : ج11/ص 375.

(٤) المصدر نفسه: ج11/ص 375.

المبحث السادس

الميزان

المطلب الأول : مذهب أهل السنة في الميزان ، والرد على من خالف في ذلك:

نقل الحافظ عن أبي إسحاق الزجاج قال: " أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن اعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ، ويميل بالاعمال، وانكرت المعتزلة الميزان، وقال : هو عبارة عن العدل ، فخالفوا – بذلك – (الكتاب والسنة) ؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة، ليكونوا على أنفسهم شاهدين"(١).

ونقل الحافظ ابن حجرعن ابن فورك(٢) قال: " أنكر المعتزلة الميزان بناء منهم على أن الاعراض يستحيل وزنها، إذ لا تقوم بأنفسها. قال: وقد روى بعض المتكلمين عن ابن عباس: أن الله تعالى يقلب الاعراض أجساماً فيزنها"(٣).

قال ابو الحسن الاشعري:((اختلفوا في الميزان فقال اهل الحق:له لسان وكفتان توزن في احدى كفتيه الحسنات وفي الاخرى السيئات،فمن رجحت حسناته دخل الجنة ،ومن رجحت سيئاته دخل النار،ومن تساوت حسناته وسيئاته تضل الله عليه فأدخل الجنة ،وقال بعض المبتدعة بإبطال الميزان وقالواموازين وليس بمعنى كفات وألسن ولكنها المجازاة يجازيهم بأعمالهم وزناً بوزن،وانكروا الميزان وقالوايستحيل وزن الاعراض لأن الاعراض لاثقل ولاخفة وقال بعضهم بإثبات الميزان واحالوا ان توزن الاعراض في كفتين ولكن اذا كانت حسنات الانسان

---

(١) ينظر فتح الباري : ج13/ص 538.

(٢) هو الامام العلامة الصالح شيخ المتكلمين أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني حدث عنه البيهقي والقشيري وأبو بكر بن خلف، قال عنه (ابن خلكان): أبو بكر الاصولي الأديب النحوي الواعظ بلغت مصنفاته قريباً من مائة مصنف، ينظر سير أعلام النبلاء: ج17 /ص214 – 215.

(٣) ينظر فتح الباري : ج13/ص 538.

أعظم من سيئاته رجحت احدى الكفتين على الاخرى فكان رجحانها دليلاً على ان الرجل من اهل الجنة،وكذلك اذا رجحت الكفة الاخرى السوداء كان رجحانها دليلاً على ان الرجل من اهل النار)) [١]

يقول ابن حجر : " وقد ذهب بعض السلف إلى أن الميزان بمعنى العدل والقضاء،فأسند الطبري عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [سورة الأنبياء/ الآية 47] ، قال: إنما هو مثل كما يجوزون الأعمال كذلك يجوز الحطّ. ومن طريق ليث بن أبي سليم عن مجاهد قال : الموازين : العدل"[٢].

قال: " وحكى حنبل بن إسحاق[٣] في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال رداً على من أنكر الميزان – ما معناه – : قال الله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الانبياء/ الآية 47]، وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة، فمن ردَّ على النبي (صلى الله عليه ولسم) فقد ردّ على الله عزوجل"[٤].

والحاصل ان العلماء اختلفوا في الميزان على قولين: [٥]

الاول :ان الله تعالى ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة توزن به أعمال العباد خيرها وشرها وهو قول الجمهور.

الثاني:الميزان هو العدل والقضاء مابه يكون الجزاء على الاعمال،وهذا قول مجاهد والضحاك والاعمش.وذهب المعتزلة الى ان الميزان هو العدل ؛لأن الاعمال عندهم هي اعراض،والاعراض يستحيل وزنها إذ لاتقوم بنفسها.

---

(١) مقالات الاسلاميين: ص 271.

(٢) يُنظر فتح الباري: ج13/ص 538- 539.

(٣) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال الشيباني، أبو علي ، ابن عم الامام أحمد وتلميذه ، الحافظ الثقة، صنف تاريخاً حسناً، وغير ذلك، توفي (273هـ) ، رحمه الله ,تذكرة الحفاظ: ج2/ص 600- 601.

(٤) يُنظر فتح الباري : ج13 /ص538 .

(٥)رسالة في التوحيدوالفرق العاصرة،لكمال الدين الطائي،مطبعة سلمان الاعظمي،سنة هـ 1392 هـ -1972م،بغداد/ص114 .

وقال الاشاعرة: الميزان حق واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٤٧ ؛وبقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ القارعة: ٦ - ٨[١]

المطلب الثاني: هل الميزان واحد أم متعدد

يقول ابن حجر في قوله تعالى : " ونضع الموازين القسط":

" واختلف في ذكره هنا بلفظ الجمع، هل المراد أن لكل شخص ميزاناً، أو لكل عمل ميزان ، فيكون الجمع حقيقة، أو ليس هناك إلا ميزان واحد، والجمع بأعتبار تعدد الاعمال، أو الأشخاص؟ ويدل على تعدد الأعمال قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [سورة القارعة / الآية 8]، ويحتمل أن يكون الجمع للتفخيم، كما في قوله تعالى:﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [سورة الشعراء/ الآية 10]، ومع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد.

والذي يترجّح أنه ميزان واحد، ولا يشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأن أحوال القيامة لا تكيّف بأحوال الدنيا"[٢].

المطلب الثالث: الخلاف فيما يوزن في الميزان

أشار ابن حجر وذكر الخلاف فيما يوزن في الميزان يوم القيامة. فذكر أن بعضهم قال:" إنما توزن صحائف الاعمال، وأما الأعمال فإنها أعراض فلا توصف بثقل ولا خفة" .

---

(١) ينظر الاقتصاد في الاعتقاد/ص137 ؛قواعد العقائد/ص222 .

(٢) فتح الباري: ج13/ص 537- 538.

قال ابن حجر" والصحيح أن الاعمال هي التي توزن ، وقد أخرج أبو داود والترمذي، وصححه ابن حبان ، عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: " ما يوضع في الميزان يوم القيامة أثقل من خلق حسن"[١].

وفي حديث جابر رفعه: "توضع الموازين يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال حبة دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال حبة دخل النار..." [٢]..."[٣].

قلت: وهناك قول ثالث لم يذكره الحافظ (ابن حجر) : وهو أنَّ الذي يوزن هو العامل نفسه، بدليل حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال:" إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال إقرعوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [سورة الكهف/ الآية 105]"[٤].

وقد رجح بعض العلماء أن العامل وعمله وصحائف أعماله كل ذلك يوزن في الميزان، لكون النصوص قد وردت بكل ذلك، ولا منافاة بينها فيكون هو الراجح[٥]، والله تعالى أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود ج5/ص 149 – 150، رقم (4799)؛ والترمذي ج4/ص 319، رقم (2003).

(٢) أخرجه ابو داود في نفس الحديث السابق ج5/ص 149 – 150، رقم (47991).

(٣) ينظر فتح الباري : ج13/ص 539؛ وينظر ج73/1ص.

(٤) صحيح البخاري، باب سورة آل عمران، ج4/ص 1653، رقم (4452).

(٥) هذا ما رجحه الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في كتابه معارج القبول :ج 2/ ص848- 849، وهو كما يظهر أقرب إلى دلالة النصوص الواردة في هذا الأمر، والله أعلم.

المبحث السابع

الشفاعة

المطلب الأول : أدلة إثبات الشفاعة:

الشفاعة لغة واصطلاحاً:

الشّفاعة – الطّلب لغيرك شفع له إليه يشفَع شَفاعة واستشْفع به عليه وتشفّع له إليه فشفّعه واستشفعته – طلبت منه الشفاعة وشفّعه[١]

الشفاعة لغة : الوسيلة والطلب، وعرفا : سؤال الخير للغير، وقيل : هي من الشفع الذي هو ضد الوتر، فكأن الشافع ضم سؤاله إلى سؤال المشفوع له[٢] .

الشفاعة اصطلاحاً: هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجنايةفي حقه[٣].

وقيل الشفاعة:ان ينفع الغير غيره ،او يدفع عنه مضرة،ولابد من شافع ومشفوع له،ومشفوع فيه، ومشفوع اليه،ولابد ان يكون الشفيع مكرماً عند المشفوع اليه،والا لم يكن ايصاله تلك المنفعة الى الغير،ودفعه ذلك الضرربشفاعته[٤].

قد دل على وقوع الشفاعة يوم القيامة كتاب الله تعالى ولكن بشرطين:

أحدها: أن تكون بعد إذن الله تعالى للشافع.

الثاني: أن يرضى عن المشفوع له.

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [سورة البقرة/ الآية 255]

وقال عز وجل ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ "[سورة

---

(١) ينظر المخصص لابن سيده ابو الحسن علي بن اسماعيل النحوي ،دار احياء التراث العربي،ط1،تحقيق خليل ابراهيم جفال:ج3/ ص 416.

(٢) ينظر الارشاد الى صحيح الاعتقاد : ص 275.

(٣) التعريفات ،الجرجاني : ص 168.

(٤) شرح الاصول الخمسة، القاضي عبد الجبار/688.

الأنبياء/ الآية 28] ، وقال عزوجل: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة طه / الآية 109].

ودلت السنة على إثبات الشفاعة يوم القيامة وذكر ابن حجر الأحاديث الواردة في إثبات وذكرالشفاعة التي وصلت وبلغت حد التواتر[١].

ويقول أيضاً: " قد دلت الأدلة القطعية عند اهل السنة على أنَّ طائفة من عصاة المؤمنين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة"[٢].

المطلب الثاني : ذكر من أنكر الشفاعة والرد عليهم

يقول ابن حجر " أن الخوارج الطائفة المشهورة المبتدعة كانوا ينكرون الشفاعة ، وكان الصحابة ينكرون إنكارهم، ويحدثون بما سمعوا من النبي ﷺ في ذلك، وقال: " أخرج سعيد بن منصور بسند صحيح عن أنس قال: " من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها" . ونقل عن ابن بطال قوله : " أنكرت المعتزلة والخوارج الشفاعة في إخراج من أُدخل النار من المذنبين وتمسكوا بقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة المدثر/ الآية 48] ، وغير ذلك من الآيات، وأجاب أهل السنة بأنها في الكُفّار"[٣].

ونقل أيضاً أن بعض المعتزلة سلموا وقوع الشفاعة خاصة بصاحب الكبيرة الذي تاب منها، وبصاحب الصغيرة الذي مات مصراً عليها، وأشار إلى الرد على

(١) يُنظر فتح الباري : ج11/ص 426.

(٢) المصدر نفسه: ج1/ص 226.

(٣) يُنظرفتح الباري: ج11/ص 426 – 427 .

ذلك بحديث أنس بن مالك عن النبي ﷺ: " شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" [١]، قال: ولم يخص بذلك من تاب"[٢].

يقول عبد الملك السعدي:مذهب المعتزلة والخوارج قالوا:

لاتوجد شفاعة في العفو عن المعاصي:لأن الكبائر لاتفيد فيها الشفاعة بل لابد من توبة فاعلها ، والصغائر يجب على الله العفو عنها ان اجتنبت الكبائر فلا موجب للشفاعة [٣] واما القاضي عبد الجبارفيقول:قد اتفقت الزيدية مع المعتزلة حول انكار الشفاعة لأصحاب الكبائر، ولكن كون دافع المعتزلة لإنكار الشفاعة دافعاً عقلياً،جعل موقفهم من الشفاعة متسقاً مع بعض أصولهم العقائدية[٤].

واما موقف اهل السنة والجماعة فيقول الاشعري وهو يرد على منكري الشفاعة (ان هؤلاء المنكرين يقال لهم ان المسلمين قد اجمعوا على ان لرسول اللهﷺ شفاعة ، فلمن اذن هذه الشفاعة أهي للمذنبين المرتكبين الكبائر ام للمؤمنين المخلصين ،فإن قالوا للمذنبين اهل الكبائر وافقوا، وان قالوا للمؤمنين المبشرين بالجنة الموعودين بها قيل لهم : فاذا كانوا موعودين بالجنة وبها مبشرين والله تعالى لايخلف وعده،فما معنى الشفاعة لقوم لايجوز عند هؤلاء المنكرين ان لايدخلهم الله جناته،وما معنى قول هؤلاء الخصوم كما يقول ابو الحسن الاشعري قد استحقوها على الله واستوجبوها عليه سبحانه) [٥].

---

(١) صحيح ابن حبان، باب الحوض والشفاعة ج14/ ص386، حديث رقم (6467)، ورقم (6468) إسناده على شرط مسلم؛ والمستدرك ج 1/ ص139 رقم (228)؛ وأبو داود ج2/ ص649 رقم (4739) وقال عنه الالباني (حديث صحيح) ؛ وسنن البيهقي الكبرى ج8/ ص17 رقم (15616).

(٢) يُنظر فتح الباري : ج11/ص 427- 428.

(٣) يُنظر شرح النسفية عبد الملك عبد الرحمن السعدي،العراق ، الرمادي،ط159/1.

(٤) يُنظر شرح الاصول الخمسة للقاضي عبد الجبار/690-691.

(٥) الابانة في اصول الديانة، ابو الحسن الاشعري /241-242.

المطلب الثالث : أنواع الشفاعات لنبينا ﷺ يوم القيامة

ذكر ابن حجر رحمه الله أنواع شفاعات النبي (صلى الله عليه سلم)، فبلغت ثمانية أنواع.

فيقول: " فإنه ﷺ يشفع في الخلق لاراحتهم في هول الموقف، ويشفع في بعض الكفار بتخفيف العذاب، كما صح في حق أبي طالب، ويشفع في بعض المؤمنين بالخروج من النار بعد أن دخلوها، وفي بعضهم بعدم دخولها بعد أن استوجبوا دخولها ، وفي بعضهم بدخول الجنة بغير حساب، وفي بعضهم رفع الدرجات فيها"(١).

وقال: " ظهر لي بالتتبع شفاعة أخرى، وهي الشفاعة فيمن استوت حسناته وسيئاته أن يدخل الجنة ، وشفاعة أخرى، وهي شفاعته فيمن قال: لا إله إلا الله ، ولم يعمل خيراً قط"(٢).

فهذه ثمانية أنواع من الشفاعة ذكرها الحافظ ابن حجر في كتابه "فتح الباري" وأشار إلى أدلتها من السنة(٣).

المطلب الرابع : الشفاعة المختصة بالنبي ﷺ

أخرج البخاري من حديث جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي – ومنها – وأعطيت الشفاعة"(٤).

هذا الحديث يدل على أنَّ النبي ﷺ اختص بنوع من الشفاعة الخاصة به أو عدة أنواع لا يشاركه فيها غيره من الشفعاء يوم القيامة.

---

(١)فتح الباري: ج1 / 194 وينظر أيضاً (ج11/ص 428).

(٢)المصدر نفسه: ج11/ص428.

(٣) فتح الباري: ج11/ص 428.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التيمم، ج1/ 128، حديث رقم (328)؛ ومسلم ، كتاب المساجد رقم (3) .

وقد أشار ابن حجر رحمه الله الى عدة اقوال في بيان الشفاعة المختصة بالنبي ﷺ نقلاً عن ابن دقيق العيد انه قال: " الأقرب أن اللام فيها للعهد، والمراد الشفاعة العظمى في إراحة الناس من هول الموقف، ولا خلاف في وقوعها" وقال ابن حجر: وكذا جزم النووي وغيره، وقال: " وقيل: الشفاعة التي اختص بها أنه لا يرد فيما سأل – وقيل: الشفاعة: لخروج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان؛ لأن شفاعة غيره فيمن في قلبه أكثر من ذلك، قاله عياض. والذي يظهر لي أن هذه مرادة من الأولى..." (١).

وقال : " يقول البيهقي في (البعث) : يحتمل أن الشفاعة التي يختص بها أنه يشفع لأهل الصغائر والكبائر، وغيره إنما يشفع لأهل الصغائر دون الكبائر. ونقل عن عياض:

أن الشفاعة المختصة به شفاعة لا ترد، وقد وقع في حديث ابن عباس أ ن رسول الله ﷺ يقول: "... وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي فهي لمن لم يشرك بالله شيئاً"(٢) وفي حديث عمرو بن شعيب(٣): " فهي لكم ولمن شهد أن لا إله إلا الله"(٤).

فالظاهر أن المراد بالشفاعة المختصة في هذا الحديث إخراج من ليس له عمل صالح إلا التوحيد، وهومختص أيضاً بالشفاعة الأولى، لكن جاء التنويه بذكر هذه؛ لأنها غاية المطلوب من تلك ، لإقتضائها الراحة المستمرة، والله اعلم"(٥).

أما الخلاصة التي توصل إليها ابن حجر في مسألة الشفاعة التي اختص بها النبي ﷺ شفاعتان هما:

---

(١) يُنظر فتح الباري : ج1/ص 438.

(٢) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد، باب عموم بعثته ﷺ ، ج8/ص 463، رقم الحديث (13945).

(٣) هو عمرو بن شعي بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، صدوق، توفي سنة (118هـ)، انظر تقريب التهذيب ج2/ ص72.

(٤) رواه الهيثمي ي مجمع الزوائد، باب ما جاء في الشفاعة ، ج10/ص 667 ، حديث رقم (18486)

(٥) يُنظر فتح الباري : ج1/ص 438- 439.

1. الشفاعة العظمى في إراحة الناس من هول الموقف.
2. والشفاعة في إخراج من ليس له عمل صالح إلا التوحيد من النار.

قلت : ومن الشفاعات المختصة بالنبي ﷺ على ما ذكره بعض أهل العلم أيضاً هو شفاعته في إستفتاح باب الجنة ، وشفاعته لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب، والله تعالى أعلم"(١).

المطلب الخامس : المقام المحمود

وعد الله عزوجل نبينا محمداً ﷺ أن يبعثه المقام المحمود يوم القيامة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾[سورة الاسراء/ الآية 79].

وذكر ابن حجر في كتابه" فتح الباري" اختلاف العلماء في المراد بهذا المقام المحمود فذكر في ذلك قرابة سبعة أقوال ورجح أن المقام المحمود : الشفاعة"(٢).

وقال ابن حجر: " جاءت الأحاديث في اثبات الشفاعة المحمدية متواترة، ودل عليها قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩ ﴾ [سورة الاسراء/ الآية 79]، والجمهور على أن المراد به الشفاعة، وبالغ الواحدي (٣) فنقل فيه الاجماع.. وقال الطبري: قال أكثر أهل التأويل: المقام المحمود هو الذي يقومه

---

(١) ينظر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الاصول للشيخ الحكمي حافظ بن أحمد الحكمي، تعليق وتخريج عمر بن محمود أبو عمر، ط1، سنة 1410هـ، دار ابن القيم الدمام، السعودية، ج2/ص 886 و 894؛ بشرح العقيدة الواسطية للهراس محمد خليل، ضبط وتخريج علوي السقاف، ط1، سنة 1411هـ دار الهجرة، الرياض/ ص217.

(٢) ينظر فتح الباري : ج11/ص 427، وانظر أيضاً: ج2/ص 95 .

(٣) هو علي بن أحمد بن محمد بن علي الامام أبو الحسن الواحدي النيسابوري توفي بنيسابور (468هـ)، صنف كتاب أسباب النزول/ ينظر طبقات المفسرين للداودي، تحقيق علي محمد عمر،ط1، 1392هـ، مكتبة وهبة بالقاهرة ج1/ص 387- 390.

النبي ﷺ ليريحهم من كرب الموقف، ثم أخرج عدة أحاديث في بعضها التصريح بذلك، وفي بعضها مطلق الشفاعة(١).

وأشار ابن حجر إلى تلك الأحاديث في كتابه، ولعل أكثرها تصريحاً في هذا المقام حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) في قوله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [سورة الاسراء / الآية 79] ، قال (سُئل عنها النبي (صلى الله عليه وسلم) فقال : هي الشفاعة)(٢)" (٣).

وبهذا يكون المراد بالمقام المحمود هو الشفاعة، كما دلت عليه هذه الاحاديث ، وكما ذهب إليه جمهور أهل العلم.

وذكر الحافظ كذلك الاختلاف في فاعل الحمد من قوله (مقاماً محموداً) قال: (فالأكثر على إن المراد به أهل الموقف، وقيل النبي ﷺ ، أي أنه هو يحمد عاقبة ذلك المقام بتهجده في الليل، والأول أرجح، لما ثبت من حديث ابن عمر الماضي في الزكاة بلفظ (مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم) (٤)، ويجوز أن يحمل على أعم من ذلك، أي مقاماً يحمده القائم فيه وكلّ من عرفه، وهو مطلق في كلّ ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات"(٥).

---

(١) ينظر فتح الباري : ج1/ص 426.

(٢) سنن الترمذي، باب سورة بني إسرائيل، ج5/ص 303، حديث رقم (3137).

(٣) ينظر فتح الباري : ج11/ص 426- 427.

(٤) صحيح البخاري، باب من سأل الناس تكثراً، ج2/ص 536، حديث رقم (1405) .

(٥) ينظر فتح الباري : ج11/ص 427.

المبحث الثامن

الحوض

إن ذكر الحوض وما يتعلق به من مسائل قد ذكرها الحافظ في كتابه " فتح الباري" في شرحه (باب في الحوض) من كتاب الرقاق، حيث بين المراد بالحوض ومعناه فقال:" قوله : (باب في الحوض) أي حوض النبي ﷺ ، وجمع الحوض حياض، وأحواض ، وهو مجمع الماء"(١) .

المطلب الأول: وجوب الايمان بالحوض مع الدليل:

ذكر الحافظ ابن حجر نقلاً عن القرطبي في كتابه المفهم، وعن القاضي عياض:

"ومما يجب على كل مكلف أن يعلمه، ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبيه محمداً ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، وقال: وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف، وأنكره الخوارج ، وبعض المعتزلة"(٢).

قال القرطبي : " قال علماؤنا : كل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به؛ فهو من المطرودين عن الحوض، وأشدهم طردا من خالف جماعة المسلمين؛ كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم؛ فهؤلاء كلهم مبدلون، وكذا الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وإذلال أهله، والمعلنون بكبائر الذنوب، المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والبدع، ثم الطرد قد يكون في حال، ثم يقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد . . . " (٣).

---

(١) ينظر فتح الباري : ج11/ص 466.

(٢) المصدر نفسه: ج11/ص 467.

(٣) تفسير القرطبي: ج4/ص 168.

وقد خالفت المعتزلة؛ فلم تقل بإثبات الحوض مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة؛ فكل من خالف في إثباته؛ فهو مبتدع وأحرى أن يطرد عنه[١] .

المطلب الثاني: الاحاديث الواردة في الحوض:

بين الحافظ في شرحه لهذا الباب الأحاديث الواردة في إثبات الحوض لنبينا ﷺ والكلام على الطرق والروايات المختلفة.

فنقل الحافظ عن القرطبي أن أحاديث الحوض قد رواها عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين ، وفي غيرها بقية ذلك مما صح نقله، واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم ،ومن بعدهم أضعاف أضعافهم، وهلم جراً[٢].

ثم تكلم الحافظ على تفصيل الطرق التي وردت بها أحاديث الحوض متتبعا من رويت عنهم تلك الاحاديث من الصحابة فزادت عدتهم على الخمسين، كما صرح به في النهاية، وقال:" ولكثير من هؤلاء في ذلك زيادة على الحديث الواحد، كأبي هريرة، وأنس، وابن عباس، وأبي سعيد، وعبد الله بن عمرو، وأحاديثهم بعضها في مطلق ذكر الحوض، وفي صفته بعضها ، وفيمن يرد عليه بعضها، وفيمن يدفع عنه بعضها، وكذلك في الاحاديث التي أوردها المصنف [٣] في هذا الباب، وجملة طرقها تسعة عشر طريقاً وبلغني أن بعض المتأخرين أوصلها إلى رواية ثمانين صحابياً"[٤].

---

(١) الارشاد الى صحيح الاعتقاد/ص 275؛الغنية في أصول الدين ابو سعيد عبدالرحمن بن محمد ،ط1987،1،تحقيق:عماد الدين احمد حيدر/166.

(٢) المصدر نفسه: ج11/ص 467.

(٣) يقصد الامام البخاري.

(٤) ينظر فتح الباري : ج1/ص 468- 469.

المطلب الثالث : صلة الحوض بالكوثر.

أخبر الله تعالى أنه أعطى نبيه ﷺ الكوثر، كما قال عزوجل: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [سورة الكوثر/ الآية 1] ، وثبت عن النبي ﷺ أن هذا الكوثر نهر في الجنة، شاطئاه عليه در مجوف، آنيته كعدد النجوم(١).

ومع هذا نقل المفسرون في الكوثر أقوالاً كثيرة تزيد على العشرة، كما أشار إليه الحافظ وقال:" ولكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ، فلا معدل عنه"(٢).

وإذا ثبت أن الكوثر نهر أعطيه النبي ﷺ ، فهل هو الحوض المعني هنا أو لا؟

حقق الحافظ في هذه المسألة ، وبين أن الكوثر نهر داخل الجنة، كما جاء مصرحاً في بعض الاحاديث، وماؤه يصب في الحوض خارج الجنة ،فالكوثر هو مادة الحوض، كما جاء في حديث أبي ذر عند مسلم وهو يسأله عن آنية الحوض وفيه (يشخب (٣)فيه ميزابان من الجنة"(٤)، ومن هذا الباب يطلق على الحوض كوثر، لكونه يمد منه(٥)، وبهذا يتبين أن الحوض مغاير للكوثر، ولكنه وثيق الصلة به، والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع: هل يختص نبينا ﷺ بالحوض؟

ذكر الحافظ ابن حجر وهو يذكر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض يقول: " قد اشتهر اختصاص نبينا ﷺ بالحوض ، لكن أخرج الترمذي من حديث سمرة رفعه:

---

(١) ينظر صحيح البخاري، باب سورة الكوثر، ج4/ص 1900، حديث رقم (4681).

(٢) يُنظر فتح الباري : ج8/ص 732.

(٣) الشخب: السيلان. ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر, لابن الأثير ،ج2/ 450.

(٤) صحيح مسلم ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ، ج4/ 1798، حديث رقم (2300).

(٥) يُنظر فتح الباري : ج11/ص 466- 467.

"إن لكل نبي حوضاً"[١]، وأشار إلى أنه اختلف في وصله وإرساله، وأن المرسل أصح.

قلت – والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن قال : قال رسول الله ﷺ: " إن لكل نبي حوضاً، وهو قائم على حوضه بيده عصا يدعو من عرف من أمته، إلا أنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً...." إلى أن قال " وإن ثبت فالمختص بنبينا (صلى الله عليه وسلم) الكوثر الذي يصبّ من مائه في حوضه، فإنه لم ينقل نظيره لغيره ، ,وقع الامتنان عليه به في السورة المذكورة"[٢].

المطلب الخامس : أين يكون موضع الحوض

إن الحوض قد وقع خلاف في تحديد موضعه أهو قبل الصراط أم بعده؟

وإن الحافظ قد تعرض لهذا الخلاف في كتابه، فذكر أن من العلماء من جزم بكونه قبل الصراط، ومنهم من جزم بأنه بعد الصراط، ومنهم من قال إلى أن للنبي ﷺ حوضين أحدهما قبل الصراط، والآخر داخل الجنة، وكل منهما يسمى كوثراً، ولكن الحافظ رد هذا القول الأخير.

أما القولان المتقابلان، فقد ذكر الحافظ من الاحاديث ما يؤيد كل قول، ولم يأت – مع ذلك – ، ومع اطالته الكلام فيه ، بما يرفع هذا الاشكال، وإن كان تصرفه يوحي بأنه يميل إلى القول بكون الحوض بعد الصراط، كما استظهر أن مذهب البخاري أن الحوض بعد الصراط ؛ لأنّ البخاري أورد أحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة ، وأحاديث الصراط[٣].

---

(١) سنن الترمذي، ج4/ ص628، حديث رقم (2443) ، صححه الالباني في صحيح الجامع رقم (2156)، وفي السلسلة الصحيحة، ج4/ ص117، رقم (1589).

(٢) ينظر فتح الباري : ج11/ ص467.

(٣)المصدر نفسه : ج 11/ ص 466- 467.

المبحث التاسع

الصراط والقنطرة

ذكر الحافظ(ابن حجر) الصراط في كتابه شرح باب الصراط (باب الصراط جسر جهنم) من كتاب الرقاق ، وذكر البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة الطويل في الرؤية وأحوال الناس في الموقف يوم القيامة ، وفيه: ويضرب جسر جهنم قال رسول الله ﷺ : "فأكون أول من يجيز ، ودعاء الرسل يومئذٍ: اللهم سلم سلم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟" قالوا : بلى يا رسول الله، قال: " فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله ، فتخطف الناس بأعمالهم : منهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل[١]ثم ينجو"[٢].

يقول الحافظ: " قوله : "باب الصراط جسر جنهم" اي : الجسر المنصوب على جهنم لعبور المسلمين عليه إلى الجنة"[٣].

وفي هذا التعريف إشارة إلى أن الصراط يمر عليه عليه جميع الخلق عليه المسلمون وغيرهم، وهو مأخوذ بطريق الاستنباط من دلالات النصوص؛ لأن الصراط جسر مضروب للعبور إلى الجنة.

وأشار الحافظ إلى صفة مرور الناس على الصراط كما ورد في بعض الأحاديث أن منهم من يمر كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب حتى يمر الرجل سعياً، ثم مشياً، ثم آخرهم يتلبط على بطنه، وكل ذلك بحسب الأعمال[٤].

---

(١) المخردل:قيل هو المصروع المرميٌّ، وقيل المخردل هو: **المُقَطَّع تُقَطِّعه كلاليب الصراط حتى يَهْوِيَ في النار**.ينظر لسان العرب:ج203/11.

(٢) ينظر صحيح البخاري، باب صراط جسر جهنم، ج5/ 2402، رقم (6204).

(٣) يُنظر فتح الباري : ج11/ ص446.

(٤)المصدر نفسه: ج11/ ص452– 453.

ويقول الحافظ نقلاً عن أبي جمرة:-" يؤخذ منه أن المارّين على الصراط ثلاثة أصناف : ناج بلا خدش، وهالك من أول وهلة، ومتوسط بينهما يصاب ثم ينجو، وكل قسم منها ينقسم أقساماً تعرف بقوله: " بقدر أعمالهم" "(١).

وذكر الحافظ بعض الأحاديث التي وردت في وصف الصراط أنه أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف، ولبعض الناس مثل الوادي الواسع، وأنه مسيرة خمسة عشر ألف سنة، خمسة آلاف صعود، وخمسة آلاف هبوط، وخمسة آلاف مستوى، وبين أن أسانيد هذه الأحاديث لينة وبعضها مرسل(٢).

وأما القنطرة فجاء ذكرها في حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن رسول الله ﷺ قال: " إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، فيتقاصّون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة"(٣).

قال الحافظ : " قوله : (بقنطرة) الذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة، ويحتمل أن تكون من غيره بين الصراط والجنة"(٤).

هذا هو كلام الحافظ ابن حجر بإيجاز فيما يتعلق بالصراط والقنطرة والله تعالى أعلم.

---

(١) يُنظر فتح الباري: ج11/ص 454.

(٢) يُنظر فتح الباري : ج11/ ص454.

(٣) صحيح البخاري،كتاب المظالم، باب في المظالم والغضب ، ج2/ ص861، حديث رقم (2308).

(٤) يُنظر فتح الباري : ج5/ص 96.

المبحث العاشر

ذبح الموت[١]

ثبت أن الموت سيذبح يوم القيامة، وذلك في حديث أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ :" يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول : هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه . ثم ينادي: يا أهل النار؟ فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا ؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح . ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت" الحديث[٢]، وروي نحوه من حديث عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) [٣]

مواقف الناس من هذا الحديث:

شرح الحافظ هذا الحديث في كتابه "فتح الباري" ونقل فيه عن القاضي أبي بكر بن العربي أنه قال:" استشكل هذا الحديث لكونه يخالف صريح العقل [٤]؛ لإن الموت عرض ، والعرض لا ينقلب جسماً فكيف يذبح؟

فأنكرت طائفة صحة هذا الحديث ودفعته.

وتأولت طائفة ، فقالوا: هذا تمثيل ، ولا ذبح هناك حقيقة.

وقال طائفة: بل الذبح على حقيقته، والمذبوح متولي الموت، وكلهم يعرفه؛ لأنه الذي تولى قبض أرواحهم.

---

(١) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني/ص 1378..

(٢) صحيح البخاري،باب وانذرهم يوم الحسرة، ج4/ ص1760، رقم (4453).

(٣) صحيح البخاري، باب يدخلون الجنة سبعون الفاً بغير نجاسة ج 5/ ص2396، رقم (6178).

(٤) كونه يخالف صريح العقل غير مسلم، لإنه وإن كان العقل يحار فيه لكن ليس في العقل ما يحيله ما إدّعى ، " والأنبياء جاءوا بما تعجز العقول عن معرفته، ولم يجيؤا بما تعلم العقول بطلانه، فهم يخبرون بمعادات العقول، لا بمُحالات العقول"، مجموع الفتاوى لابن تيمية ج2/ص 312.

ونقل أيضاً عن المازري: أنه قال: الموت عندنا عرض من الأعراض،وعند المعتزلة ليس بمعنى ، وعلى المذهبين لا يصح أن يكون كبشاً ولا جسماً، وأن المراد بهذا التمثيل والتشبيه... ثم قال:" وقد يخلق الله تعالى هذا الجسم ثم يذبح، ثم جعل مثالاً؛ لأن الموت لا يطرأ على أهل الجنة" ونقل الحافظ مثله عن القرطبي. قال: " وقال غيره : لا مانع أن ينشئ الله من الأعراض أجساداً يجعلها مادة لها، كما ثبت في صحيح مسلم في حديث: " إن البقرة وآل عمران يجيئان كأنهما غمامتان"[١]، ونحو ذلك من الأحاديث"[٢].

وهذا القول الأخير هو الصواب، وإن كان الحافظ لم يصرح بترجيحه، سوى أنه رد القول بأن المذبوح هو ملك الموت، وردُّهُ في محله؛ لأنّ هذا القول مخالف للحديث صريحاً.

وهذا الحديث وأمثاله مما يجب الايمان به وترك الخوض في حقيقته؛ لأنّ قدرة الله تعالى فوق مدارك العقول ، ورحم الله من عرف قدره فوقف عنده.

وكذلك ذكر الحافظ أموراً أخرى في شرح الحديث ولا داعي لذكرها[٣].

---

(١) صحيح مسلم، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة، ج 1/ص 553 ، حديث رقم (804).

(٢) ينظر فتح الباري : ج 11/ ص421.

(٣) المصدر نفسه: ج 11/ ص419 – 422.

المبحث الحادي عشر

الايمان بالجنة والنار

الجنة والنار : هما دار القرار الأخير لكل إنسان، فالجنة دار أولياء الله تعالى، والنار دارُ أعدائه.

وسبق أن بينا من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، والبحث في ذلك ينحصر في ثلاثة أمور(١):

الأول: إعتقاد كونهما حقاً لا ريب فيهما.

الثاني: إعتقاد وجودهما الآن.

الثالث: إعتقاد دوامهما وبقائهما بإبقاء الله لهما، وأنهما لا تفنيان أبداً، ولا يفنى من فيهما.

وذكر الامام الصابوني وهو يلخص عقيدة أهل السنة والجماعة في الجنة والنار فيقول: " ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنهما باقيتان لا تفنيان أبداً، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبداً، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خُلقوا لها(٢) لا يخرجون أبداً"(٣) .

وذكر الحافظ في كتابه " فتح الباري" عقيدة أهل السنة والجماعة في الجنة والنار ورد على من خالف في ذلك من المبتدعة .

---

(١) ينظر منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني/ ص1381.

(٢) انما قال هذا احترازاً ممن يدخلها من الموحدين، فإنه لا يخلد فيها، كما هي عقيدة أهل السنة.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث، الصابوني أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن، تحقيق بدر عبد الله البدر، مكتبة الغرباء الاثرية، المدينة المنورة، ط2، سنة 1415هـ/ ص81.

المطلب الأول: بيان أن الجنة والنار حق وأنهما موجودتان الآن:

جاء في حديث ابن عباس (رضي الله عنه) إذا قام من الليل يتهجد ، قوله ﷺ: " والجنة حق والنار حق"(١).

قول الحافظ : " قوله : " والجنة حق والنار حق" ، فيه إشارة إلى أنهما موجودتان، وسيأتي البحث فيه في بدء الخلق"(٢).

قال الحافظ في كتابه (بدء الخلق) :(قوله (باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة) أي موجودة الآن، وأشار بذلك الى الرد على من زعم من المعتزلة أنها لا توجد إلاّ يوم القيامة، وقد ذكر المصنف في الباب أحاديث كثيرة دالة على ما ترجم به، فمنها ما يتعلق بكونها موجودة الآن، ومنها ما يتعلق بصفتها، وأكثر صراحة ما ذكره في ذلك ما أخرجه الامام الترمذي في سننه ، وأبود داود بإسناد قوي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: " لما خلق الله الجنة قال لجبريل: إذهب فأنظر إليها"(٣))(٤).

ويقول في بدء الخلق أيضاً: "قوله: (باب صفة النار وأنها مخلوقة) القول فيه كالقول في (باب صفة الجنة) سواء"(٥).

وفضلا عما سبق فقد أشار الحافظ في مواضع أخرى في كتابه الى كون الجنة والنار مخلوقتين موجودتين الآن(٦).

---

(١) رواه البخاري، باب التهجد بالليل، ج 1/ 377، حديث رقم (1069)؛ ومسلم رقم (769).

(٢) يُنظر فتح الباري : ج3/ ص4.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ، ج5/ 108، رقم (4744)؛ والترمذي في سنن الترمذي ج4/ ص598، رقم (2560)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) يُنظر فتح الباري : ج6/ ص320.

(٥) المصدر نفسه: ج6 / ص331.

(٦) المصدر نفسه : ج 3/ ص35- 83و ج6/ص323 – 333 و ج7/ ص218 ، ج9/ ص325.

المطلب الثاني: إثبات بقاء النار وخلود أهلها فيها:

أشار ابن حجر العسقلاني إلى هذه المسألة في شرح (باب صفة الجنة والنار) من كتاب الرقاق حيث قال نقلاً عن القرطبي:" وفي هذه الاحاديث التصريح بأن خلود أهل النار فيها لا إلى غاية أمد، وإقامتهم فيها على الدوام بلا موت، ولا حياة نافعة ولا راحة، كما قال تعالى: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة فاطر/ الآية 36] ، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [سورة السجدة/ الآية 20].

قال : فمن زعم انهم يخرجون، وأنها تبقى خالية، أو أنها تفنى وتزول فهو خارج عن مقتضى ما جاء به الرسول، وأجمع عليه أهل السنة.

قلت: أي (قول الحافظ) : جمع بعض المتأخرين في هذه المسألة سبعة أقوال(١):

الأول: هذا الذي نقل فيه الاجماع.

الثاني: يعذبون فيها إلى أن تنقلب طبيعتهم فتصير نارية(٢)، حتى يتلذذوا بها، لموافقة طبعهم، وهذا قول بعض من ينسب إلى التصوف من الزنادقة.

والثالث: يدخلها قوم ويخلفهم آخرون، كما ثبت في الصحيح عن اليهود وقد أكذبهم الله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة البقرة/ الآية 167].

والرابع: يخرجون منها وتستمر هي على حالها.

والخامس : تفنى ؛ لأنها حادثة ، وكل حادث يفنى، وهو قول الجهمية.

والسادس: تفنى حركاتهم البتة، وهو قول أبي الهذيل العلاف من المعتزلة.

والسابع: يزول عذابها، ويخرج أهلها منها، جاء ذلك عن بعض الصحابة أخرجه عبد بن حميد في تفسيره من رواية الحسن عن عمر قوله، وهو منقطع ولفظه: " لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه" ،

---

(١) فتح الباري: ج11/ ص421- 422.

(٢) لوامع الانوار البهية ج2/ص234؛شرح العقيدة الطحاوية لابن ابي العزالحنفي/286.

وعن ابن مسعود: "ليأتين عليها زمان ليس فيها أحد" قال عبيد الله بن معاذ [١] راوية : كان أصحابنا يقولون: يعني بعض الموحدين. قلت: وهذا الاثر عن عمر لو ثبت حمل على الموحّدين.

وقد مال بعض المتأخرين إلى هذا القول السابع، ونصره بعدة أوجه من جهة النظر، وهو مذهب ردئ مردود على قائله، وقد أطنب السبكي الكبير في بيان وهائه فأجاد"[٢].

وقد تقدم بيان مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة، وهو الحق الذي يجب اعتقاده، وما سواه باطل، والله تعالى أعلم.

---

(١) هو عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري، أبو عمرو البصري ثقة، حافظ، توفي سنة (237هــ)، رحمه الله. ينظر تقريب التهذيب ج1/ ص539.

(٢) ينظر فتح الباري : ج11/ 421- 422، وينظر ج6/ 320- 329، وج11/ ص419- 444، وج13/ ص488 في صفة الجنة.

أما في صفة النار وسوء حال اهلها ج6/ ص331- 334، و11/ ص419- 444.

الفصل السادس

رأي ابن حجر في الإيمان بالملائكة والجن

وتتلخص في مبحثين :

المبحث الأول : الملائكة وما يتعلق بهم من مسائل :

المبحث الثاني : الإيمان بوجود الجنّ والشياطين :

الفصل السادس

رأي ابن حجر في الإيمان بالملائكة والجن

وتتلخص في مبحثين

المبحث الأول

الملائكة وما يتعلق بهم من مسائل

ذكر الحافظ في كتابه الملائكة وتكلم عنها وبين أنها من الغيب الذي يجب أن نؤمن به ، ونؤمن بوجودهم وصفاتهم وأعمالهم التي ثبتت في الكتاب والسنة .

وحقيقة الملائكة من الغيب الذي ليس للناس علم به إلا ما أخبرت به نصوص الكتاب والسنة ، فيجب الوقوف عند ذلك ، وترك تكلف التعريف بهم بما لم يدل عليه الدليل النقلي الثابت.

المطلب الأول : تعريف الملائكة .

عرف أهل اللغة الملائكة منهم صاحب المعجم الوسيط فقال: (الملك) واحد الملائكة أصله مألك من الألوكة ثم تصرفوا في لفظه لتخفيفه فقالوا ملأك ثم نقلوا حركة الهمزة إلى اللام وحذفوا الهمزة فقالوا ملك : وجمعه: ملائك وملائكة[١]

و عرف الحافظ ابن حجر الملائكة في اللغة والاصطلاح فقال :

الملائكة في اللغة : أنها جمع (ملك) بفتح اللام ، وذلك اختلاف أهل اللغة في أصل اشتقاقها ، وأيد القول بأنها مشتقة من الملك بالفتح وسكون اللام ، وهو الأخذ بقوة ، وعلى هذا فالملك على وزن (فَعَل) كأسد ، والميم فيه أصلية ، ووزن الملائكة (فعائلة) [٢].

أما الملائكة في الاصطلاح عند ابن حجر :

فنقل ابن حجر أقوالاً أقر واحداً منها فقط ورد الباقي ، وذلك في شرحه (باب ذكر الملائكة) من كتاب بدء الخلق ، حيث قال (قال جمهور أهل الكلام

---

(١) المعجم الوسيط : احمد الزيات واخرون، دار الدعوة ،مجمع اللغة العربيةج1/ ص 24 .

(٢) ينظر : فتح الباري : ج6/ص306 .

من المسلمين : الملائكة : أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ، ومسكنها السماوات .

وأبطل من قال : إنها الكواكب ، أو أنها الأنفس الأخيرة التي فارقت أجسادها ، وغير ذلك من الأقوال التي لا يوجد في الأدلة السمعية شيء منها) (١).

يقول الحافظ وذكر الحافظ تعريفاً للفلاسفة ، فقال : (وزعم الفلاسفة أنهم جواهر روحانية) (٢).

المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة عند الحافظ.

ذكر الحافظ في شرحه لحديث جبريل عليه السلام فيقول :

(قوله ﷺ : وملائكته : هو التصديق بوجودهم ، وأنهم كما وصفهم الله تعالى : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ الأنبياء: ٢٦) (٣).

وبين أن الإجمال في الإيمان بالملائكة هو الاكتفاء بالإيمان بجميع الملائكة من غير تفصيل ، إلا من ثبتت تسميته بالأدلة من الكتاب والسنة فيجب الإيمان به على التعيين (٤).

وأشار ابن حجر (رحمه الله) في (باب ذكر الملائكة) عند شرحه للأحاديث الواردة بهم ومن ثبت أسمه فيقول (وقد اشتملت أحاديث الباب على ذكر بعض من أشتهر من الملائكة كجبريل ، ووقع ذكره في أكثر أحاديثه ، وميكائيل وهو في حديث سمرة (٥) ، وحده (٦) ، والملك الموكل بتصوير ابن أدم ، ومالك خازن النار ، وملك الجبال ، والملائكة الذين في كل سماء ، والملائكة الذين

---

(١) ينظرفتح الباري: ج 6/ص306 .

(٢) المصدر نفسه: ج6/ص306 .

(٣) المصدر نفسه: ج1/ص117 .

(٤) المصدر نفسه: ج1/ص118 ، بتصرف .

(٥) هو : سمرة بن جندب بن هلال الفزراي ، حليف الأنصاري ، صحابي مشهور ، مات بالبصرة (سنة 58 هـ) رضي الله عنه ؛ ينظر : تقريب التهذيب :ج1/ ص33 .

(٦) ينظر: صحيح البخاري ، باب إذا قال أحدكم آمين : ج3/ ص1182 ، رقم الحديث (3064)

ينزلون في السحاب ، والملائكة الذين يدخلون البيت المعمور ، والملائكة الذين يكتبون الناس يوم الجمعة ، وخزنة الجنة ، والملائكة الذين يتعاقبون) (١).

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله) : (ومن مشاهير الملائكة إسرافيل ، ولم يقع ذكره في أحاديث الباب) ، ثم أشار إلى روايات وردت في شأنه (٢).

وقال أيضاً : (وفي هذا وما ورد في القرآن رد على من أنكر وجود الملائكة من الملاحدة) (٣).

المطلب الثالث : صفات الملائكة .

أشار ابن حجر إلى بيان بعض أوصاف الملائكة وما يتميزون به عن غيرهم من المخلوقات ، فذكر أنه (قد وقع الاتفاق على أن الملائكة مخلوقون ، وهم أرواح) (٤).

وذكر ابن حجر (رحمه الله) جملة من الأحاديث منها ما أخرجه مسلم عن عائشة (رضي الله عنها) ، قالت ، قال رسول الله ﷺ : ((**خلقت الملائكة من نور وخلق الجان من مارج من نار ....**)) (٥).

وذكر الحافظ في كتابه عن سعيد بن المسيب قوله (الملائكة : ليسوا ذكوراً ولا إناثاً ، لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يتناكحون ولا يتوالدون) (٦).

يقول الحافظ : (قلت : وفي قصة الملائكة وسارة ما يؤيد أنهم لا يأكلون ، وأما ما وقع في قصة الأكل من الشجرة أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة فليس بثابت) (٧).

ذكر ابن حجر(رحمه الله): إن الملائكة قادرة على التشكل بغير أشكالهم .

---

(١) ينظر فتح الباري ج6/ص307 .

(٢) ينظرفتح الباري :ج6/ص308 .

(٣) المصدر نفسه:ج6/ص306 .

(٤) ينظر : فتح الباري:ج13/ص44 .

(٥) صحيح مسلم ، باب في أحاديث متفرقة :226/8 ، رقم الحديث (7687) .

(٦) ينظرفتح الباري :ج6/ص306 .

(٧)فتح الباري:ج6/ص306 .

وذكر ابن حجر أن الملك يتصور بصورة الإنسان وذلك في عدة أحاديث في كتابه [١].

ومنها ما أخرجه البخاري في صحيحه في ذكر أنواع الوحي في قوله ﷺ : **((وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني ، فأعي ما يقول))** [٢].

نقل الحافظ كلاماً لإمام الحرمين قال فيه :

(تمثل جبريل معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه ، ثم يعيده إليه بعد ، .... قال الحافظ وجزم ابن عبد السلام بالإزالة دون الفناء ..... [٣] ، إلى إلى أن قال : (وقال شيخنا شيخ الإسلام [٤] ، ما ذكره إمام الحرمين لا ينحصر الحال فيه ، بل يجوز أن يكون الآتي هو جبريل بشكله الأصلي ، إلا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ، وإذا ترك ذلك عاد إلى هيئته ، ومثل ذلك القطن إذا جمع بعد أن كان منتفشاً ، فإنه بالنفش يحصل له صورة كبيرة ، وذاته لم تتغير ، وهذا على سبيل التقريب) ، ثم قال الحافظ : (والحق أن تمثل الملك رجلاً ليس معناه أن ذاته انقلبت رجلاً ، بل معناه أنه ظهر بتلك الصورة تأنيساً لمن يخاطبه ، والظاهر أيضاً أن الزائد لا يزول ولا يفنى ، بل يخفى على الرائي فقط ... والله أعلم) [٥].

قلت : والأسلم ترك الخوض في مثل هذا الأمر ؛ لأن الكلام فيه يتوقف على ما ثبت من الأدلة النقلية لا بمجرد الاحتمالات العقلية .

قال الحافظ نقلاً عن القاضي عياض وغيره ، أن للملك في ذاته صورة لا يستطيع الآدمي أن يراه فيها لضعف القوى البشرية إلا من يشاء الله أن يقويه على

---

(١) ينظر فتح الباري:ج6/ص443 و ج1/ص124 .

(٢) صحيح البخاري ، باب حدثنا عبد الله بن يوسف :ج1/6 ، رقم الحديث (2) .

(٣) ينظرهذا الكلام في كتاب الحبائك في أخبار الملائك،السيوطي جلال الدين/ص86 .

(٤) هو : شيخه سراج الدين البقليني .

(٥) ينظر : فتح الباري :ج1/ص21 .

ذلك ، ولهذا كان غالب ما يأتي جبريل إلى النبي ﷺ في صورة الرجل ... ولم يرَ جبريل على صورته التي خلق عليها إلا مرتين ، كما ثبت في الصحيحين) (١).

يقول الحافظ (وقع ذكر الملائكة على العموم في كونهم لا يدخلون بيتاً فيه تصاوير ، وأنهم يؤمنون على قراءة المصلي ، ويقولون : ربنا ولك الحمد ، ويدعون لمنتظر الصلاة ، ويلعنون من هجرت فراش زوجها وما بعد الأول محتمل أن يكون خاصاً منهم ، فأما جبريل فقد وصفه الله تعالى بأنه روح القدس ، وبأنه الروح الأمين ، وبأنه رسول كريم ذو قوة مكين ، مطاع أمين) (٢).

ومما يتميز به الملائكة كثرتهم ، ومن أدلة ذلك ما جاء في حديث الإسراء : (أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون) (٣).

يقول ابن حجر (واستدل به على أنَّ الملائكة أكثر المخلوقات ؛ لأنه لا يعرف من جميع العوالم من يتجدد من جنسه في كل يوم سبعون ألفاً ، غير ما ثبت عن الملائكة في هذا الخبر) (٤).

وتطرق الحافظ إلى ذكر مسألة ما يتعلق بموت الملائكة : هل يموتون أو لا؟

فيقول وهو يشرح حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ كان يقول : ((**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لا يموت ، والجن والأنس يموتون**)) (٥). قال (قوله : (والجن والأنس يموتون) أستدل به على أن الملائكة لا تموت ، ولا حجة فيه ، ولا اعتبار له ، وعلى تقديره فيعارضه ما هو

---

(١) فتح الباري :6/9 ، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ، باب حديث السيدة عائشة :ج6/ص402 ، رقم الحديث (26793) .

(٢) ينظر : فتح الباري :ج6/ص307 .

(٣) جزء من حديث الإسراء الطويل ، أخرجه البخاري ، باب ذكر الملائكة :1173/3 ، رقم الحديث (3035) ، ومسلم :103/1 ، رقم الحديث (429 ، 434) ، باب الإسراء برسول الله.

(٤) ينظر : فتح الباري :ج7/ص215 .

(٥) أخرجه البخاري ، باب قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ : 2688/6 ، رقم الحديث (6948) ، ومسلم ، باب التعوذ من شر ما عمل :80/8 ، رقم الحديث (7074) .

أقوى منه ، وهو عموم قوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ مَعَ﴾ القصص: ٨٨ ، مع أنه لا مانع من دخولهم في مسمى الجن ، لجامع ما بينهم من الإستتار عن عيون الأنس) [١].

المطلب الرابع : وظائف الملائكة .

إن للملائكة الكرام وظائف كثيرة وجمة ، وأن الله تعالى قد وكلهم بعدد من الوظائف التي يقومون بها ، وقد دل على ذلك كثير من الآيات والأحاديث ، وذلك في مختلف شؤون الكون مما نشاهده ومما لا يشاهد .

وأشار ابن حجر إلى بعض وظائف الملائكة في كتابه وذكرها كالآتي[٢] :

1) **السفارة :**

من وظائف الملائكة التي تقوم بها هي السّفارة ، وهي النزول بالوحي إلى الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) ، قال تعالى : ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ عبس: ١٥ – ١٦ .

قال البخاري : (السفرة : الملائكة ، واحدهم سافر ، سفرت : أصلحت بينهم ، وجعلت الملائكة ، إذا نزلت بوحي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم) [٣] والسفرة هم رسل الله الى خلقه كما في قوله تعالى : ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ فاطر: ١ .

وهل جميع الملائكة رسل الله ؟ فذكر الحافظ أن للعلماء قولين في ذلك .

وقال : (والصحيح أن فيهم الرسل وغير الرسل ، وقد ثبت أن منهم الساجد ، فلا يقوم ، والراكع فلا يعتدل) .

---

(١) ينظرفتح الباري: ج13/ ص 370 .

(٢) منهج الحافظ ابن حجر في العقيدة /ص1177-1179 .

(٣) ينظرفتح الباري : ج8/ ص 691 في كتاب التفسير من (الصحيح) .

واحتج الأول بقوله تعالى : ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ ﴾ ،

وأجيب بقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾(الحج: ٧٥) [١].

يصف الحافظ ابن حجر (رحمه الله) جبريل عليه السلام فيقول :

(وجبريل موكل بالوحي الذي يحصل به الإصلاح العام) [٢].

2) حفظ أعمال بني أدم :

يقول تعالى ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ ١٢ ﴾ الانفطار: ١٠ – ١٢.

وقال سبحانه : ﴿ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾ق: ١٨.

وذكر شرح الآية الحافظ رواية عن ابن عباس رضي الله عنه قال :

(يكتب كل ما يتكلم من خير وشر) ، وعن الحسن وقتادة قالا : (ما يلفظ من قول) ، أي ما تكلم به من شيء إلا كتب عليه) [٣].

3) التعاقب في الناس بالليل والنهار :

ذكر ابن حجر في كتابه عن تعاقب الملائكة بالليل والنهار ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر**

---

(١) ينظر : فتح الباري :ج8/ص692 .

(٢)المصدر نفسه:ج7/ص215 .

(٣)المصدر نفسه: ج8/ ص594 .

وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون تركناهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)) [١].

قال الحافظ : (قوله : (فيكم) ، أي المصلين أو مطلق المؤمنين ، قوله : (ملائكة) قيل : هم الحفظة) [٢].

نقل ابن حجر كلاماً عن القرطبي يقول فيه : (الأظهر عندي أنهم غيرهم، ويقويه أنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد ، ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار ، وبأنهم لو كانوا هم الحفظة لم يقع الاكتفاء في السؤال منهم عن حالة الترك دون غيرها : (كيف تركتم عبادي) [٣].

وذكر الحافظ صورة تعاقب الملائكة ، فقال : (وفيه التعاقب وصورته : أن تنزل طائفة عند العصر وتبيت ، ثم تنزل طائفة ثانية عند الفجر ، فيجتمع الطائفتان في صلاة الفجر ، ثم يرجع الذين باتوا فقط ، ويستمر الذين نزلوا في وقت الفجر إلى العصر ، فتنزل الطائفة الأخرى ، فيحصل اجتماعهم عند العصر أيضاً ، ولا يصعد منهم أحد بل تصيب الطائفتان أيضاً ، ثم تعرج إحدى الطائفتين ويستمر ذلك ، فتصح صورة التعاقب مع اختصاص النزول بالعصر والعروج بالفجر ، فلهذا خص السؤال بالذين باتوا ، والله أعلم) [٤].

وذكر الحافظ ابن حجر أحاديث على شأن الملائكة ووظائفهم ومنها : ما رواه الطبراني من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لجبريل : ((على أي شيء أنت ؟ قال : على الريح والجنود ، قال : وعلى أي شيء ميكائيل ؟ قال : على النبات والقطر ، قال : وعلى أي شيء ملك الموت ؟ قال : على قبض

---

(١) ينظر : صحيح البخاري ، باب قول الله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ :ج6/ص2702 ، رقم الحديث (6992) .

(٢) ينظر : فتح الباري :ج2/ص35 .

(٣) المصدر نفسه:ج2/ص35 .

(٤)المصدر نفسه:ج2/ص36 .

الأرواح)) [١]. وفي إسناده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى [٢] ، وقد ضعف لسوء حفظه ولم يترك [٣].

يقول الحافظ عن علي أنه ذكر الملائكة فقال : (منهم الأمناء على وحيه ، والحفظة لعباده ، والسدنة لجنابه ، والثابتة في الأرض السفلى أقدامهم ، المارقة من السماء العليا أعناقهم ، الخارجة عن الأقطار أكنافهم ، الماسة لقوائم العرش أكتافهم) [٤].

المطلب الخامس : المفاضلة بين الملائكة والبشر .

إن هذه المسألة قد تطرق إليها الحافظ في كتابه في شرحه لقوله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ آل عمران: ٢٨، من كتاب التوحيد ، عند شرحه لحديث أبي هريرة ﷺ قال : قال النبي ﷺ : ((يقول الله تعالى : أنا عند ظنّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم .....)) [٥].

ونقل الحافظ عن ابن بطال أنه قال : (وهذا نص في أن الملائكة أفضل من بني آدم ، وهو مذهب جمهور أهل العلم) .

وأنتقده الحافظ في نسبته تفضيل الملائكة إلى جمهور أهل العلم ، وقال :

---

(١) ينظر : المعجم الكبير : للطبراني أبو القاسم (سليمان بن أحمد بن أيوب) ، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة العلوم والحكم ، الموصل ، ط2 ، لسنة 1404هـ ـــ 1983م ، في باب أحاديث عبد الله بن عباس : ج11/ص379 ، رقم الحديث (12061) .

(٢) هو : محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري ، أبو عبد الرحمن الكوفي ، القاضي ، صدوق سيء الحفظ جداً ، وكان صاحب سنة ، توفي (سنة 148 هــ) ، ينظر : ميزان الاعتدال : ج3/ص613-616 ، وتقريب التهذيب :ج2/ص184 .

(٣) ينظر : فتح الباري :ج6/ص307 .

(٤) المصدر نفسه: ج6/ص308 .

(٥) أخرجه البخاري ، باب قول الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ : ج6/ص2694 ، رقم الحديث (6970) .

(إن المعروف عن جمهور أهل السنة أن صالحي بني آدم أفضل من سائر الأجناس ، والذين ذهبوا إلى تفضيل الملائكة الفلاسفة ، ثم المعتزلة ، وقليل من أهل السنة من أهل التصوف وبعض أهل الظاهر) (١).

هكذا عين الحافظ أصحاب المقالات في هذه المسألة ، ثم ذكر مواضع النزاع جملة فقال : (فمنهم من فاضل بين الجنسين ، فقالوا : حقيقة الملك أفضل من حقيقة الإنسان؛ لأنها نورانية وخيرة ولطيفة ، مع سعة العلم والقوة ، وصفاء الجوهر) (٢).

ومنهم من خص الخلاف بصالحي البشر والملائكة ، ومنهم من خصه بالأنبياء ، ثم منهم من فضل الملائكة على غير الأنبياء ، ومنهم من فضلهم على الأنبياء أيضاً إلا على نبينا محمد ﷺ (٣).

ثم شرع الحافظ يذكر أدلتهم التي استدل بها أصحاب هذه الأقوال ، ولكنه أهتم فقط بذكر أدلة الفريق القائل بتفضيل الأنبياء على الملائكة ، والفريق القائل بتفضيل الملائكة على بني آدم .

أما الذين فضلوا الأنبياء على الملائكة فذكر الحافظ أدلتهم من الآيات ، ومن النظر كالمقرر لها ، حيث لم يتعقبها بشيء ، علماً أنَّ الأدلة النظرية التي ذكرها لهم لا تدل على تفضيل الأنبياء فحسب ، بل هي دالة مع ذلك على تفضيل صالحي البشر عموماً على الملائكة ؛ لأن منها مثلاً قوله : (ولأن طاعة الملائكة بأصل الخلقة ، وطاعة البشر غالباً مع المجاهدة للنفس ، لما طبعت عليه من الشهوة ، والحرص والهوى والغضب ، فكانت عبادتهم أشق) .

فهذه العلة التي جعلها سبباً للتفضيل يشترك فيها الأنبياء وغيرهم من صالحي البشر (٤).

---

(١) ينظر : فتح الباري :ج13/ص386 .

(٢) المصدر نفسه:ج13/ص386 .

(٣) المصدر نفسه:ج13/ص386 .

(٤) منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة /ص1183 .

وأما الذين فضلوا الملائكة على سائر البشر فذكر الحافظ أدلتهم مع التعقب لها بما يبطل دلالتها على المراد ، حيث بين أن أقوى ما استدلوا به هو حديث أبي هريرة الذي سبق ذكره قريباً ، لما فيه من التصريح بقوله : (في ملأ خير منهم) والمراد بالملائكة .

قال ابن حجر (وأجاب بعض أهل السنة بأن الخير المذكور ليس نصاً ولا صريحاً في المراد ، بل يطرقه احتمال أن يكون المراد بالملأ الذين هم خير من الملأ الذاكر الأنبياء والشهداء ، فإنهم أحياء عند ربهم ، فلم ينحصر ذلك في الملائكة . وأجاب آخر ، وهو أقوى من الأول ــ بأن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معاً ، فالجانب الذي فيه رب العزة خير من الجانب الذي ليس فيه بلا ارتياب ، فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع على المجموع) (١).

وهكذا استمر الحافظ يتعقب جميع الأدلة التي ذكرها لهم إلى آخرها ، حتى إنه ذكر أن الزمخشري ــ وهو ممن يفضل الملائكة على البشر ــ قد أفرط في سوء الأدب في هذا المجال ، وقال كلاماً يستلزم تنقيص المقام المحمدي ، وأن الأئمة بالغوا في الرد عليه في ذلك (٢).

ولكن الحافظ مع هذا لم يصرح بالقول الذي يختاره ، وإن كان تصرفه يوحي بأنه يرى تفضيل الأنبياء أو مع صالحي البشر على الملائكة ، وهو القول الذي ذكر الحافظ أنه هو المعروف عن جمهور أهل السنة .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه المسألة ووصفها بأنها مسألة كبيرة يطول شرحها ، وأختار (رحمه الله) ــ أي ابن تيمية ــ أن صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية ، وذلك إذا دخلوا دار القرار ، وأن الملائكة أفضل باعتبار البداية ، فإنهم الآن في الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في

---

(١) ينظر فتح الباري : ص386 ــ 388 .

(٢) المصدر نفسه: ج 388/13 .

عبادة الرب ، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر ، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فتصير حال صالحي البشر أكمل من حال الملائكة (١).

وذكر ابن القيم كلام شيخه ابن تيمية في هذه المسألة ، ثم قال :

(وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل ، وتتفق أدلة الفريقين ، ويصالح كل منهم على حقه) (٢).

ومن العلماء من أعدم فائدة الكلام في هذه المسألة ، كالإمام الشوكاني ، حيث قال : (وقد اشتغل بهذه المفاضلة قوم من أهل العلم ، ولا يترتب على ذلك فائدة دينية ولا دنيوية ، بل الكلام في مثل هذا من الاشتغال بما لا يعني ، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) (٣).

---

(١) ينظرمجمع الفتاوى : ج10/ص300 ، ج11/ص95 ، وقد تكلم على هذه المسألة بالتفصيل في المصدر نفسه : ج4/ص350-392 .

(٢) بدائع الفوائد : ابن القيم الجوزية ، تحقيق : هشام عبد العزيز عطاة ، مكتبة نور المصطفى ، ط1 ، سنة 1416هـ :684/3 ، نقله السفاريني في لوامع الأنوار البهية : ج399/2 .

(٣) ينظر : فتح القدير : للشوكاني (محمد بن علي) ، عالم الكتب : ج 2/ص118 ؛ وشرح العقيدة الطحاوية الجامع بين فني الرواية : ج2/ص403 .

المبحث الثاني

الإيمان بوجود الجنّ والشياطين

الجن والشياطين من مخلوقات الله عز وجل الذين جاء ذكرهم في الوحي المنزل من الله تعالى ، وممن أخبر النبي ﷺ عن وجودهم ، وعن بعض أوصافهم.

ومع هذا فقد وجد من الناس من ينكر وجود الجن ، أو يجعل المراد بهم على خلاف ما دل عليه الوحي الإلهي [١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : (لم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن ، ولا في أن الله أرسل محمداً ﷺ إليهم ، وجمهور طوائف الكفار على إثبات الجن ، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كإقرار المسلمين ، وإن وجد فيهم من ينكر ذلك ، وكما يوجد في المسلمين من ينكر ذلك ، كما يوجد في طوائف المسلمين ، كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك ، وإن كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك .

وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء تواتراً معلوماً بالاضطرار، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء عقلاء فاعلون بالإرادة ، بل مأمورون منهيون ، ليسوا صفات وأعراضاً قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة) [٢].

وذكر ابن حجر (رحمه الله) وجود الجن والشياطين والمسائل المتعلقة بهم، ورد على من ينكر وجودهم من أهل الضلال ، وبين ذلك من حيث الحصر في أربعة مطالب .

---

(١) ينظر : منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة /ص1270 .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية : ج19/ص10 .

المطلب الأول : تعريف الجن والشياطين .

قال ابن حجر (رحمه الله) : (سميَّ الجنّ جناً لاستتارهم ، وقيل لكل ما إستتر : جنة بالكسر) [١].

ويقول : (المراد بالشيطان : المتمرد من الجن) [٢].

قال : الجن والشياطين (المسمى واحد ، وإنما صارا صنفين باعتبار الكفر، فلا يقال لمن آمن منهم : إنه شيطان) [٣].

قال : ورأس الشياطين هو إبليس [٤]، (لعنة الله عليه) .

وقد يطلق لفظ (الشيطان) على الإنسان ، كما في حديث أبي سعيد الخدري ، قال، سمعت النبي ﷺ يقول : ((**إذا صلى أحدكم إلى شيء يستره من الناس ، فأراد أحد أن يجتاز بين يديه فليدفعه ، فإن أبى فليقاتله فإنما هم شيطان**)) [٥].

(قوله (فإنما هو شيطان) ، أي فعله فعل الشيطان ، لأنه أبى ألا التشويش على المصلي ، وإطلاق الشيطان على المارد من الإنسان سائغ شائع ، وقد جاء في القرآن قوله تعالى : ﴿ شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾ الأنعام: ١١٢)، وقال ابن بطال : في هذا الحديث جواز إطلاق الشيطان على من يَفتن في الدين ، وأن الحكم للمعاني دون الأسماء ، لاستحالة أن يصير المارد شيطاناً بمجرد مروره، انتهى ، وهو مبني على لفظ الشيطان يطلق حقيقة على الجني ، ومجازاً على الإنسي ، وفيه بحث ، ويحتمل أن يكون المعنى : فإنما الحامل له على ذلك

---

(١) هدي الساري (مقدمة فتح الباري) /ص100 .

(٢) ينظرفتح الباري :6ج/ص394 .

(٣)المصدر نفسه:ج8/ص675 .

(٤)المصدر نفسه:ج3/ص14 .

(٥) صحيح البخاري ، باب يرد المصلي من مر بين يديه :ج 1/ص191 ، رقم الحديث (487).

الشيطان ، وقد وقع في رواية الإسماعيلي : (فإن معه الشيطان) ، ونحوه لمسلم من حديث ابن عمر بلفظ (فإن معه القرين) [١]) [٢].

المطلب الثاني : وجود الجن ، وأصلهم ، والرد على من أنكر ذلك.

ذكر ابن حجر في كتابه (فتح الباري) في شرح باب ذكر الجن وثوابهم وعقابهم ، وبين إثبات وجودهم وتكليفهم ، فقال :

(أشار بهذه الترجمة إلى إثبات وجود الجن ، وإلى كونهم مكلفين ، فأما إثبات وجودهم ، فقد نقل إمام الحرمين عن كثير من الفلاسفة والزنادقة والقدرية أنهم أنكروا وجودهم رأساً ، قال : ولا يتعجب ممن أنكر ذلك من غير المسلمين ، إنما العجب من المشرعين [٣] مع نصوص القرآن والأخبار المتواترة ، قال : وليس في قضية العقل ما يقدح في إثباتهم ، قال : وأكثر ما استروح إليه من نفاهم حضورهم عند الأنس بحيث لا يرونهم ، ولو شاءوا لأبادوا أنفسهم ، وقال : وإنما يستبعد ذلك من لم يحط علماً بعجائب المقدورات) [٤].

---

(١) صحيح مسلم ، باب منع المار بين يدي المصلي :ج2/ص58 ، رقم الحديث (1158) .

(٢)ينظر : فتح الباري:ج8/ص548 ، وينظر : ج6/ج460 ، (وفيه مراتب الجن وأصنافهم)

(٣) لم يرد في الشرع إطلاق هذا اللفظ في حق النبي ﷺ ولا في حق عالم من علماء الشريعة المطهرة ، وإنما ورد في الكتاب والسنة إسناد التشريع إلى الله تعالى ، أنظر : معجم المناهي اللفظية : للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد /ص303-304 ؛وكذلك معنى هذه اللفظة أن المشرّعين غيرَ ما شرعه الله؛ إنما تصف ألسنتهم الكذب، لأجل أن يفتروه على الله، وأنهم لا يفلحون، وأنهم يمتعون قليلا ثم يعذبون العذاب الأليم، وذلك واضح في بعد صفاتهم مِنْ صفات مَنْ له أن يحلّل ويحرّم /اوردها علي بن نايف الشحود في كتابه موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة:ج54/ص497.

(٤) ينظر فتح الباري :ج6/ص343-344 .

ويقول ابن حجر : (وإذا ثبت وجودهم فقد تقدم في أوائل صفة النار تفسير قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الرحمن: ١٥ ، ومارج : خالص النار) [١].

وقال (رحمه الله) : (واختلفت في أصلهم ، فقيل إن أصلهم من ولد إبليس ، فمن كان منهم كافراً سميَّ شيطاناً وقيل : إن الشياطين خاصة أولاد إبليس، ومن عداهم ليسوا من ولده ، وحديث ابن عباس الآتي في تفسير سورة الجن [٢] ، يقول إنهم نوع واحد من أصل واحد ، واختلف صنفه ، فمن كان كافراً سميَّ شيطاناً ، وإلا قيل له : جني) [٣].

المطلب الثالث : أوصاف الجن .

ذكر ابن حجر أوصاف الجن استناداً على الأدلة الواردة في شأنهم إما نصاً وإما استنباطاً ، فمن أوصافهم :

1) أنهم قادرون على التصور بصور مختلفة [٤].

2) أنهم يأكلون ويشربون ، وذكر ابن حجر في ذلك خلافاً ؛ لأن هناك من قال بالنفي ، ولكن الراجح الإثبات ، لثبوت ذلك نصاً [٥].

3) أنهم يتناكحون ويتوالدون وفيهم الذكور والإناث [٦].

4) أنهم يتكلمون بكلام الأنس ، ويسرقون ويخدعون [٧].

5) أن لهم قوة على التوصل إلى باطن الإنسان ، وأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وذلك إما على ظاهره ، كما ورد به النص ، وإما على سبيل

---

(١)المصدر نفسه:6/ص329-344 .

(٢) صحيح البخاري ، في كتاب التفسير ، رقم الحديث (4921) .

(٣) ينظر : فتح الباري :344/6 .

(٤) المصدر نفسه:489/4 .

(٥)المصدر نفسه:489/4 ، 345/6 ، 522/9- 523 .

(٦)المصدر نفسه:298/8 ، 345/6 .

(٧)المصدر نفسه:489/4 .

الاستعارة من كثرة إغوائه ، وكأنه لا يفارق كالدم ، فاشتركا في شدة الاتصال وعدم المفارقة (١).

6) وهل تمكن رؤيتهم أم لا ؟ فيه خلاف على ثلاثة أقوال :

أحدها : النفي مطلقاً ، لقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ الأعراف: ٢٧ ، وهذا قول أكثر العلماء ، حتى قال الشافعي : من زعم أنه يرى الجن أبطلنا شهادته ، واستدل بهذه الآية .

الثاني : أن نفي رؤية الأنس للجن على هيئتهم ليس بقاطع من الآية ، بل ظاهرها أنه ممكن ، فإن نفي رؤيتنا إياهم مقيد بحال رؤيتهم لنا ، ولا ينفي إمكان رؤيتنا لهم في غير تلك الحالة (٢).

الثالث : أنه تمكن رؤية الجن في حال تصوره بغير صورته ، أما رؤيته على صورته التي خلق عليها فلا ، وأن ذلك هو مقصود الآية .

واختار الحافظ هذا القول الأخير (٣) ، والأدلة الواقعية تدل على صحة هذا القول ، ومنها كلام الشافعي الذي سبق ذكره على هذا المعنى والله أعلم .

المطلب الرابع : تكليف الجن ومسألة ثوابهم وعقابهم عند ابن حجر العسقلاني .

نقل الحافظ ابن حجر (رحمه الله) اتفاق الجماعة على كون الجن مكلفين، بدليل ما في القرآن من ذم الشياطين ، والتحرز من شرهم وما أعد الله لهم من العذاب ، وهذه الخصال لا تكون إلا لمن خالف الأمر وارتكب النهي مع تمكنه من أن لا يفعل ، والآيات والأخبار الدالة على ذلك كثيرة جداً .

---

(١)ينظر : فتح الباري: 280/4 ، 342/6 .

(٢)المصدر نفسه : 459/6 .

(٣)المصدر نفسه: 459/6ومابعدها0

ونقل أن بعض الحشوية[١] زعموا أن الجن مضطرين إلى أفعالهم ، وليسوا مكلفين [٢].

قال : (وإذا تقرر كونهم مكلفين فهم مكلفون بالتوحيد وأركان الإسلام ، وأما ما عداه من الفروع فأختلف فيه ، لما ثبت من النهي عن الروث والعظم وأنهما زاد الجن ، فدل على جواز تناولهم للروث ، وذلك حرام على الأنس) [٣].

وأما ثوابهم وعقابهم ، فقال الحافظ : (لم يختلف من أثبت تكليفهم أنهم يعاقبون على المعاصي ، واختلف هل يثابون ؟) .

فروى الطبري وابن أبي حاتم من طريق أبي الزناد [٤] موقوفاً ، قال : (إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قال الله لمؤمن الجن وسائر الأمم، أي من غير الإنس : كونوا تراباً ، فحينئذ يقول الكافر يا ليتني كنت تراباً) .

وروى ابن أبي الدنيا عن ليث بن أبي سليم [٥] قال : ثواب الجن أن يجاروا من النار ، ثم يقال لهم : كونوا تراباً .

وروي عن أبي حنيفة نحو هذا القول ، وذهب الجمهور إلى أنهم يثابون على الطاعة ، وهو قول الأئمة وغيرهم . ثم اختلفوا : هل يدخلون مدخل الأنس ؟ على أربعة أقوال :

أحدها : نعم ، وهو قول الأكثر .

---

(١)هم طائفة من المبتدعة ضلوا عن سواء السبيل يجرون ايات الله على ظاهرها ويعتقدون انه المراد،سموا بذلك لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري فوجدهم يتكلمون كلاماً ساقطاً فقال لهم ردوا هؤلاء الى حشى الحلقة، وقيل سموا بذلك لأن منهم المجسمة(الفرق بين الفرق)/ص62-63.

(٢)المصدر نفسه:344/6 .

(٣) ينظر : فتح الباري :345/6 ، وأنظر : مجموع الفتاوى لابن تيمية :233/4 .

(٤) هو عبد الله بن ذكوان القريشي ، أبو عبد الرحمن المدني ، المعروف بـــ (أبي الزناد) ، ثقة فقيه ، (ت: 130هــ) ، وقيل بعدها ، أنظر : تقريب التهذيب : 413/1 .

(٥) هو : الليث بن أبي سليم بن زنيم ، واسمه أبيه أيمن ، وقيل غير ذلك ، صدوق ، اختلط أجيراً ولم يتميز حديثه فترك ، (ت: 148هــ) ، تقريب التهذيب :138/2 .

وثانيها : يكونون في ربض الجنة ، وهو منقول عن مالك ، وطائفة .

ثالثها : أنهم أصحاب الأعراف .

رابعها : التوقف عن الجواب في هذا [(١)].

والراجح هو رأي الأكثر بدليل قوله تعالى ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾﴾ الرحمن: ٧٤ ومعلوم أن الحور العين في الجنة.

هذا هو بعض ما يتعلق بالجن والشياطين من المسائل التي ذكرها الحافظ في كتابه (فتح الباري) .

ويمكن الوقوف على أكثر ما ذكره في هذا الباب في شرحه لباب (صفة إبليس وجنوده) .

وفي شرح بسورة ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ﴾ الجن: ١ من كتاب التفسير .

ويتبين مما سبق أن الجن من الغيب التي يجب الإيمان به من الأدلة الصحيحة من خلال كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والكف عما لم يدل عليه دليل قطعي؛لأنه من الرجم بالغيب كما قال ﷻ ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ الإسراء: ٣٦ ، والله أعلم .

---

(١) ينظر : فتح الباري : 346/6 ، وأنظر : كلام شيخ الإسلام في هذه المسألة : 234/4 – 237 .

الخاتمة والنتائج

- لفتح الباري قيمة كبيرة، إذ أطبق أهل العلم منذ زمن تأليفه إلى اليوم على الثناء عليه، والاشادة به، وذلك لاحتوائه على علوم شتى، فهو يعد موسوعة كبيرة في المعارف الاسلامية.
- جمعه لأقوال السلف والخلف الكثيرة مع ترجيح بعضِ الأقوال.
- إعتنى الحافظ باللغة فكان يذكر أصول الكلمات واشتقاقها، مع شرحه للغريب وتبيانه لمعاني مفرداتها.
- لم يتبع الحافظ ابن حجر طريقه واحدة في التأييد أو الاعتراض على الأقوال التي يوردها فكان في بعض الأحيان يذكر أقوال أهل العلم ولا يعلق عليها، وأحياناً يورد الأقوال ويرجح أحدها بدون تعليل، ولا يعلق عليها، وأحياناً يورد الأقوال ويرجح أحدها مبيناً وجه الترجيح.
- بينت تعريف النبي والرسول والفرق بينهما، وبينت ان النبي من نبأه الله ولم يأمره بالتبليغ،والرسول من نبأهُ الله وأرسله الى الناس لتبليغ ماأمروا بتبليغه، واستنتجت أن كل رسول نبياً وليس كل نبي رسول،وعدد الانبياء وأولهم وأخرهم ،وصفاتهم من التبليغ والصدق والعصمةالتي اتصفوا فيها .
- استنتجت الخلاف بين الصالحين الذين اختلف في نبوتهم من الرجال والنساء.
- بينت الخصائص التي اختص به نبينا ﷺ دون غيره من الأنبياء وما هي أعظم معجزاتهﷺ ،مع ذكر باقي معجزات الأنبياء(عليهم السلام).
- بينت تعريف الوحي عند اهل العلم من ابن حجر وغيره من العلماء.
- تكلمت في باب السمعيات عن الإيمان باليوم الآخر وفائدته عند القارئ،واراء ابن حجرفي مسألة الروح والموت وعذاب القبر والخلاف بين اهل العلم فيمن يفتن في القبر(الكافر ، الطفل غيرالمميز،النبي)،والخلاف في ثبوت عذاب القبر ونعيمه على المؤمنين،وهل يقع على الروح والبدن أوعلى احدهما.
- عرفت اشراط الساعة عند ابن حجر وماهي العلامات الساعة الصغرى والكبرى ،وعن وقت قيام الساعة والرد على من يشتغل بتحديد وقتها،وماذا سيكون بعدها من النفخ والبعث والنشور، وبيان ان الجنة والنار حق وأنهما

موجودتان الان،وبينت معنى الشفاعة التي اختص بها نبينا ﷺ،ومايتعلق بالحوض والصراط والميزان من أمور الغيب االتي تناولها ابن حجر في كتابه.

- بينت رأي ابن حجرفي الإيمان بالملائكة والجن والشياطين وصفاتهم ووظائفهم ورددت على من انكر ذلك،ومايتعلق بتكليف الجن وثوابهم وعقابهم.
- جمعه لأقوال السلف والخلف الكثيرة مع ترجيح بعضِ الأقوال.
- إعتنى الحافظ باللغة فكان يذكر أصول الكلمات واشتقاقها، مع شرحه للغريب وتبيانه لمعاني مفرداتها.
- لم يتبع الحافظ ابن حجر طريقه واحدة في التأييد أو الاعتراض على الأقوال التي يوردها فكان في بعض الأحيان يذكر أقوال أهل العلم ولا يعلق عليها، وأحياناً يورد الأقوال ويرجح أحدها بدون تعليل، ولا يعلق عليها، وأحياناً يورد الأقوال ويرجح أحدها مبيناً وجه الترجيح.
- إن الحافظ ابن حجر قد خلف للعلماء وطلاب العلم بعده تراثاً علمياً ضخماً، مما يتحتم على الباحثين دراسته ونشره للإفاده منه.

وفي الختام أقول: لم أدعِ أني وفيت الموضوع حقه، وحسبي أني بذلت فيه قصارى جهدي ، فما كان فيه من صواب فذلك من فضل ربي، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ، والله عزوجل ورسوله صلى الله عليه وسلم منه براء .

وصلِ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

1. الأباطيل والمناكير والصحاح والمشاهير، الجورقاني (الحسين بن إبراهيم) ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بن عبد الجبارالفروائي، دار الصميدعي، الرياض، ط3، سنة 1415 هـ.
2. الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز، الدباغ أحمد بن مبارك، دار الفكر، بيروت، (بدون تاريخ).
3. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين (ت 911 هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، سنة 1973م.
4. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الفارسي علاء الدين علي بن بلبان، تحقيق شعيب الارناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، لسنة 1408هـ.
5. أدلة معتقد أبي حنيفة الاعظم في أبوي الرسول عليه الصلاة والسلام ، القاري عليّ سلطان، تحقيق مشهور بن حسن بن سلمان ، مكتبة الغرباء الأثرية ، المدينة ، ط1، سنة 1413هـ.
6. آراء ابن حجر الهيتمي الاعتقادية عرض وتقويم في ضوء عقيدة السلف، محمد عبد العزيز الشايع، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط 1، لسنة 1427هـ.
7. آراء القرطبي والمازري الاعتقادية من خلال شرحها لصحيح مسلم (دراسة وترجيح) للدكتور عبد الله بن محمد بن رميان الارميان (اطروحة دكتوراه) مقدمة إلى قسم العقيدة بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة ، لسنة 1421هـ، ط1، دار ابن الجوزي.
8. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، القاري علي بن سلطان تحقيق الدكتور محمد لطفي الصباغ ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، ط 2، لسنة 1406هـ.

9. أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، لابن حجر الهيتمي(ت 973 هـ)، تحقيق أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لسنة 1420هـ.
10. أصول الدين الاسلامي، البغدادي (عبد القاهر بن طاهر)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1401 هـ.
11. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي (محمد أمين)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة سنة 1413هـ.
12. إعلام النبوة, الماوردي (علي بن محمد) ,تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتب العربي ، بيروت، ط1، سنة 1407 هـ.
13. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والاوهام وإثبات نبوة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، القرطبي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الانصاري (ت 671 هـ).
14. الأعلام، قاموس لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي خير الدين، دار العلم للملايي، ط6، لسنة 1984م.
15. الاقتصاد في الاعتقاد محمد بن محمد الغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لسنة 1409هـ.
16. إنباء الغمر بأبناء العمر، العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي بن محمد، تحقيق الدكتور حسن حبشي، (ت 852هـ)، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية، القاهرة .
17. الانسان الكامل ، عبد الكريم الجليلي، دار الفكر، بيروت، لسنة 1395هـ.
18. الأنساب، (السمعاني) عبد الكريم بن محمد أبو سعد، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة، ط لسنة 1408هـ.
19. الإنصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به، الباقلاني (محمد بن الطيب)، تحقيق محم زاهد الكوثري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1413 هـ.

20. البداية والنهاية لابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.
21. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع للامام الشوكاني (محمد بن علي) ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، بدون تاريخ.
22. بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها شرح مختصر صحيح البخاري ، الاندلسي عبد الله بن أبي جمرة، دار الجيل، بيروت، ط2، 1972م.
23. البوصيري مادح الرسول الأعظم، عبد المتعال المحامصي، مكتبة الهداية، سنة 1413هـ.
24. البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر، الباقلاني (محمد بن الطيب) تحقيق رتشرد يوسف اليسوعي.
25. تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام (القسم الخاص بتاريخ الخلفاء الراشدين) للامام شمس الدين الذهبي (ت 748هـ) تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري.
26. التاريخ الكبير، البخاري ، محمد بن إسماعيل الجعفي، دار الفكر، بيروت ، (بدون تاريخ).
27. التاريخ والمنهج التأريخي لابن حجر العسقلاني للدكتور محمد كمال الدين عز الدين، دار إقرأ بيروت، لسنة 1404هـ.
28. التبر المسبوك في ذيل السلوك، السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 903هـ)، مكتبة الكليات الأزهرية، (بدون تاريخ).
29. تبصير المنتبه بتحرير المشبته، العسقلاني، ابن حجر ، تحقيق علي محمد البجاوي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء.
30. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المباركفوري محمد بن عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
31. تحفة المحتاج لشرح المنهاج،ابن حجر الهيتمي، تحقيق عبد الله بن محمود بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لسنة 1421هـ.
32. التدليس في الحديث، الدكتور مسفر غرم الله الدميني، ط1، لسنة 1412هـ.

33. تذكرة الحفاظ، للامام شمس الدين الذهبي المتوفي سنة (748هـ)، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.
34. التصوف الاسلامي في الادب والاخلاق، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت (بدون تاريخ).
35. تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الاربعة، العسقلاني ابن حجر أحمد بن علي تحقيق ودراسة الدكتور إكرام الله إمداد الحق، ط 1، دار البشائر الاسلامية، بيروت – لبنان، 1416هـ – 1996م.
36. التعرف في الأصلين والتصوف لابن حجر الهيتمي، مطبعة الترقي الماجدية العثمانية، مكة المكرمة، 1330هـ.
37. تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس العسقلاني، ابن حجر (أحمد بن علي)، تحقيق الدكتور أحمد سير مباركي، ط2، لسنة 1414 هـ.
38. تغليق التعليق على صحيح البخاري، العسقلاني ابن حجر (أحمد بن علي) تحقيق سعيد عبد الرحمن موى القزقي، المكتب الاسلامي ، دار عمان (بيروت – لبنان) ، ط1، لسنة 1405هـ.
39. تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت774هـ)، دار الخير ، بيروت، ط1، لسنة 1410هـ.
40. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)محمد بن عمر الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، بدون تاريخ.
41. تفسير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، لسنة 1412هـ .
42. تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت761هـ)، دار الشام، بيروت، بدون تاريخ.
43. تفسير ابن أبي حاتم، (تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين) ، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، ط1،لسنة 1417هـ.

44. تقريب التهذيب ، العسقلاني ابن حجر (أحمد بن علي) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثية، بيروت، ط2، لسنة 1385هـ.
45. تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور المنسوب لمصنف عبد الرزاق، الشنقيطي (أحمد عبد القادر) ، مكتبة دار اليقين ، الرياض، ط2، لسنة 1402هـ.
46. تهذيب التهذيب، العسقلاني، ابن حجر (أحمد بن علي) ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، لسنة 1416هـ.
47. تهذيب اللغة، الأزهري محمد بن أحمد، تحقيق الدكتور رياض زكي، دار المعرفة، بيروت، ط1، لسنة 1422هـ.
48. تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكلام المنان للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار ابن الجوزي، مكتبة ابن سعدي، ط1، لسنة 1425هـ.
49. الثقات، محمد بن حبان البستي، مؤسسة الكتب الثقافة ، مصورة عن طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند، لسنة 1399هـ.
50. الجرح والتعديل، الرازي (عبد الرحمن بن أبي حاتم)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.
51. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم الحراني، تحقيق الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العسكر وأخرين، دار العاصمة، الرياض، ط1، لسنة 1414هـ.
52. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الأسلام للسخاوي ابن حجر شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 903هـ)، تحقيق إبراهيم باجس عبد المجيد، دار ابن حزم، 1419هـ - 1999م.
53. الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم، الهيتمي ، ابن حجر (ت729هـ)، المطبعة الخيرية، ط1، لسنة 1331هـ.
54. الحافظ ابن حجر العسقلاني، أمير المؤمنين في الحديث للشيخ عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق ، ط1، لسنة 1412هت.

55. الحاوي للفتاوي، السيوطي جلال الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، سنة(1402هـ).
56. حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، النبهاني (يوسف بن إسماعيل ، دار الفكر، بيروت، (بدون تاريخ).
57. ابن حجر العسقلاني ودراسة مصنفاته وموارده ومنهجه في كتاب الإصابة للدكتور شاكر محمود عبد المنعم الهيتي، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت، سنة 1415هـ.
58. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الاصفهاني أبو نعيم، دار العربي، بيروت، ط3، سنة 1400 هـ.
59. حياة الانبياء في قبورهم، البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة، ط1، سنة 1414 هـ.
60. الخصائص الكبرى لجلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، لسنة 1405هـ.
61. خصائص المصطفى ﷺ بين الغلو والجفاء، للصادق محمد بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض ، ط1، لسنة 1421هـ .
62. دلائل النبوة ، الاصبهاني، أبو نعيم، تحقيق الدكتور محمد رواس قلعجي وأخر، دار النفائس، ط4، لسنة 1419هـ.
63. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، البيهقي لأحمد الحسن (ت458هـ) ، تحقيق عبد المعطي قلعجي، دار القلم ، بيروت، ط 1، لسنة 1405هـ.
64. ذيل الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، تحقيق الدكتور عدنان درويش القاهرة، معبد المخطوطات العربية بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، سنة 1412هـ.
65. ذيل طبقات الحفاظ، السيوطي جلال الدين، مطبوع في ديوان تذكرة الحفاظ للحسيني وابن فهد والسيوطي، طبعة مصورة، دار إحياء التراث العربي.

66. الرد على البكري، ابن تيمية، شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم، تحقيق محمد بن علي عجال، مكتبة الغرباء الاثرية ، المدينة، ط1، لسنة 1417هـ.
67. رسالة في حق أبوي الرسول ﷺ ، إبراهيم الحلبي، تحقيق علي رضا، الرياض، 1421 هـ.
68. رفع الاصر عن قضاة مصر، العسقلاني، ابن حجر احمد بن علي بن محمد، تحقيق الدكتور حامد عبد المجيد وأخرين، المطبعة اللامبرية، القاهرة، لسنة 1957م.
69. الروح، ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمود عمر، دار الفكر عمان، الاردن ، ط2 ، سنة 1986م.
70. الروض الأنف في تفسير السيرة النبوة لابن هشام، السهيلي (عبد الرحمن بن أبي الحسن) ، دار الفكر، بيروت، سنة 1409هـ.
71. الروض المعطار في خبر الأقطار ، محمد عبد المنعم الحميري، تحقيق الدكتور إحسان عباس، ط2، سنة 1408هـ - 1984م، مكتبة بيروت - لبنان.
72. الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيد بن عبد العزيز فياض، دار الوطن، الرياض، ط3، لسنة 1414 هـ.
73. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم الجوزية محمد بن أبي بكر (ت 751هـ)، تحقيق شعيب وعبد القادر الارناؤوط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8 ، سنة 1985م.
74. الزهر النضر في حال الخضر، العسقلاني ابن حجر (أحمد بن علي)، تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد، مجمع البحوث الاسلامية، الهند، نيودلهي، ط 1، لسنة 1408هـ.
75. الزواجر عن اقتراف الكبائر الهيتمي ابن حجر، دار المعرفة ، بيروت (بدون تاريخ).

76. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبد الله بن حميد، تحقيق الدكتور بكر بن عبد الله بن أبي زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، لسنة 1416هـ.
77. سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتبة الاسلامي لسنة 1392 هـ.
78. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المرادي محمد خليل، دار البشائر ، بيروت، ط1، سنة 1408هـ.
79. سنن ابن ماجه، ابن ماجه (محمد بن يزيد القزويني، تحقيق عزت الدعاس، دار الحديث، ط1، لسنة 1996.
80. سنن أبي داود، السجستاني (سليمان بن الاشعث) ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، بدون تاريخ.
81. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ)، تحقيق أحمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ .
82. سنن النسائي الكبرى، النسائي أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب ، تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان البندري، دار الكتب العلمية، بيروت، (1411هـ - 1991م).
83. سير أعلام النبلاء ، الذهبي (محمد بن أحمد بن عثمان)، تحقيق شعيب الارناؤوط ، ونعيم العرقسوسي، ط9، مؤسسة الرسالة، بيروت، لسنة 1413ه .
84. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، بدون تاريخ.
85. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الحنبلي أبو الفلاح عبد الحي بن العماد، دار النشر المكتب التجاري ، بيروت، بدون تاريخ.
86. شرح الأصول الخمسة، عبد الجبار بن أحمد، تحقيق الدكتو عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط3، لسنة 1416 هـ.

87. شرح السيوطي على مسلم (الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، السيوطي، لعبد الرحمن بن أبي بكر المعلي (ت911هـ).
88. شرح العقيدة الاصفهانية، ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم ت 728 هـ) تحقيق حسني محمد مخلوف ، دار الكتب الاسلامية بمصر.
89. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الارناؤوط ، دار هجر ، ابها، ط4، لسنة 1419هـ.
90. شرح العقيدة الواسطية، الهراس محمد خليل، ضبط وتخريج علوي السقاف، دار الهجرة ، الرياض، ط1 ، لسنة 1411 هـ.
91. شرح الكافية الشافية، الهراس محمد خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، سنة 1406 هـ.
92. شرح المقاصد ، التفتازاني مسعود بن عمر المشهور سعد الدين التفتازاني، تحقيق الدكتور عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب ، بيروت، ط 1، سنة 1409 هـ.
93. شرح النووي على صحيح مسلم، الامام النووي ، أبو زكريا محي الدين يحيي بن شرف بن مري النووي (ت 676هـ)، دار المطبعة المصرية ومكتبتها ، بدون تاريخ.
94. الشريعة، الأجري محمد بن الحسين، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن ، الرياض، ط1، لسنة 1418هـ.
95. الصحاح (تاج اللغة وصحيح العربية، الجوهري (إسماعيل بن حماد)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين ، بيروت، ط2، لسنة 1399هـ.
96. صحيح ابن حبان، أبو حاتم البستي (محمد بن حبان) (ت354هـ)، تحقيق شعيب الارناؤوط، ط2، مؤسسة الرسالة ، بيروت (سنة 1413هـ).
97. صحيح ابن خزيمة، محمد بن إسحاق ابن خزيمة أبو بكر السملي النيسابوري، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الاسلامي، بيروت، لسنة 1390هـ.

98. صحيح البخاري المسمى بالجامع الصحيح المختصر، ابو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، مراجعة محمد علي قطب وأخرين، المكتبة العصرية ، بيروت، لسنة 1415هـ.
99. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة الاسلامية، استنابول، بدون تاريخ.
100. الصواعق المرسلة الشهابية على الشبهة الداحضة الشامية،سليمان بن سحمان، تحقيق عبد السلام ال عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، ط 1، سنة 1409 هـ.
101. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت 903 ه)، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بدون تاريخ.
102. طبقات الشافعية الكبرى، السبكي(عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي) (ت771هـ)، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، ومحمود محمد الطناحي، ط 1، القاهرة (1384هـ - 1964م).
103. طبقات الصوفية الكبرى، الشعراني (عبد الوهاب بن أحمد)، دار الفكر العربي، القاهرة.
104. طبقات المفسرين للداودي، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، لسنة 1392 هـ.
105. عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والادبي محمود رزق سليم، مطبعة البابي الحلبي، ط2، لسنة 1356هـ.
106. العمدة في شرح البردة لابن حجر الهيتمي ، تحقيق بسام محمد البارود، دار الفقيه، دبي ، ط1، لسنة 1425هـ.
107. عون المعبود في شرح سنن أبي داود، العظيم أبادي أبو الطيب شمس الحق، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط2، لسنة 1415هـ.
108. غاية الأماني في الرد على النبهاني، الالوسي (محمود شكري)، مكتبة العلم، جدة، بدون تاريخ.

109. غاية السؤال في خصائص الرسول لعمر بن علي المشهور (بإبن الملقن)، تحقيق عبد الله بن بحر الدين عبد الله، دار البشائر الاسلامية ، بيروت، ط 2، لسنة 1422هـ.
110. غاية المرام في علم الكلام، الامدي (علي بن أبي علي) تحقيق حسن محمد عبد اللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، مصر ، بسنة 1391هت.
111. فتاوى الحافظ ابن حجر العسقلاني (قسم العقيدة) أجاب فيها عن (32 سؤالاً) مما يتعلق بالحياة البرزخية، تحقيق محمد تامر، دار الصحابة للتراث (طنطا)، مصر (بدون تاريخ).
112. الفتاوى الحديثية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1419هـ. لابن حجر الهيتمي.
113. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء، جمع وترتيب أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية، السعودية، الرياض، ط3، لسنة 1419هـ.
114. فتح الإله بشرح المشكاة، لابن حجر الهيتمي، مخطوط محفوظ، مكتبة جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، برقم (6341)، (بدون تاريخ).
115. فتح الباري، بشرح صحيح البخاري، العسقلاني، ابن حجر (أحمد بن علي)، تحقيق عبد العزيز بن باز وتصحيح محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة السلفية، القاهرة، لسنة 1380هـ.
116. فتح المبين لشرح الأربعين لابن حجر الهيتمي، دار إحياء الكتب العربية، مصر ، بدون تاريخ.
117. الفتوحات المكية، لابن عربي الطائي، تحقيق الدكتور عثمان يحيى ، وزارة الثقافة والاعلام بمصر لسنة 1392هـ.
118. الفرق بين الفرق، البغدادي (عبد القاهر بن طاهر)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.

119. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ابن تيمية، ابو العباس أحمد عبد الحليم (ت 728هـ)، تحقيق عبد الرحمن اليحيى، دار طويق للنشر، الرياض، ط سنة 1414هـ.
120. الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (علي بن احمد بن سعيد بن حزم)، تحقيق الدكتور عبد الرحمن، عميرة، دار الجيل، بيروت، سنة 1405 هـ.
121. فضائل الصحابة، الأصبهاني، أحمد بن عبد الله ، تحقيق عادل بن يوسف الفرازي ، دار الوطن، الرياض، ط1، 1419 هـ.
122. فهرس الفهارس والإثبات لعبد الحي بن عبد المحيي الكتاني، بإعتناء الدكتور إحسان عباس دار الغرب الاسلامي، ط2، لسنة 1402هـ.
123. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، الشوكاني (محمد بن علي)، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، المكتب الاسلامي، بيروت، ط 3، لسنة 1402هـ.
124. فيض القدير، شرح الجامع الصغير عبد الرؤوف المناوي، دار الحديث، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى لسنة 1356هـ.
125. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم أبو العباس الحراني (ت 728 هـ)، تحقيق د. ربيع المدخلي، مكتبة لينة ، مصر ، ط1، سنة 1409 هـ.
126. القاموس المحيط، الفيزوآبادي (محمد بن يعقوب)، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط ، لسنة 1406هـ.
127. القرطبي ومنهجهُ في كتابه المفهم في حل ما أشكل من تلخيص كتاب مسلم من أوله إلى نهاية باب مضاعفة أجر الكتابي إذا آمن ، إطروحة دكتوراه، كلية أصول الدين قسم السنة، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، الرياض، لسنة 1415هـ.
128. الكامل في ضعفاء الرجال، الجرجاني (عبد الله بن عدي)، دار الفكر، بيروت، ط2، لسنة 1405هـ.

129. الكامل في معرفة الاوائل والاواخر، عبد الكريم الجليلي، دار الفكر، بيروت، ط4، لسنة 1395هـ.
130. كشف الخفاء والالتباس عما إشتهر من الاحاديث على ألسنة الناس، العجلوني (إسماعيل بن محمود)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 3، لسنة 1352هـ.
131. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة ، مكتبة المثنى، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة 1413هـ.
132. اللالئ المصنوعة، السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر المحلي (ت911هـ)، دار المعرفة ، بيروت، بدون تاريخ .
133. لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ،ابن فهد المكي (محمد بن محمد)، دار الكتب العلمية، بيروت ، بدون تاريخ.
134. لسان العرب، ابن منظور، (محمد بن مكرم)، ط 1 (دار صادر)، بيروت، بدون تاريخ.
135. لسان الميزان، العسقلاني ابن حجر (أحمد بن علي)، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
136. اللفظ المكرم بخصائص النبي ﷺ، محمد بن محمد عبد الله الخضير، تحقيق د. محمد أمين الشنقيطي دار البخاري، المدينة ، ط2، لسنة 1417هـ.
137. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية، للشيخ محمد بن أحمد السفاريني الاثري الحنبلي، مؤسسة الخافقين، مكتبة دمشق، ط2، لسنة 1403هـ.
138. مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 7، سنة 1400هـ.
139. المجروحين والمحدثين والضعفاء والمتروكين، البتي محمد بن حبان، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، دار المعرفة، بيروت، لسنة 1412هت.

140. المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، العسقلاني (ابن حجر أحمد بن علي)، تحقيق الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط 1، لسنة 1415هـ.
141. مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين، أحمد عبد الحليم بن عبد السلام الحراني (ت 728هـ)، الرياض، ط1، بدون تاريخ.
142. المحلى، ابن حزم (علي بن أحمد بن سعيد)، دار الفكر، بيروت.
143. مختصر التحفة الاثنى العشرية، الالوسي (محمود شكري) ، تحقيق محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، ط2، سنة 1378 هـ.
144. مختصر معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الاصول، القحطاني (سعد بن محمد)، تقديم ناصر بن عبد الكريم، العقل دار اشبيليا، ط 2، سنة 1419هـ.
145. مرشد المحتار إلى خصائص النبي المختار، ابن طولون، محمد بن علي الدمشقي الصالحي، تحقي د. بهاء محمد الشاهد، مكتبة الامام الشافعي.
146. المستدرك على الصحيحين، الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبدالله النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، مع تعليقات الذهبي في التلخيص ، دار الكتب العلمية، بيروت، لسنة 1411هـ - 1990م.
147. مسند الامام أحمد بن حنبل، ابن حنبل (أحمد الشيباني)، المكتب الاسلامي، بيروت. بدون تاريخ.
148. مسند البزار (البحر الزخار)، لابي بكر البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، لسنة 1409هـ.
149. مشكل الاثار ، أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، تحقيق شعيب الارناؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، لسنة 1408هـ.
150. مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية، إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، سنة 1419 هـ.

151. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الاصول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، تعليق وتخريج أبو عمر عمر بن محمود، دار ابن القيم السعودية، الدمام، ط1، سنة 1410هـ.
152. معالم السنن، حمد الخطابي، تحقيق عزت الدعاس، ط1، لسنة 1388هـ .
153. معترك الاقران في إعجاز القرآن، السيوطي، جلال الدين (ت 911 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1408 هـ.
154. المعجم الكبير، الطراني (سليمان بن أحمد)، تحقيق حمدي السلفي، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية بالعراق، ط2، (بدون تاريخ).
155. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.
156. المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بمصر، دار المعارف، ط 2، لسنة 1393هـ.
157. معجم ما ألف عن رسول الله ﷺ د.صلاح الدين المنجد، دار الكتب الجديد، بيروت، ط1، لسنة 1402هـ.
158. معجم مقايسس اللغة، أحمد بن فارس ، تحقيق أبو عمر وشهاب الدين، دار الفكر ، بيروت ، ط1، لسنة 1415هـ.
159. المغني في أبواب العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق أحمد الاهوائي وأخر، المؤسسة المصرية العامة (بدون تاريخ).
160. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت ، بدون تاريخ.
161. المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم:للحافظ أبي العباس احمد بن عمر بن ابراهيم القرطبي,دار ابن كثير- بيروت/دمشق, الطبعة الأولى, 1996م, تحقيق:محي الدين مستو واخرون .
162. مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل ، تحقيق محمد محيا لدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، سنة 1398 هـ.

163. مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت 808هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط4، لسنة 1398هـ.
164. مقدمة الفرق الإسلامية، الفيومي، محمد إبراهيم، القاهرة، ط (1426 هـ - 2005م).
165. الملل والنحل ، الشهرستاني محمد بن عبد الكريم بن أحمد، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
166. مناقب الشافعي، البيهقي (أحمد بن الحسين)، تحقيق أحمد صقر، دار التراث، ط1، سنة 1391 هـ.
167. المنح المكية في شرح الهمزية، لابن حجر الهيتمي، تحقيق بسام محمد بارود، المجمع الثقافي، ط1، 1420هـ.
168. المنهاج في شعب الايمان، الحسين بن الحسين الحليمي، تحقيق حلمي محمود فودة، دار الفكر، ط1، لسنة 1399هـ.
169. منهج الحافظ ابن حجر العسقلاني في العقيدة من خلال كتاب فتح الباري، كندو محمد إسحاق طبعة مكتبة الرشد بالرياض ، بدون تاريخ.
170. المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي (جمال الدين يوسف الاتابكي) تحقيق الدكتور محمد محمد الامين، د. ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر سنة 1984م.
171. المواهب اللدنية في المنح المحمدية، القسطلاني (أحمد بن محمد) تحقيق صالح أحمد الشامي، المكتب الاسلامي، بيروت،ط1، 1412هـ.
172. الموضوعات لابن الجوزي (عبد الرحمن بن علي) ، تحقيق عبد الرحمن بن محمد بن عثمان، دار الفكر، ط2، لسنة 1403هـ.
173. المولد الشريف (إتمام النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد أدم)، الهيتمي ، ابن حجر، تحقيق محمد زينهم عرب، الصدر لخدمات الطباعة مصر، (بدون تاريخ).
174. مولد النبي ﷺ لابن حجر الهيتمي، تحقيق أبو الفضل الحويني، طنطا ، ط 1، لسنة 1411هـ.

175. ميزان الاعتدال في نقد الدجال، للامام الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر، بيروت.
176. ناسخ الحديث ومنسوخه، عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين، تحقيق سمير أمين الزهيري، مكتبة المنار الاردن، ط1، سنة 1408 هـ.
177. النبوات لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبد الحليم الحراني أبو العباس، تحقيق محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، لسنة 1405هـ.
178. النبوة والانبياء في ضوء القرآن الندوي (أبو الحسن علي الحيسني)، مكتبة وهبة، القاهرة لسنة 1382هـ.
179. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، العسقلاني ، (ابن حجر أحمد بن علي)، تحقيق نور الدين عتر، مطبعة الصباح بدمشق ، ط 3، لسنة (1421هـ - 2000م).
180. النهاية في غريب الحديث، ابن الاثير مجد الدين ابو السعادات، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة العلمية، بيروت، (بدون تاريخ).
181. النور المحمدي بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين، عداب محمود الحمش، دار حسان ، الرياض، ط1، لسنة 1407هـ.
182. هدي الساري مقدمة فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1989م.
183. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان(أحمد بن محمد)، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الرسائل الجامعية والأطاريح

184. آراء ابن حجر في الإلهيات، رسالة ماجستير للدكتور: إحسان لطيف أحمد المدلل إلى مجلس كلية العلوم الاسلامية (جامعة بغداد)، لسنة 1995م.

185. ابن حجر – آراؤه وترجيحاته التفسيرية في فتح الباري من كتاب التفسير شرح صحيح البخاري من أول (الفاتحة إلى أخر سورة الانفال) للطالب محمود زيدان خضير العيثاوي إلى مجلس كلية الاداب وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في علوم القرآن تخصص (تفسير) في الجامعة الاسلامية، بغداد ، سنة 2009م – 1430هـ.

186. العقيدة الإسلامية بين القرآن الكريم والمنهج العلمي المعاصر، العبيدي إسماعيل بن رديف يوسف، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد، سنة 1998م.

187. مسائل العقيدة في شرح النووي لصحيح مسلم، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية العلوم الاسلامية، جامعة بغداد ، لسنة 1998م ، للطالب أحمد عبد الرزاق جبير.

188. النبوات والسمعيات في التفسير الكبير للامام الرازي، اطروحة دكتوراه تقدم بها الطالب، ياسر أحمد عبد الله العكيدي الى الجامعة الاسلامية بغداد، كلية أصول الدين لسنة 2009

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة :	1 - 3
الباب الأول : النبوات	
الفصل الأول : حياة ابن حجر العسقلاني	
المبحث الأول : اسمه وكنيته وشهرته	8-4
المبحث الثاني : الحالة الأجتماعية	10-9
المبحث الثالث : صفاته الخَلقية والخُلقية	**13-11**
المطلب الأول : صفاته الخَلقية	11
المطلب الثاني : صفاته الخُلقية	11
المبحث الرابع : سيرته العلمية	**14**
المطلب الأول : رحلاته	16
المطلب الثاني : شيوخه	20
المطلب الثالث : تلامذته	23
المطلب الرابع : مؤلفاته	26
المطلب الخامس : وظائفه	28
المطلب السادس : مذهبه	**29**
المطلب السابع : سبب تأليف الكتاب وثناء العلماء عليه	30
المبحث الخامس : مرضه ووفاته ومراثيه	34
الفصل الثاني : النبوات	
تمهيد في النبوات	37
المبحث الأول : تعريف النّبي والرسول والفرق بينهما	41
المطلب الأول : تعريف النّبوة والنّبي	41
المطلب الثاني : الفرق بين النّبي والرسول	43
المطلب الثالث : بيان أن النّبوة منحة من الله تعالى	46

المبحث الثاني : أول الأنبياء والرسل وصفاتهم	49
المطلب الأول : أول الأنبياء	49
المطلب الثاني صفات الأنبياء	62-51
المبحث الثالث : التفاضل بين الأنبياء	63
المبحث الرابع : إتفاق دعوة الأنبياء والرسل (عليهم السلام)	73-72
المبحث الخامس : الصالحون المختلف في نبوتهم	90-74
المطلب الأول : لقمان	74
المطلب الثاني : ذو القرنين	75
المطلب الثالث : العبد الصالح الخضر	76
المطلب الرابع : هارون عليه السلام	87
المبحث السادس : الاختلاف في نبوة النساء	91
الفصل الثالث : الإيمان بنبوة النبي محمد ﷺ وتفضيله بجملة من الخصائص	**133-90**
المبحث الأول : الإيمان بنبوة محمد ﷺ	90
المبحث الثاني : خصائص نبينا محمد ﷺ	100
1 . خاتم الأنبياء	103
2 . الشفاعة	104
3 . الوسيلة	109
4 . حوض الكوثر	110
5 . أول من ينشق عنه القبر	112
6 . نبي التوبة والرحمة	113
الفصل الرابع : معجزات الرسل والأنبياء (عليهم الصلاة والسلام)	**139**
المبحث الأول : معجزات الأنبياء	139
المطلب الأول : تعريف المعجزة	140
المطلب الثاني : طبيعة معجزات الأنبياء (عليهم السلام)	146
المطلب الثالث : بيان أعظم وأشهر معجزات النبي محمد ﷺ	149

الفصل الخامس : تعريف الوحي في اللغة والاصطلاح وبيان طرقه وكيفياته ووجوهه	
المبحث الأول : تعريف الوحي	154
المبحث الثاني : طرق الوحي ووجوهه	155
الباب الثاني : السمعيات	**161**
تمهيد :	**162**
الفصل الأول : الإيمان باليوم الآخر	**167**
المبحث الأول : الإيمان باليوم الآخر وثمرته	**169**
المبحث الثاني : مقتضى الإيمان باليوم الآخر وفائدته	**171**
الفصل الثاني : آراؤه في الحياة البرزخية	**172**
المبحث الأول : عذاب القبر	**172**
المطلب الأول : مسألة الروح والموت	173
المسألة الأولى : الروح	173
أولاً : معنى الروح	173
ثانياً : هل الروح هي النفس	175
ثالثاً : بقاء الارواح ومستقرها بعد فراق الاجساد	176
المسألة الثانية : الموت	178
المطلب الثاني : فتنة القبر	182
المسألة الأولى : الخلاف في الكافر	183
المسألة الثانية : الخلاف في الطفل غير المميز	184
المسألة الثالثة : الخلاف في النبي	185
المسألة الرابعة: هل يفتن الملك	185
المطلب الثالث : عذاب القبر ونعيمه	187
المسألة الأولى : الخلاف في ثبوت عذاب القبر ونعيمه	187
المسألة الثانية : أدلة إثبات عذاب القبر ونعيمه	188
المسألة الثالثة : الخلاف في وقوع عذاب القبر على المؤمنين	189

المسألة الرابعة : الخلاف في عذاب القبر هل يقع على الروح والبدن معاً ، أو على أحدهما؟	191
المطلب الرابع : حياة الأنبياء في قبورهم	193
الفصل الثالث : أشراط الساعة	**199-**
المبحث الأول : تعريف أشراط الساعة	**199**
المسألة الأولى : معنى أشراط	**199**
المسألة الثانية : معنى الساعة	**199**
المسألة الثالثة : معنى أشراط الساعة وأقسامها	200
المسألة الرابعة : ذكر أشراط الساعة مجملة	201
أولاً : علامات الساعة الصغرى	201
ثانياً : علامات الساعة الكبرى	203
الفصل الرابع : نماذج من أشراط الساعة	**204**
المبحث الأول : فتنة المسيح الدجال	**204**
المبحث الثاني : نزول عيسى بن مريم	212
المبحث الثالث : خروج يأجوج ومأجوج	215
المبحث الرابع : خروج المهدي (عليه السلام)	219
الفصل الخامس : الإيمان بقيام الساعة	223
المبحث الأول : وقت قيام الساعة	224
المطلب الأول : بيان استئثار الله تعالى بوقت قيام الساعة	224
المطلب الثاني : الرد على من يشتغل بتحديد عمر الدنيا	226
المبحث الثاني : النفخ في الصور	228
المطلب الأول : تعريف الصور :	228
المطلب الثاني : صاحب الصور :	229
المطلب الثالث : عدد النفخات في الصور	230
المطلب الرابع : المدة التي تكون بين النفختين	232

المبحث الثالث : الصعق	233
المطلب الأول : تعريف الصعق	233
المطلب الثاني : كم مرة يقع الصعق	233
المطلب الثالث : الذين لا يصعقون عند النفخ	234
المبحث الرابع : البعث والنشور	236
المطلب الأول : تعريف البعث والنشور	236
المطلب الثاني : أدلة صدق البعث والنشور	236
المطلب الثالث : صفة البعث والنشور	237
المبحث الخامس : الحشر	239
المطلب الأول : معنى الحشر وأنواعه	239
المطلب الثاني : صفة أرض المحشر	242
المبحث السادس : الميزان :	243
المطلب الأول : مذهب أهل السنة في الميزان والرد على من خالف في ذلك	243
المطلب الثاني : هل الميزان واحد أم متعدد	245
المطلب الثالث : الخلاف فيما يوزن في الميزان	245
المبحث السابع : الشفاعة	247
المطلب الأول : أدلة إثبات الشفاعة	247
المطلب الثاني : ذكر من أنكر الشفاعة والرد عليهم	248
المطلب الثالث : أنواع الشفاعات لنبينا ﷺ يوم القيامة	250
المطلب الرابع : الشفاعة المختصة بالنبي ﷺ	250
المطلب الخامس : المقام المحمود	252
المبحث الثامن : الحوض	254
المطلب الأول : وجوب الأيمان بالحوض	254
المطلب الثاني : الأحاديث الواردة في الحوض	255
المطلب الثالث : دفع الاضطراب عن احاديث الحوض	

المطلب الرابع : صلة الحوض بالكوثر	256
المطلب الخامس : هل يختص نبينا محمدﷺ بالحوض	256
المطلب السادس : أين يكون موضع الحوض	257
المبحث التاسع : الصراط والقنطرة	258
المبحث العاشر : ذبح الموت	260
المبحث الحادي عشر : الأيمان بالجنة والنار	262
المطلب الأول : بيان أن الجنة والنار حق وإنهما موجودتان الآن	263
المطلب الثاني : إثبات بقاء النار وخلود أهلها فيها	264
الفصل السادس : رأي ابن حجر في الإيمان بالملائكة والجن	266
المبحث الأول : الملائكة وما يتعلق بهم من مسائل	266
المطلب الأول : تعريف الملائكة	266
المطلب الثاني : الإيمان بالملائكة عند الحافظ ابن حجر	267
المطلب الثالث : صفات الملائكة	268
المطلب الرابع : وظائف الملائكة	271
المطلب الخامس : المفاضلة بين الملائكة والبشر	274
المبحث الثاني : الإيمان بوجود الجن والشياطين	278
المطلب الأول : تعريف الجن والشياطين	279
المطلب الثاني : وجود الجن وأصلهم والرد على من أنكر ذلك	280
المطلب الثالث : أوصاف الجن	281
المطلب الرابع : تكليف الجن ومسألة ثوابهم وعقابهم عند ابن حجر العسقلاني	282
الخاتمة :	286-285
المصادر والمراجع :	304-287

الخلاصة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾

الحمد لله رب العالمين,والصلاة والسلام على رسول الله إمام المتقين وخاتم النبيين وشفيع المؤمنين يوم الدين,وعلى اله وصحبه ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾

إن موضوع النبوات والسمعيات من المواضيع العقدية المهمة التي تخص أركان الإيمان ومنها (الإيمان بالرسل واليوم الآخر) التي يجب على المؤمنين الإيمان بها ومعرفتها وهما ركنان لا ينفك أحدهما عن الآخر,لأن الرسل هم المبلغون عن ربهم والمعرفون الناس بدينهم ,وما هو الواجب عليهم تجاه ربهم وخالقهم ,واليوم الآخر الذي سيجازي الله به العباد على ما عملوا ,وبما أن العلماء ورثة الأنبياء كان الواجب عليهم الاقتداء بهم ونحن مأمورون بإتباعهم و لأن فتح الباري أفضل شروح البخاري,ولأهميته عند المسلمين عامة وعند طلاب العلم خاصة, وكذلك جمال طرحه لأرائه العقائدية في كتابه,فأسميته **(مباحث النبوات والسمعيات في فتح الباري)** وكان عبارة عن بابين ومقدمة وخاتمة,تناولت في **الباب الأول (النبوات):** الفصل الأول: كان الحديث فيه عن حياة ابن حجر الاجتماعية وسيرته العلمية ,والفصل الثاني كان الحديث فيه عن تعريف النبي والرسول والفرق بينهما,وعن عدد الأنبياء, وصفاتهم ,وتفاضلهم ,واتفاق دعوتهم,وكذلك الحديث عن الأنبياء المختلف في نبوتهم ,ونبوة النساء ,وكان الحديث كذلك عن الإيمان بنبوة محمد(صلى الله عليه وسلم) وخصائصه ,ومعجزات الأنبياء(عليهم الصلاة والسلام), وكان الفصل الخامس عن الوحي وتعريفه وطرقه ووجوهه.

والباب الثاني(السمعيات) :وفيه ستة فصول تناولت فيه تعريف بالإيمان باليوم الآخر وآراء ابن حجر في الحياة البرزخية ,والحديث عن أشراط الساعة الصغرى والكبرى, واخترت نماذج منها وهي الحديث عن الدجال, وخروج المهدي, وخروج يأجوج ومأجوج , ونزول عيسى ابن مريم ,وكان الحديث كذلك عن الإيمان بقيام الساعة وفيه:وقت قيام الساعة, النفخ في الصور, والصعق ,

والحشر , والبعث والنشور, والميزان, والشفاعة ، والحوض والصراط , وعن ذبح الموت , والجنة والنار.

وهذا الجهد والبذل المتواضع, فما كان صوابا فمن الله وحده, وما كان من خطأ وزلل فمني ومن الشيطان وأعوذ بالله أن أكون جسرا يعبر بي إلى الجنة ثم يرمى به في النار.

وأختم بقول سيدنا عمر بن الخطاب:

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل عملي كله صالحاً ولوجهه خالصاً ولا يجعل لأحد فيه شيئاً.

